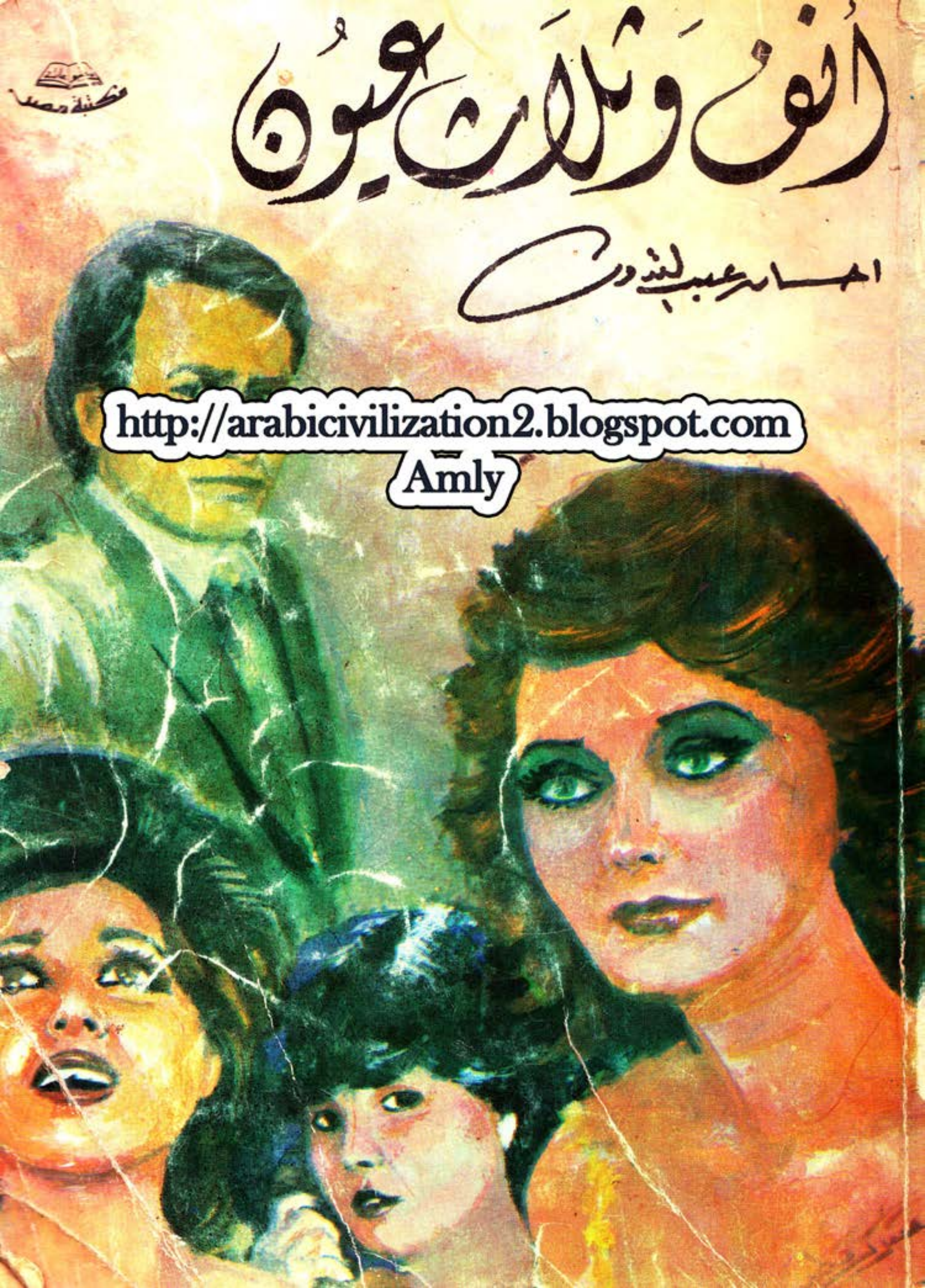


مكتبة مصر
أنف وثلاث عيون
إحسان عبد القدوس

أنف وثلاث عيون

إحسان عبد القدوس

أنف وثلاث عيون

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

العـــين الأولى

- ١ -

لا ... ليس هناك شىء اسمه : الحب .

انى أضحك على البنات العبيطات اللاتى يهمن وراء تأوهات عبد الوهاب ، ونحيب عبد الحليم حافظ ، ويسكبن صباهن بين سطور القصص والأفلام العاطفية .. ثم يعلقن أوهامهن فوق أول شـــاب يلتقين به ، ويمزقن قلوبهن بأظافرهن ، ويصرخن : لقد وقعنا فى الحب ..

لا يا بنات ..

لا يا واهمات ..

ليس هناك شىء اسمه : الحب ..

صدقونى ...

انى أعرف ... انى خبيرة .. انى صاحبة تجربة كبيرة ، مريرة ..

ان ما يســمى حبا ليس .. ليس الا ... ماذا أقول .. انه .. انه مجرد تعود .. نعم ، مجرد تعــود .. تتعــودين على رجل ، وتتأصل فيك العادة ، حتى تظنين أنها الحب .. أو تسمينها حبا .. تماما كما نقول ان هذا الرجل يحب الويسكى . هل يعقل ان يقع رجل فى حب الويسكى .. ولكننا نستعمل كلمة « الحب » بالنسبة للويسكى ، كما نستعملها بالنسبة للعلاقات الانسانية ... لأن العنصر الأساسى الذى تقوم عليه العــلاقة التى تجمع بين الرجل والويسكى ، هو نفس العنصر الذى تقوم عليـــه العـــلاقة

التى تجمع بين الرجل والمراة .. وهو العادة .. التعــود .. وعندما نقول ان فلانا يحب الويسكى . انما نقصد أن فلانا تعود على الويسكى .. وعندما نقول أن فلانة تحب فلانا ، انما نقصد ان فلانة تعودت على فلان ..

اذن ! لو كان هذا الكلام صحيحا ، فلماذا احبت فلانة هذا الرجل بالذات ، ولم تحب غيره .. أو على الأصح .. لماذا تعودت فلانة على هذا الرجل بالذات ، ولم تتعود على غيره ؟

مسالة اذواق ...

ان هناك رجلا يتعود على الويســكى ، وآخر يتعود على الكونياك ، وثالثا يتعود على النبيذ .. و .. و .. وكذلك البنات .. بنت يعجبها الشاب الأسمر .. وبنت يعجبها الشاب الأشقر .. وبنت يعجبها الشــاب الضــخم .. واخرى يعجبها الشــاب النحيل .. و .. و ..

ورغم ذلك فليس هناك بنت بدات حياتها العاطفية بشــاب واحد .. انها تبدأ دائما بتقليب عينيها بين الشبان ، كمــا تقلبهما بين صفحات مجلة الأزياء .. ويعجبهــا اكثر من ثوب .. عشرة أزياء .. عشرون زيا .. ويعجبها أيضا أكثر من شاب .. عشرة شبان .. عشرون شابا .. وتطل فى كل منهم وتتمنى أن تلمسه ، وتتمنى أن تسمع صوته فى التليفون ، وتنظر الى شفتيه وتتمنى أن تذوق طعمهما بشــفتيها .. وقــد تذوق طعم كل الشــفاه أو بعضها .. الى أن تقف عند الشفتين اللتين ساعدتها الظروف على ان تتعود عليهما ..

ليس هناك فارق بين قبلة شاب من الشبان العشرة الذين اعجبت بهم ، وأخــرى .. نفس المذاق .. ونفس ارتعاشــة الشفتين ... ونفس الريق الذى نشربه فى صمت وعيوننا مغلقة

.. ولكن هناك فارقا بين قبلة تعودت عليها ؛ وقبلة لم أتعود عليها .. ولو تعودت على قبلة اى واحـد من العشرة الذين تمنيتهم لأسميت هذا التعود حبا .. كما أسميت تعودى على هاشم حبا ..

لا يمكن أن يكون ما كان بينى وبين هاشم أكثر من هذا .. مجرد تعود ..

لم احبه .. لا يمكن ان يكون هذا حبا . .لا اريد ان يقال انى احببته .. انى اجن كلما سمعت من يقول انى احببته .. فقط تعودت عليه .. وكل هذا العـذاب لأنى تعـودت عليه .. والتعود له أحكام قاسية .. انه يسـيطر عليك .. يخضعك .. يذلك .. يمحو شخصيتك .. ان الرجل الذى تعود على الويسكى قد يجن اذا حرم من الويسكى .. يحطم كل ما حوله .. ثم يحطم نفسه ... ينتحر ... وقد حدث كل هذا لى لأنى تعودت على هاشم ..

كيف سمحت لنفسى ان اتعـود عليه وهو مر .. فظيع .. وكنت أعلم منذ اليوم الأول انه مر وفظيع ..

لا ادرى ..

ان الويسكى ايضا طعمه مر ، وفظيع ..

وقد تعودت على الاثنين ..

تعوت على هاشم ..

ثم تعودت على الويسكى ..

و ..

انى اضحك .. اضحك على نفسى .. اضحك على خيبتى .. على عذابى . انى احاول ان ابدو فى هذه السطور التى اكتبها كأنى فيلسوفة .. ها .. ها .. ها .. ليس هذا كلام حسن .. قاله لى مرة ليجفف به دموعى ، ثم أخذ شفتى بين شـفتيه ليمـودنى

عليهما ، لعلى أتخلص من تعودى على شـفتى هاشم .. وانى اذكر ليلتها .. لقد تركت حسن يأخذ أكثر من شفتى .. تركته يأخذنى كلى .. لأساعد نفسى على التخلص من تعودى على هاشم .. فقد آمنت يومها بكلامه .. آمنت أن الحب ليس سـوى .. عادة !! .

ولكنى لم أكن أعرف حسن عندما عرفت هاشم ..

لم أكن فيلسوفة ..

ولم يقل لى أحد كلاما يجعل منى فيلسوفة ..

كنت بنتا كبقية البنات .. أهيم وراء تأوهات عبد الوهاب . ونحيب عبد الحليم حافظ . وأسكب صباى بين سطور القصص والأفلام العاطفية ..

وكنت حلوة .. جميلة .. شعرى فى لون البندق .. طويل .. يصل الى كتفى .. وعيناى واسعتان .. عسليتان .. عندما ينسكب فيهما ضوء الشمس ، يشـعان بلون أصـفر ، لن أقول انهما كعينى غزال ، فقد رأيت عيون الغزلان وكرهتها . وفمى صغير .. شفتاى مكتنزتان .. شفتى السفلى أكثر امتلاء من العليا .. ولى سنة أمامية نصفها مكسور .. دمهـا خفيف .. عندما تنكشف عنها شفتاى يخيل اليك انى أبتسم . ولا تملك الا أن ترد ابتسامتى .. وبشرتى بيضاء .. فى لون اللبن الحليب .. وقوامى .. يجنن .. اننى طويلة .. لست طويلة جدا .. فقط ١٧٠ سنتى .. وساقاى رائعتان .. كأنهما قالبان من نور .. انى أحب ساقى .. أحبهما لدرجة انى — وأنا فى السـادسة عشرة — علقت فى ساقى اليمنى سلسلة ذهبية رفيعة تتدلى منها خرزة زرقاء .. ومنذ كنت فى السادسة عشرة وأنا ألبس حذاء

بكعب عال .. بسبعة سنتى .. ان الكعب العالى يظهر جمال الساقين ..

ونهداى كزهرتين من زهور عباد الشمس ، معلقتان فوق صدرى .. وخصرى نحيل .. لا يزيد عن ٥٥ سنتى .. ولى « حسنة » فى لون الشيكولاتة فوق كتفى .. و « حسنة » اخرى .. لن اقول أين ..

وكنت مفتونة بجسدى .. كنت اقفل باب حجرتى بالمفتاح . واقف عارية امام المرآة .. اتأمل كل قطعة منه .. كل خط فيه .. كل ثنية .. واتمنى ان تسمن ذراعاى قليلا ، فقد كانتا نحيفتين .. وان يرتفع نهداى قليلا ، حتى يقل بروز العظمتين اللتين ترسمان كتفى .. ثم ارقص .. أرقص أمام المرآة .. وأبتسم لخصرى وهو يتثنى .. وصدرى وهو يرتعش .. وساقى وهما تتأرجحان .. فى نعومة ، وهدوء كأنى أسبح فى الهواء .. انى احب الرقص .. ولكن احدا لم يرنى أرقص الا مرآتى .. حتى أمى ، لم ترنى ..

ولم يكن يخطر على بالى صورة اى رجل وانا واقفة امام المرآة أتأمل جسدى .. أبدا .. لم اكن افكر فيمن اعطيه هذا الجسد .. أبدا ... أبدا .. كل هذا كان بعيدا عنى .. كنت المح عيون الرجال والأولاد تلاحقنى .. وكنت أزهو بملاحقة هذه العيون ، ثم أنفضها عن احساسي كأنى أهش الذباب .. دون أن أترك ذبابة واحدة تحط على ، أو تلتصق بى .. حتى فى خيالى .. لم يكن هناك رجل معين .. رجل أسعى اليه . او يسعى الى .. كان كل ما فى خيالى نجوم السينما .. روك هدسون .. جريجورى بيك .. دين مارتن .. ليسوا رجالا .. مجرد خيال .. ومجرد أحلام .. لا تثير فى جسدى أى احساس

. .كان هذا الجسد لى وحدى . . وكنت احس انى وحدى صاحبة الحق فى التمتع به . . بالنظر اليه . . وتأمله . . واكتشاف اسراره . . كنت كالبخيلة التى تحتفظ بكنزها . . لا تفتحه الا أمام مرآتها . . وكنت اتمتع فعلا بتأمل جمالى اكثر من متعتى بأن يتأمله غيرى . . كنت مفتونة بنفسى . . .

هل اطلت فى وصف جمالى . .

عذرا . .

فهكذا تبدأ قصتى . . تبدأ يوم بدأ احساسى بانى جميلة . .

يوم فتنت بنفسى . .

ورغم هذا فجمالى له خاصية غريبة . . انه يبهر بعض العيون ، كما يبهرنى . . وعيون أخرى لا تراه . . تمر به دون ان تأبه . . كأنى لست جميلة . . بل ان النــاس يرون بشرتى البيضاء صفراء . . وزميلاتى فى مدرسة الفرنسيسكان يسموننى « البنت الصفراء » . . وبعض النــاس يرون عينى الواسعتين جاحظتين بارزتين . . وبعضهم يرى صدرى وظهرى ممسوحين . . نهداى صغيران ، وظهرى ليس فيه بروز . . ولكنى لا أعرف هؤلاء الناس . . ولا اريد ان أعرفهم . . انى اكرههم . . اكرههم . . وأنا جميلة رغم أنوفهم . . جميــلة . . جميلة . . وكل من اعرفهم يعرفون انى جميلة . . امى تزهو بى . . وخالاتى الخمس يستشهدون بجمالى . . وأنا أجمــل من ريرى ابنــة خالتى . . وأجمل من فريدة ابنة عمى . . وأجمل بنت فى شارع صــلاح الدين بمصر الجــديدة . . والخطاب يطرقون بابى منذ كنت فى الخامسة عشرة من عمرى .

ومن يدرى . .

ربما كان اختلاف النــاس حول جمالى ، هو الذى جعلنى

ازداد تعلقا به .. واتامله كل لحظة .. كانى اتعلق بشىء اخشى ان يضيع منى ..

الى ان خطبت ..

كنت أيامها فى السادسة عشرة ، اقيم مع امى وزوجها ، واخوتى منها .. ولدان وبنت .. وامى سيدة طيبة .. تصلى وتصوم .. ولها فى كل شهر نذر لأحد الأولياء .. نذر لسيدنا الحسين ، ولو نجح ابنها .. ونذر لسيدى ابو العباس ، لو شفيت بنتها من الحصبة .. ونذر .. ونذر .. وتقرأ الفنجال .. وتفتح الكوتشينة .. ولكنها رغم كل هذه الأوهام التى تسيطر على راسها ، سيدة مرحة .. لا يخلو يوم من ايامها من اجتماع بصديقاتها .. وصديقاتها نصف سيدات القاهرة .

وكانت امى تدللنى وتهتم بى اكثر من اخوتى .. ربما لأنى اقيم معها بعيدا عن ابى .. وكانت تدارى اخطائى وتتستر عليها ، حتى لا يدرى بها زوجها .. فى الوقت الذى تشكو فيه اخوتى اليه .. تشكو اليه كل خطأ ، ولو صغيرا .. فيضربهم ..

وزوجها رجل من هذا الصنف من الرجال الذى يدعى القسوة والحزم ، وهو عبيط تستطيع أن تضحك عليه ، وتخدعه ، ببساطة ..

وكنت انا وامى خارجتين من محل الصالون الأخضر عندما رآنى رجل .. وسار وراءنا .. وجرى وراء سيارتنا بسيارته .. الى أن وصلنا الى البيت .. وسأل عنا البواب .. وفى اليوم التالى جاء ليخطبنى ..

ولا ادرى كيف اقنع امى بالموافقة على خطبتنا .. انه فى السادسة والثلاثين من عمره .. بينى وبينه عشرون سنة .. وقد سبق أن تقدم لخطبتى شبان أصغر منه .. وهو ليس من

عائلة كبيرة ، وقد سبق أن تقدم لى ابناء عائلات كبيرة .. وهو ليس مثقفا ثقافة عالية ، وسبق ان تقدم الى حملة دكتوراه ... وهو غنى .. يعمل مقاولا فى السويس ، ولكن سبق أن تقدم الى اغنى منه .. ورغم ذلك قبلته امى .. انه من هذا الصنف من الرجال الذى يستطيع ان ياكل عقل النساء العجائز ..

ووافق زوج امى .. وافق بسرعة .. ربما ليتخلص منى .. ليستريح من تدليل امى لى ..

اما ابى فقد عارض .. ولكن معارضته لم تكن تساوى شيئا جادا .. ابى كله ليس شيئا جادا ، ولا ينظر اليه أحد نظرة جادة .. انه انسان لاه .. لا مسئول .. يعيش لنفسه .. ويتزوج كثيرا .. وكان ايامها يعيش مع زوجته الرابعة .. وكانت أمى تقول عنه ان له شقة خاصة يلتقى فيها بامرأة أخرى ستكون يوما ما زوجته الخامسة ..

واستسلمت لأمى .. وفرحت بدبلة الخطوبة ... دبلة من قطع الماس المستطيلة « الباجت » .. والشبكة .. خاتم سوليتير حجمه خمسة عشر قيراطا .. والثوب الجديد .. والحفلة .. واهتمام خالاتى الخمس بى .. واول مرة انزع الشعر الخفيف من فوق ذراعى وساقى .. وفرحت أكثر لأنى خطبت قبل ريرى ابنة خالتى ، وقبل فريدة ابنة عمى .. كانت فرحتى ايامها طاغية ، انستنى كل شىء حتى خطيبى نفسه .. كنت اراه كما ارى باقى الرجال .. اراه فى نظرات عابرة .. لم احاول ان ادقق فى ملامحه .. لم ار ايامها هذه الثقوب الصغيرة التى تنتشر فوق طرف أنفه ، والتى لا تراها الا اذا دققت النظر .. ولم ار هذه السنة الذهبية فى جانب فكه الأيمن ، والتى تطل عليك كلما ضحك

.. ولم ار ان كل سراويله واسعة من الخلف ؛ كان الترزى كاد يصنعها جلبابا ثم غير رايه فى اخر لحظة .

وسـافر خطيبى فى اليوم التـالى من اعلان الخطبة الى السويس .. واصبح يتردد على القاهرة كل اسبوع ليبقى فيها ثلاثة أيام .. الجمعة ، والسبت ، والأحـد .. وكل خالة من خالاتى الخمس تقيم لنا وليمة غـداء .. وابى دعانا مـرة على العشاء .. وأحسست يومها أنه يقوم بواجب ثقيل يكاد يخنقه .. لقـد كاد يطردنا انا وخطيبى بعد العشـاء مباشرة .. ولكنى لم اغضب من أبى .. انى اعرفه .. واحبه ..

ولم يتركونا انا وخطيبى وحدنا ابدا . كانت أمى معنا دائما .. وعندما نغيب لحظات تحرص على ان تترك مكانها لزوجهـا أو لأخى الصغير وخطيبى لم يحاول ان ينفرد بى .. بل لم يحاول ان يهمس فى أذنى همسة لا تسمعها أمى .. او يضـغط على يدى .. او اى لفتة من هذه اللفتات التى كنت اقرأ عنهـا فى القصص .. كان كل ما يحرص عليـه ان يصـلى الفروض فى موعدها .. وكانت كل امنيته ان اصلى مثله .. وأمى تطمئنه الى انى بعد الزواج لابد ان اصلى !

وبدات فرحتى بالخطبة تخف ..

الدبلة والخاتم رآهما كل افراد عائلتى وكل صـديقاتى .. وثوبى اصبح قديما .. والحديث اصبح معادا .. ثم ..

عندما وقفت مرة أمام المرآة لأرقص عارية كعادتى ، وباب غرفتى مغلق بالمفتاح ، شعرت لأول مرة ان هذا الجسد لم يعد لى وحدى .. لقد اصبح لى شريك فيه .. ورأيت فى صفحة المرآة صورة وجه شريكى .. خطيبى .. ولأول مرة اعى ملامحه التى كنت التقطها بعينى دون أن أعيها .. دون ان اهتم بهـا .

رايت الثقوب الصغيرة فوق مقـــدمة انفه . ورايت سرواله المهدل .. واختفى خيالى الذى يحمل صورة روك هدسون ، وجريجورى بيك .. لم يعد أمامى الا هذا الواقع الذى يحمل صورة خطيبى .. وسرت قشعريرة فى بدنى .. ولم استطع يومها ان ارقص .. بل لم استطع ان أظل عارية .. جريت واخفيت جســـدى خلف ضلفة الدولاب ، كأنى اخفيه عن عينى خطيبى المنتوفتين ..

ومن يومها بدا جسدى يقلقنى .. بدات احس ان الكنز الذى حرصت العمر كله على ان اخفيه الا عن مرآتى ، اصبح على وشـــك ان يكتشف .. بدأت أحس بالمعاول تحفر فوقه لتصل اليه .. معاول من احساسى بأن شيئا يقترب من شفتى .. من عنقى .. من صدرى .. من خصرى .. من ساقى .. وتأكدت يومها ان كنزى لابد ان يكتشف يوما .. لا حيلة لى .. لا استطيع ان اخفيه بقية عمرى .. شخص ما لابد ان يصل اليه .. ولكنى لا اريد ان يكون هذا الشخص هو خطيبى .. لا اريده .. لا اريده .. انى انفر منه .. انه يقززنى .. يده فى يدى كقطعة العجين الملساء .. ونظراته تسيل من عينيه كقطرات الزيت .. وكلماته تقع من شفتيه كقطع الطوب .. ليس فيها حنان .. ليس فيها معنى يبهرنى .. ليست فيها مهارة المكتشف .. مكتشف الكنز ..

هل استطيع ان افسخ الخطبة ؟

ربما لو حاولت أيامها لاستطعت ان افســـخها .. ولكنى لم أحاول .. كنت ضعيفة الشـــخصية .. كنت اضعف من ان اقف امام امى ، واطلعها على حقيقة شـــعورى نحو خطيبى .. وفى الواقع لم اكن أعرف ماذا أريد .. لم اكن استطيع ان افهم حقيقة عواطفى .. وكان ما انهمه الشك فيه .. كنت مترددة .. أحيانا اعتقد ان نصيبى هو نصيب كل البنـــات .. واحيانا احس انى

مظلومة .. واحيانا احس كأنى بنت خاطئة لمجـرد تفكيرى فى فسخ خطبتى .. كأنى بهذا التفكير اتحــدى الله .. اتبطر على النعمة .. واحيانا احس بالثورة تملأ صدرى ، وتكاد تقتلعنى من فوق سريرى ، ولكنى اطفىء ثورتى ، واهز راسى فوق الوسادة . واهمس لنفسى .. يا بنت اعقلى !

وانتهى بى هذا التردد ، الى الاستسلام ..

ولكن هذا الاستسلام دفعنى الى نوع من التحدى .. تحدى ضعفى .. وتحدى ترددى .. وتحدى أمى .. وتحدى نصيبى .. وكان نوعا من التحدى المكبوت الخفى .. لا اصــارح به نفسى .. ولكنه يدمغنى .. يدمغ تفكيرى .. يدمغ انفعالاتى .. ويدمغ تصرفاتى ..

ودفعنى هذا التحدى الى أن ابحث عن مكتشف آخر لجسدى .. شخص آخر غير خطيبى عبد السلام ، يكون اول من يلمس شفتى ..

وبدأت عيناى تدوران حولى ..

ولم اعد اهش الذباب فى كبرياء .. كعادتى .. بل اخــذت ابحث عن الذباب ، وارتاح كلما حطت ذبابة على .. وتعلمت كيف انظر من طرف عينى .. كيف أرى كل شاب ، دون أن يلحظ أنى اراه .. ودون ان تلحظ أمى او عبد الســلام انى انظــر الى أحد .. وبدأت جمع المعلومات عن كل شاب من شــبان مصر الجديدة .. وارتاح لصــديقاتى وهن يتحدثن عن مغامراتهن .. وادفعهن دفعا الى هذا الحديث ..

ثم .. بدأت الحب لعبة التليفون .

كان صديقاتى يجتمعن عندى فى البيت ، ونشترك جميعا فى

معاكسة الشبان بالتليفون .. وامى بعيدة عنا فقد خفت رقابتها على منذ خطبت ، كأنها بدأت ترتاح منى ..

ولم يحدث شيء أكثر من هـذا لفترة طويلة .. كنت فقط انظر الى كل شاب واقارن بينه وبين خطيبى ، واتصوره مكتشفا لجسدى .. واستمع الى صوت الشبان فى التليفون .. واقارن بين صوت كل منهم وصوت خطيبتى . فاجده اكثر حياة ، واكثر حنانا ، واتصور هذا الصوت يملأ بيتى ..

الى ان ابتسمت مرة لمحمد ..

لم أختر محمد بالذات لأبتسم له .. ولكنى كنت جالسـة فى نادى مصر الجديدة مع بعض صديقاتى .. وأمى جالسـة مع صديقاتها على مائدة اخرى ... ومحمد جالس على حافة حوض السباحة ، يحلق فى وجهى بعينين مبهورتين .. وكنت زهقانة .. صديقاتى يتحدثن حديثا مملا .. فابتسمت لمحمد .. وتعلق محمد بابتسـامتى .. جرى وراءها .. اصـبح يلاحقنى .. انه يدور بسيارته حول بيتى .. سيارة شيفروليه بيضاء رقم ٢١٨٨٣ . وهو خلفى فى النادى .. وفى السينما .. حتى وانا مع خطيبى . لا يكف عن ملاحقتى .. وملاحقته تملؤنى غرورا ، وتملأ فراغى .. وان لم يكن يمثل صورة المكتشف الذى احلم به .. انه فى العشرين من عمره .. طالب فى الجامعة .. وبطل فى السباحة .. حلو التقاطيع .. ومن اشهر شبان مصر الجديدة .. انه حلم كثير من صديقاتى .. ولكن ينقصه شيء .. لا ادرى ما هو .. انه كالطعام الذى طهى على نار حامية .. لو طهى على نار هادئة لازداد طعامة ودسامة !

وبدا جرس التليفون يرن فى بيتى .. وترفع امى السماعة فلا يرد احد .. ويرن مرة اخرى .. ويرفع زوج أمى السماعة .



فلا يرد احد .. استمر الرنين .. ولا احـــد يرد .. اياما كثيرة .. وبدات التعليقات .. وبدات امى تواجهنى بعينين متسائلتين .. وخفت من هذا التساؤل .. خفت منها .. ومن زوج امى .. وفي مرة رن جرس التليفـــون ورفعت انا السـماعة .. وامى بجانبى .. وسمعت صوت خالتي واخذت ارد : الو .. الو .. وانا اضغط السماعة على اذنى ، حتى اخفى فيها صــوت خالتى وهى تهتف هى الاخرى .. الو .. الو .. ثم وضعت السـماعة .. والتفت الى امى ، وقلت فى براءة :

ــ ما حدش بيرد ..

فقط لاقضى على شكوكها ..

وحرصت على ان ابقى بجانب التليفون الى ان تكلمت خالتى مرة ثانية ، وسمعتها تصيح :

ــ انتم تليفونكم خسران ولا ايه ؟

واجبت :

ــ ابدا يا طنط .. ازيك .. وازاى ريرى ..

ثم بعــد أيام رن جرس التليفون .. وكنت بجانبــه ، وامى بعيدة .. وسمعت صوت محمد .. كيف عرفت صــوته . وانا اسمعه فى التليفون لأول مرة .. لا ادرى .. ولكنى عرفته .. وقال محمد فى عبط المغرور بمجرد ان سمع صوتى :

ــ انا محمد ..

وقلت فى حدة هامســة ، وانا التفت الى الحجرة المجاورة لارقب امى :

ــ انت اللى بتضرب تليفون ولا تردش ..

قال كانه يتباهى :

ــ ايوه ..

قلت :

ـ تانى مره اوعى تضرب تليفون .. فاهم .. انت حاتسبب لى فى مصيبة ..

قال :

ـ اذا ما كنتيش عايزانى اضربلك . .اضربيلى انت ..

قلت :

ـ طيب .. حاضربلك .. مع السلامة دلوقت ..

واعدت سماعة التليفون .. وانا ابتسم .. وكثير من الزهو بملؤنى .. كأنى اميرة تحكم الرجال ..

وبدأت أحادث محمد فى التليفون ..

لم يكن وحـــده الذى احادثه فى التليفـــون .. كنت لا زلت اتسلى بالحديث مع غيره .. ولكن محمد وحده هو الذى يعرف من تحدثه ..

وبعد ثلاثة اسابيع او اكثر .. خرجت الى اول لقاء معه .. اول لقاء لى مع شاب .. كانت أمى قد سمحت لى بزيارة صديقتى هدى .. وحدى .. واتصلت بمحمد ، وطلبت منه أن ينتظرنى بسيارته فى شارع البارون . وركبت بجانبه ..

لم اتردد .. ولم احس برجفة .. ولا بارتبـــاك .. جلست بجانبه . كأنى أجلس فى مقعد الســـينما .. ونظرت اليه كأنى أنتظر بداية العرض .. ودبلة الخطوبة فى اصبعى ..

وربما كان محمد يومها اكثر ارتباكا منى .. انه لا يعـــرف من أين يبدأ العرض الذى أنتظره .. وحديثه متقطع .. ينتقل من موضوع لموضوع دون أن ينسق حديثه فى موضـــوع واحد .. ويتكلم بسرعة ، كأنه يلهث ..

وقال خلال حديثه :

ـــ ده خطيبك اللى كان معاكى انت ومامتك اول امبارح ؟
قلت وانا أنظر من خلال نافذة السيارة :
ـــ ايوه ؟ . .
قال :
ـــ بس ده كبير . .
والتفت اليه وفى عينى نظرة متحفزة وقلت فى حدة :
ـــ مالكش دعوه بيه . .

وكنت مستعدة ساعتها ان اضرب محمد بالقلم لو استمر فى الحديث عن عبد السلام . . لقد شعرت ساعتها ان كل خلجة منى تتحفز للدفاع عن خطيبى . . لا ادرى لماذا . . ان محمد لم يخطىء . . ان عبد السلام « كبير » .

فعلا . . واكثر من ذلك . . ان على طرف انفه ثقوبا صغيرة . . وفى فكه سنة ذهبية . . وسرواله مهرول . . ولكنى لا اقبل ان اسمع هذا الكلام من احد . . انى اقوله لنفسى فقط . . و . . ماذا اقول . . ربما لم اكن أدافع ساعتها عن عبد السلام . . كنت أدافع عن نفسى . . عن نصيبى . . عن شخصيتى الضعيفة . . عن استسلامى .

وقال محمد وهو يبتلع ريقه:
ـــ أنا آسف . .

ثم مد يده وامسك بيدى وضغط عليها . . وتركتها له لحظة ليحتفظ بها فى يده . . ثم عدت وسحبتها منه بسرعة . . لماذا . . لأنى تذكرت عبد السلام وخشيت ان اقارن بين يده ويد محمد . . اليد الطرية كقطعة العجين الملساء واليد الساخنة المتماسكة التى تضغط على يدى فى قوة ، تكاد تخنق أصابعى . .

ولم يدم لقائى بمحمد اكثر من ربع ساعة . . ذهبت بعدها

الى زيارة صديقتى .. ثم عدت الى البيت ، كأنى عائدة من السينما .. لا شيء بقى من كل ما فعلته اكثر مما يبقى من ذهابى الى السينما .. ووقفت أخلع ثيابى فى المرآة ، وأتأمل الـــكنز العزيز .. ولم اتذكر ساعتها محمد .. ولكنى عدت اتذكر عبد السلام ، ووجهه يطل على من المرآة .. وانقلبت شفتى رغما عنى .. فى قرف .. ثم اقتحمت فى خيالى صورة محمد .. أخذت اتخيله كأنه صاحب هذا الكنز .. مكتشفه .. لا .. ان محمـــد ينقصه شيء .. لا أدرى ما هو .. ولكن يخيل الى انه لا يعـــرف الطريق الى كنزى .. ولكن .. لابد أنه يعرف أكثر من عبـــد السلام ...

ونمت ليلتها ، ولست سعيدة .. ولست شقية .. ولست نادمة .. ولا شيء .. فارغة ..

هل انبنى ضميرى لانى ذهبت الى لقاء شاب وانا مخطوبة لغيره .. ابدا ..

ولم اقابل محمد مرة ثانية الا بعد شهر .. ربما الان ظروفى ورقابة امى لم تكن تتيح لى لقاءه .. وربما لانى لم أكن متحمسة للقائه ، الى حد محاولة التغلب على ظروفى ، ورقابة أمى ..
وربما لأنى كنت لا زلت أتسلى بالتحدث فى التليفـــون مع شبان غيره .

وكان لقاؤنا الثانى سريعا ايضـــا .. حاول خلاله أن يقبلنى .. ولكنى لم اعطه الا خدى .. ثم فتحت باب السيارة وجريت (...)

وبعد أربعة أيام ، حدد موعد كتب كتابى الى عبد الســـلام .. وانشغلت فى اعداد ثوب الفرح ، وفى اعداد الحفل الكبير الذى أقيم لى فى فندق سميراميس .. انشـــغلت كلى .. امتلأ فراغى حتى قمته .. لم أعد افكر فى محمـــد .. ولا فى خطيبى

عبد السلام .. ولم أعد أعاكس أحدا فى التليفون .. بل نسيت كنزى الغالى .. نسيت جسدى .. انى مشغولة منذ ان افتح عينى ، حتى انام منهكة متعبة .. تعب لذيذ ..

ربما كان كل القصد من هذه الضجة التى تقام استعدادا ليوم القران ، هو شغل وقت العروس .. حتى لا تفكر .. حتى لا تحس .. حتى لا تخلو الى نفسها .. انه من نوع سلب الارادة .

ثم ..

وانا فى « الكوشة » بدات عيناى تدوران حولى من جديد .. بدات افيق من الاستعدادات التى اخذتنى كلى .. الثوب ارتديته والطرحة البيضاء فوق راسى .. وثريا سالم زفتنى .. ونجاة الصغيرة غنت .. والخاتم اصبح فى يدى اليسرى .. وكلمات التهنئة اصبحت معادة مملة .. وخالاتى الخمس القين بانفسهن على المقاعد فى استرخاء .. وامى هدها التعب ، وعيناها تغفوان بين الحين والحين .. انتهى كل شىء .. وافقت لنفسى .. عدت الى احساساتى .. عدت أحس وأنا فى الكوشة بشفتى .. بعنقى .. بصدرى .. بساقى .. ويمتلىء خيالى بصورة زوجى ، دون أن ان التفت اليه .. وارى الثقوب على انفه .. وسرواله المهدل .. وتنقلب شفتى السفلى رغما عنى .. وأشعر بالسخط لأن هذا الرجل هو الذى تقرر ان يتشففنى .. يكتشف كنزى .. وتدور عيناى فى وجوه الشبان الآخرين .. ترى .. من منهم احق باكتشافى .. وانا .. لا زلت فى الكوشة .. والورد حولى .. والمدعوون سكارى ..

وعدت الى البيت ..

لست سعيدة ..

ولكنى متعبة ..

وكان الزفاف سيتأجل كثيرا .. فان عبد السلام يبنى فيللا فى السويس لم تتم بعد ، ولا نستطيع ان نشترى الجهاز قبل ان تتم ..
كل ما حدث بعد عقد القران ، ان امى أصبحت تتركنى مع عبد السلام وحدنا .. ولكن عبد السلام لا يحاول شيئا .. انه يقبلنى على خدى عند لقائنا .. ويقبلنى على خدى عند افتراقنا .. ويقبل يدى احيانا .. وفى مرة قبلنى فوق شفتى قبلة سريعة .. مرت كلمسة من الهواء البارد .. ارتبك بعدها .. واحمر وجهه .. وادعيت انا الخفر والحياء .. وحاول ان يقبلنى قبلة اخرى .. فقلت وانا انفر من جانبه :

ــ احنا اتفقنا على ايه ! ؟ مافيش حاجه قبل ما نروح بيتنا ..

واستسلم الرجل الطيب ..

وبقيت عروسا عذراء ..

والواقع ان عبد السلام كان يفضل ان يجلس مع امى وزوج امى .. على أن ينفرد بى .. كان يجد معهما نفسه .. ويضيع معى عن نفسه ..

والفراغ يحيط بى ..

وعدت أملأ فراغى بمعاكسة الشبان فى التليفون .. والتحدث مع محمد .. وقد اصبحت اكثر حرية من قبل .. امى تركتنى افعل ما اشاء .. كأنها انتهت منى .. ورغم ذلك لم أفكر فى لقاء محمد مرة أخرى .. كان يلح على كثيرا .. ولكنى كنت أرفض .. لا أدرى لماذا .. ربما لأنى كنت اتعالى عليه بعد ان عقد قرانى .. احسست انى أصبحت اكبر منه .. اصبح فى نظرى .. عيل .. وانا كبيرة .. زوجة .. اريد شيئا كبيرا ..

وفى الأيام التى كان عبد السلام يبقى فيها فى القاهرة .

كنت اصر على ان يصحبنى للعشاء فى الخارج كل ليلة .. وكنت انتقى المحال التى تعودت ان اقرأ عنها دون أن اراها .. الهيلتون .. مينا هاوس .. روف سميراميس ..

وفى روف سميراميس ، رايت هاشم لأول مرة ..

الدكتور هاشم .. على سن ورمح .

رايته طويلا .. عريضا .. عيناه منتفختان كانه مستيقظ لتوه من النوم .. فيهما نظرات معلقة فى الهواء ، لا تدرى اينظر بهما اليك ، ام انه لا يراك .. وشفتاه غليظتان ، منفرجتان دائما نصف انفراجة .. لا تدرى ما بينهما .. ابتسامة .. ام تأوه .. وانفه اقنى .. قوى .. ان كل ما فيه قوى .. انه يشبه الممثل الأمريكى روبرت ميتشام ، ولو انه أقل طولا ، واقل عرضا .. ونظرت اليه طويلا .. انه من هذا الصنف من الناس الذين تضطر بمجرد أن تراهم ، ان تنظر اليهم طويلا ، لأن فيهم شيئا يميزهم عن بقية الناس .

ولا ادرى هل كان ينظر الى بعينيه المنتفختين ام أن عينيه كانتا متجهتين نحوى ، بلا قصد .. ولكنى شعرت أن نظرتى اليه تنقل احاسيس عجيبة الى جسدى .. الى جسدى .. لا الى قلبى ولا الى فهمى .. وبحركة غيرا ارادية وجدت نفسى اشد ثوبى فوق ركبتى ثم ارفع كفى واغطى بها ذراعى .. كانى احمى نفسى منهى ..

وداومت ليلتها النظر اليه .

نظرات مختلسة لا يلمحها زوجى الجالس بجانبى .. ولا ادرى ، لماذا تعمدت ان تكون نظراتى اليه بصراحة ، دون ان اخشى زوجى .. فأنا لا اعرفه .. وليس بينى وبينه شىء .. ولكنى اعود وانظر اليه .. واغتاظ .. اغتاظ من نفسى ،

ومنه ويشتد غيظى .. ان منظـــره يثيرنى .. يجعلنى افكر ان اقوم واضربه بالقلم .. واشد انفه الكبير .. انه يبدو مغرورا .. متعاليا .. كانه يملك الدنيا كلها .

ورآه زوجى ، فهمس فى صوت مبهور كأنه راى شيئا رائعا .. كأنه راى نابليون بونابرت ، أو روبرت ميتشام ..

ــ ده الدكتور هاشم ..

وكانت اول مرة اسمع اسمه .. سمعته من زوجى عبــد السلام ..

واغتظت ساعتها من عبد السلام .. اغتظت منـــه اكثر من غيظى من منظر الدكتور هاشم .. لماذا انبهر كل هـــذا الانبهـــار .. لماذا لا تكون له شخصية قوية لا تنبهر بأمثال الدكتور هاشم .. وشعرت به صغيرا ، تافها .. شعرت بالسخط علية ، والقرف منـــه .

وعاد يقول وهو لا يزال مبهورا وعيناه معلقتان بالدكتور هاشم ، وكانه يبتهل اليه :

ــ ده دكتور شاطر قوى ، مع انه لسه صغير .. تصورى ان ابن عمى غلب مع دكاترة مصر .. ما حـــدش عرف يخففـــه الا الدكتور هاشم ..

ولم ارد عليـــه .. هـــززت كتفى ، وقلبت شـــفتى .. كأنى لا ابالى ..

ورفع زوجى عنقـــه فى زهو ، كأنه يتباهى بانه يجلس فى نفس المكان الذى يجلس فيه الدكتور هاشم .. ثم قال والبهرة تطل من عينيه :

ــ اقوم اسلم عليـــه .. ده مؤكد عارفنى من أيام ما كان بيعالج ابن عمى .

وصرخت فيه صرخة هامسة حادة :

ــ لا .. اذا كان عارفك ييجى هو يسلم عليك ..

ونظر الى فى دهشة .. وسكت ..

ولم يتعرف الدكتور هاشم على زوجى ، ولم يأت لمصافحته .. بل لم أر فى نظراته المعلقة فى الهواء ، انى اثرت انتباهه او لفت نظره .. وعدت الى البيت وانا احس بالفشل .. لم اكن انسب فشلى الى الدكتور هاشم .. لا .. فأنا لا أعرفه .. ولا يعرفنى .. ولكن لابد انه هو الذى اثار فى الاحساس بالفشل ..

وقبلنى زوجى فى السيارة أمام البيت .. قبلنى على خدى .. ثم عاد الى الفندق الذى تعود أن يقيم فيه ، كلما جاء الى القاهرة .. وجلست مع امى اروى لها اخبارى .. قلت لها كل شىء .. وبين كل كلمة واخرى أهم أن اخبرها انى رايت ضمن من رايت الدكتور هاشم .. ولكنى اؤجل الخبر .. واخيرا .. فى آخر نشرة الأخبار . قلت لها بلا مبالاة :

ــ وشفنا الدكتور هاشم ..

وانبهرت امى كما انبهر زوجى عبد السلام ، وقالت :

ــ والنبى جد .. وكان مع مين ؟

قلت وانا مندهشة من انبهارها :

ــ مع شوية رجاله وستات .

وعادت أمى تقول وبهرتها لا تخفت :

ــ تعرفى انه هو اللى عالج سوسو بنت حسنيه هانم .. واعادها للحياة .. ده بيقولوا عليه انه معجزة .

وحنيت راسى فى يأس .. كأنى صدمت لأن امى لا تريد أن تغتاظ معى من الدكتور هاشم ..

واستطردت أمى وهى تمصمص شفتيها :

ــ انا عارفه الراجل ده ما بيتجوزش ليه .. ده ما فيهش حاجه ناقصه على الجواز ابدا ..

وقمت من جانبها وانا اتنهد .. دون ان ارد عليها .

ووقفت أمام مرآتى ، وقد خلعت ثيابى ، اتأمل جسدى .. وأحدق فيه أكثر من كل يوم .. واتامل كل خط .. كل ثنيـــة .. وقفز الى ذهنى تســـاؤل مفاجىء كأنه انطلاقة برق شقت ظلام فراغى :

هل يمكن ان يكون الدكتور هاشـــم هو زوجى ، بدلا من عبد السلام ؟

ــ ٢ ــ

.. ومن يومها لم اســـتطع ان انزع صورة الدكتور هاشم من راسى .. والسؤال يعود ويتردد فى صدرى .. لماذا لا اتزوج هاشـــم بدلا من عبد الســـلام .. واحس ان هذا التساؤل نوع من الخيال .. نوع من احلام اليقظة البعيدة .. كأنى أحلم بالزواج من روك هدسون ، أو روبرت ميتشام .. ولكن .. لماذا يكون زواجى بالدكتور هاشم مجرد حـــلم .. لماذا أعتبره شيئا كبيرا بعيدا كروك هدسون ، أو روبرت ميتشام ، انه رجل عادى .. مجرد طبيب ناجح .. واى فتاة يتزوجها لن تزيد عنى فى شىء بل انا اجمل من اى بنت يمكن ان يتزوجها .. كل ما هنـــاك انى قليلة البخت ، ليكون نصيبى من الرجال ، رجلا كعبد السلام .. وامى عبيطة لتتركنى اتزوج عبد السلام .. انها لا تستطيع

ان نقــدر قيمة جمالى .. لا تستطيع أن تقــدر قيمة الكنز الذى سيكتشفه الرجل الذى يتزوجنى ..

واقفز من فراشى واقف امام مرآتى لأطمئن على كنزى .

وفجاة . .بدا يداخلنى شك فى قيمة هذا الكنز .. بدات اتذكر راى الناس الذين لا يعجبهــم جمالى .. وابحلق فى المرآة لاتأكد ان لون بشرتى ليس اصــفر ، كما يقولون . ابيض كاللبن الحليب .. وان عينى ليستا جاحظتين .. ورفعت صدرى بكفى . كانى ازن ثقــله لأتأكد من انه ليس صــغيرا .. واستدرت امام المرآة لأتأكد من ان ظهرى ليس ممسوحا .. والشك يفتك بى .. انها المرة الأولى التى افقد فيها ثقتى بنفسى الى هذا الحد .. ثقتى بجمالك .. والدكتور هاشم هو السبب .. هو الذى اثار فى نفسى الشك .. هو الذى يقلقنى .. ولكن .. الدكتور هاشم ليس له ذنب .. انه لا يعرفنى .. بل لعله لم يرنى .. ولكنه خيالى .. طموحى .. انى اكره ان اصــف نفسى بالطموح .. لست طموحة .. ان الفتــاة الطموحة ، هى التى ينقصها شىء .. وانا لا ينقصنى شىء .. ثم من هو الدكتور هاشــم ، ليثــير طموحى .. انه رجل كبقية الرجال .. باشارة واحــدة يسقط تحت قدمى .. وكل ما احتاج اليه هو ان اتخلص من خيــالى .. واحمد الله على نصيبى ، واسكت ..

ولكنها لم تكن المرة الوحيدة التى رايت فيها هاشم .. لقد رايته بعدها مرة اخرى عندما ذهبت انا وزوجى لنتنــاول عشاءنا فى الهيلتون .. ومرة ثالثة عندما ذهبنا الى مينا هاوس .. كل مكان اذهب اليه اراه فيه .. كان القدر يشد احدنا الى الآخر .. بل ان زوج خالتى اوصانا مرة ان نذهب .. زوجى وانا .. لنتناول عشاءنا فى مطعم « الجريون » .. ولم اكن قد ذهبت

الى هذا المطعم ولا سمعت به .. وعنـدما ذهبت .. رايته .. هاشم .. واقفا مستندا الى حافة البار ، يتناول كاسا من الويسكى .. وكدت ابكى من الغيظ .. انى لا اريد ان أراه .. انه يثير خيالى ، وخيالى يقلقنى .. ورغم ذلك فانى لم اتوقف عن اختلاس النظر اليه .. ولم أر منه الا هذه النظرة المعلقة فى الهواء التى تطل من عينيه المنتفختين ، والتى لا ادرى ايرانى بها ، ام لا يرانى .. وهاتان الشـفتان المنفرجتان ، واللتـان لا أدرى ، أبينهـما ابتسامة ، ام تأوه .. وزوجى بجانبى ينظر اليه مبهورا ، وابتسامته سائلة على شـفتيه ، كأنه لم يفقـد الأمل فى أن يتعرف عليـه هاشم يوما ، ويتقدم لمصافحته ..

وليلتها عدت الى البيت ، وانا اعانى الاحسـاس بالفشـل .. الاحساس الذى يلازمنى دائما كلما عدت بعد ان أرى هاشم .. احساس بأنى لم استطع ان الفت نظره .. لم اسـتطع أن ادخل حياته ، حتى ولو من خلال نظرة عابرة .. ولكنى فى هذه الليلة تعذبت اكثر .. عذبنى سخطى .. وحيرتى .. وضعفى ..

وفى اليوم التالى قمت متعبة .. والغيظ يهدنى .. واخذت اطوف بحجرات البيت ، وليس لى طاقة لأبدل قميص النـوم .. او امشط شعرى .. أو انظر الى وجهى فى المرآة .. وصورة هاشم تلاحقنى فى كل غرفة .. وتقفز امام عينى فى كل خطوة والغيظ منه يشد اعصابى ، ويثيرنى .. اريد ان اضربه .. ان اشد انفه الكبير .. ان اسخر منه .. ان امرمطه ..

وفى الساعة الواحدة والنصف .. رفعت سماعة التليفون ، وادرت رقم عيادة الدكتور هاشم ، وصرخت فى التومرجى الذى رد على :

ـــ من فضلك ادينى الدكتور قوام .

وقال التومرجى المؤدب :

ـــ مين حضرتك ؟

قلت :

ـــ احنا عندنا حاله مستعجله . وعايزين الدكتور قوام .

وقال التومرجى المؤدب :

ـــ دقيقه واحده ، من فضلك ..

و .. وسمعت صوت هاشم لأول مرة .. غليظا ، عميقا ، بطيئا . كأنه بتثاءب .. وقلت فى حدة بمجرد ان سمعت صوته :

ـــ تسمح تقول لى ، حاتسهر فين الليله ؟ ..

وقال دون ان تبدو عليه الدهشة :

ـــ اقدر اعرف ، ليه ؟ ..

قلت وانا اشد حدة :

ـــ علشان ما اسهرش فى الحته اللى تسهر فيها ..

قال ببساطة :

ـــ طيب ما تسهريش الليلة فى سميراميس ..

ثم وضع سماعة التليفون ..

المجرم ، السافل ، لقد وضع سماعة التليفون قبل ان اضعها .. انها غلطتى .. كان يجب أن القى السماعة فى وجهه قبل ان اسمع رده على سؤالى .

وعاودنى الاحساس بالفشل .. اقسى ، وامر .. والغيظ يفرينى ..

وعندما جاء زوجى ليتناول طعام الغداء ، عنــدنا ، قلت له فى اصرار لا داعى له . اننا سنتعشى الليلة فى مينا هاوس .. قلتها بصوت عال ، كأنى أريد أن يسمعنى الدكتور هاشـــم .

وليلتها .. عندما وقفت أمام المرآة لأستعد للخروج ، وجدت نفسى اغير من تسريحة شعرى .. تركته يتهــدل على عينى .. انه هكذا أكثر اثارة ، وأكثر اجتذابا للأنظار .. ثم تعمــدت أن اضع « سوتيان » محشوا بالقطن . كنت قد اشتريته قبلهـــا بأسبوعين .. وأخذت فى اصبعى مسحة من قلم الروج ، ودعكت بها وجنتى حتى أتأكد من انهما ليستا صفراوين كما يقول البعض .. وأكثرت من وضـــع الكحل فوق جفنى حتى يقــلل الظل من اتساعهما .. حتى لا يبدوان بارزتين كما يقولون .. وارتديت ثوبى الأبيض .. انه ثوب ضيق .. مثير .. واســـتدرت أمام المرآة .. هل حقيقة ان ظهرى ممسوح .. لا .. انى لا أراه ممسوحا ..

ولكن .. من يدرى .. وعدت وخلعت الثوب وجئت بشـــال من الحرير . ولففته اسفل ظهرى .. كما تفعل الراقصـــات .. ثم ارتديت فوقه الثوب .. ان البروز واضح الآن .. والثوب اصبح أكثر اثارة ..

وكنت افعل كل ذلك . وانا انكر على نفسى انى افكر فى هاشم ، أو أتخيله .. كنت مستجمعة كل ارادتى حتى لا انســاق الى خيالى .. كنت مستجمعة كل ارادتى لأكذب على نفسى ..

وركبت بجانب زوجى فى سيارته . واتجهنا الى مينا هاوس كما اتفقنا فى الصباح .. وانا صامتة .. احاول ان أؤكد لنفسى أنى فعلا أريد أن أذهب الى مينـــا هاوس . لن اغـــير رأيى ..

ابدا .. لن اغير رايى .. و .. ولكن ، قبـــل أن نصـــل الى كوبرى قصر النيل ، التفت الى زوجى وقلت مبتسمة :

ــ ايه رايك نروح سميراميس .. اقرب ..

وابتسم زوجى ابتسامة كبيرة كشفت عن سنته الذهبية فى جانب فكه ، وقال :

ــ زى ما انتى عايزه .. اللى تأمرى بيه .. انتى الليـــلة تتاكلى اكل ....

وقلت فى يأس :

ــ متشكرة ..

لماذا سمع كلامى .. لماذا لا يعاوننى على اجتياز ازمتى .. لماذا لا يمحينى من نفسى .. ولكنـــه لا يدرى .. لا يدرى انى منطلقة وراء خيالى .. وفى خيالى زوج آخر غيره ..

وذهبنا الى سميراميس .. وجاء هاشم متأخرا ، وجلس على مائدة مزدحمة بالرجال والنساء ، وادار راسة على بقيـــة الموائد بمجرد ان جلس .. وخيل الى انه يبحث عنى .. غرور .. ان راسه لم يتوقف عندى .. وليس فى عينيه ســوى هذه النظرة المعلقة فى الهواء .. وشفتاه منفرجتان هـــذه الانفراجة التى لا تدل على ابتسام ولا على تأوه ..

ومن يومها يئست من الهـــروب من خيـــالى .. استسلمت له .. واعترفت انى أتمنى لو كان الدكتور هاشم زوجى بدلا من عبد السلام .. واعترفت أن هذه الأمنية تستبد بى .. لا ادرى كيف أحققها .. ولا أدرى كيف اتخلص منها .. واصبحت أخرج مع زوجى فى الأيام التى يقيم خلالها فى القاهرة ، كأنى ذاهبة الى لقاء هاشم .. او ذاهبة للبحث عنه .. وكنت دائما أجده .. كأنى اعرف خطواته .. شىء غريب .. ولكن هـــذا هـــو ما كان

يحدث .. وفي مرة ذهبت الى الهيلتون ، وانتظرت الى الساعة الحادية عشرة ، ولم يظهر هاشم .. فقلت لزوجي :

ــ انا متضايقة .. الناس الليله دي دمها تقيل .. تعالى نروح مينا هاوس .. عايزه اشم هواء ..

وذهبنا الى مينا هاوس .. ورايت هاشم هناك ..

واصبحت استثقل الأيام التي يعود فيها زوجي الى السويس . لاني لا اخرج ولا ارى هاشم .. واصبحت انتظر عودته من السويس ، كأني انتظر هاشم .. والح عليه ان يطيل بقاءه في القاهرة .. والمسكين سعيد .. يظن اني ازداد تعلقا به ..

وفي كل ليلة اعود لأجلس مع امي وادفعها دفعا الى التحدث عن هاشم .. بل اني كنت اجر الحديث عن هاشم في كل مجتمع يضمني .. مع صديقاتي .. مع خالاتي .. اريد ان اعرف عنه كل شيء .. وعرفت انه يقيم مع اخته وزوجها في فيلا بالمعادي .. وانه أعلن خطبته منذ خمس سنوات ، ثم فسخها بعد شهرين . .لا احد يدري السبب ، على وجه التحديد .. وان سيدة مشهورة اسمها ناهد ، احبته منذ عامين .. ثم انفصلا ، ولا احد يدري لماذا .. ربما لأنها كانت اكبر منه .. و .. و .. كل ما يعرفه الناس ، عرفته . .وخيالي يتجسد أمامي .. ويتجسد اكثر .. اني اكاد احس بهاشم ينام في سريري .. وانفاسه فوق وسادتي .. واتقلب في نومي ، واجذب الملاءة معي ، فأحلم باني جذبتها من فوقه وهو راقد بجانبي .. فأصحو من نومي .. وأبتسم .. ابتسم له .. كأني اعتذر بابتسامتي لأني جذبت الملاءة من فوقه ..

وكل شيء يبدو سهلا امامي .. اني استطيع ان اصل اليه .. واستطيع ان اتزوجه .. ربما كانت غلطتي وغلطة أمي .

اننا لم نختر عبد السلام ، ولكن عبد السلام هو الذى اختارنى .. لو اننى انتظرت حتى اختار انا .. حتى التقى بالرجل الذى اريده واقرر الزواج به ، فربما تزوجت الدكتور هاشم .. واصبحت احمل الاسم الكبير .. حرم الدكتور هاشم .. كل البنات يفعلن هذا .. يخترن الرجل ، ثم يضعن خطة ليدفعنه الى الزواج ..

ولكنى لم اضع خطة ..

صدقونى انى لم اضع خطة ..

تصرفت تلقائيا ، بلا تفكير ..

اتصلت بعيادته فى الصباح ، وطلبت تحديد موعد لكشف خاص .. وحدد لى التومرجى موعدا فى الساعة الواحدة بعد الظهر .. وحاولت وانا واقفة امام المرآة ان اعتنى بزينتى اعتناء خاصا .. ولكنى لم استطع .. كنت مرتبكة .. لا .. لم اكن مرتبكة .. كنت ساهمة .. ولم اجد صعوبة يومها فى الخروج من البيت وحدى .. انى متزوجة .. وامى لم يعد لها حق على .. وذهبت وليس فى راسى كلمة واحدة مما ساقوله لهاشم .. ليس فى راسى شىء .. ساهمة .. كل ما فعلته وانا ادخل العمارة التى تقع فيها العيادة هو انى خلعت دبلة الزواج من اصبعى والقيت بها فى حقيبتى .. لم يكن هذا جزءا من الخطة ؛ ابدا .. ولكن فعلته لانى خجلت أن تظل دبلة الزواج فى اصبعى وانا فى طريقى الى الرجل الذى اريده .

وجلست فى غرفة الانتظار المخصصة للسيدات .. انها مزدحمة .. نساء وبنات كثيرات .. ولا ادرى لماذا خيل الى انهن كلهن اصحاء .. ليست بينهن مريضة واحدة .. ولكنهن مثلى جئن ليتعرفن بالدكتور هاشم .. فقط ليتعرفن به .. وكرهتهن جميعا .. وكانت بينهن فتاة فى مثل سنى .. ماذا تفعل



هذه الفتاة هنا .. انها لا تبدو مريضـــة .. وجنتاها فى لون الطماطم .. وعيناها وقحتان .. وجسدها ممتلىء بالعافية .. تستطيع ان تهد جبلا .. ونظرت اليها كأنى احاول ان أخنقها بعينى .. لا بد أنها من البنـــات المائعات ، الفارغات ، اللاتى يترددن على عيادات الأطباء لقطع الوقت .. وابتسمت .. ابتسمت ساخرة من نفسى .. انى أنا أيضا من البنات المائعات الفارغات ..

وادرت عينى عن الفتاة .. وابتسامتى التى اسخر بها من نفسى لا يزال طعمها بين شفتى .. وسقطت عيناى فوق أصبعى الذى خلعت منه خاتم الزواج .. وداهمنى احســـاس مفاجىء بأنى عارية .. فغطيت اصــبعى بكفى ، بسرعة ، كأنى أغطى نفسى ..

وحاولت ان اهدا .. حاولت ان اجمع ذهنى المشتت لأفكر فيما افعله .. ربما كنت مجنونة .. ربما كان من الأســلم لى ان اطرد كل هذه الخيالات من راسى واعود الى بيتى . والى زوجى الرجل الطيب ..

ولكنى لم اهدا .. وجاء التومرجى واخــذ منى جنيهين أجر الكشف .. وأعطانى ايصالا .. ونظرت الى الايصال ، وعــدت ابتسم ساخرة من نفسى .. انها المرة الأولى التى تدفع فيها فتاة ثمن لقائها مع رجل .. جنيهان لأرى رجلى .. لأرى خيالى .. انه احساس مهين .. احساس أذلنى .. وحاولت ان اقتنع نفسى بأنى أدفع ثمن تذكرة ســينما .. كأنى فى طريقى لأرى فيلما لروبرت ميتشام .. ان روبرت ميتشام أيضا يملأ خيالى .. كل ما هناك أن تذكرة الدكتور هشام اغلى قليلا من تذكرة روبرت ميتشام .. ولكن .. لا .. انى لا أحس بهذه الرجفة ؛ ولا بهذا الارتباك وانا ذاهبة الى السينما ، حتى لو كان البطل هو روبرت

ميتشام .. وعاودنى الاحساس المهين .. احســـاس بأنى ادفع ثمن لقائى بالرجل الذى اخترته .. كأنى اشتريته بالفلوس ..

وحاولت أن اطرد هذا الاحساس ؛ لأعود وافكر فى هدوء .. ولكنى لم أستطع .. السيدة العجوز التى تجلس بجانبى مالت على بكل جسمها ، وسألتنى :

ـ وانتى يا حلوه بتشتكى من ايه ؟

وترددت برهة .. لم اكن قد قررت نوع المرض الذى ادعيه .. كان الموضوع قد غاب عنى حتى هذه اللحظة .. وقلت فى تلعثم :

ـ بادوخ .. وعندى صداع مستمر ..

وقالت السيدة العجوز وهى تبتســم واثقة كأنها تعــلم كل شىء :

ـ يبقى عندك مصران اعور .. اصل بنت اختى كان عندها .. و ..

وانقذنى منها التومرجى المهذب .. جاء دورى :

ـ اتفضلى يا افندم ..

وخيل الى انى تشبثت بمقعدى برهة .. لا اريد ان اذهب اليه .. اريد أن أعود الى بيتى .. ولكنى تمالكت نفسى وقمت والرجفة تسرى فى دمى .. وسرت وراء التومرجى ، وانا اشعر بعيون المنتظرات تلســع ظهرى ، كأنهن يرين رجفتى ويعرفن سرها ، وكأنهن يحسدننى لأنى سبقتهن الى الجنة .

ووجدت نفسى معه ..

مع الدكتور هاشم ..

لأول مرة ..

فى غرفة مكتب هادئة .. غامقة اللون .. خافتة الضــوء

.. ينطلق فيها هواء رطب ، من مكيف الهواء .. وفوق المكتب التان للتليفون . احداهما بيضاء .. وهو واقف .. طويلا .. عريضا .. انفه قوى .. ويرتدى حلته كاملة ، وليس فوقها معطف ابيض . كما تصورت .. كأنه واقف ليستقبل مدعويه فى بيته ..

وانطلقت من بين عينيه المنتفختين نظرة بارقة .. كأنها نظرة دهشة .. كأنه فوجىء .. ثم أرخى عينيه عنى سريعا ، وابتسم ابتسامة خفيفة مرت بين شفتيه المنفرجتين بسرعة .. ثم أشار الى مقعد عريض بجانب المكتب ، وقال فى صوت خفيض .

ــ اتفضلى ..

ولف حول المكتب وجلس على كرسيه ..

وجلست انا على حافة المقعد .. والرجفة لا تزال تسرى فى دمى .. حائرة اين اضع نظرات عينى .. هل انظر اليه .. هل انظر امامى .. هل انظر الى حذائى .. ولا ادرى ماذا كان لون وجهى ساعتها .. هل كان أحمر ، ام اصفر .. ولم ادر هل اتكلم ام اسكت .. ولكننى .. فجأة .. وجدت نفسى انطلق بالكلام كأنى افر به من ارتباكى :

ــ انا يا دكتور بأحس بدوخه .. ودايما عندى صداع .. وماليش نفس للأكل .. ولما بقوم من النوم بابقى دايخه .. ولما ..

وقاطعنى ، وهو يخرج ورقة مطبوعة من درج المكتب ، وكأنه لم يسمع كلمة واحدة مما قلت :

ــ الاسم من فضلك ؟ ..

وقلت وانا مستطردة فى الكلام :

ــ ميتو ..

ورفع الى عينيه فى دهشة ، وابتسامة كبيرة تملأ شفتيه ..

واستدركت قائلة :

ــ امينة .. امينة سالم ..

قال وهو يكتب ؟ ..

ــ السيدة ؟ ..

وترددت قليلا ثم قلت :

ــ آنسة ..

انى لم اكذب .. انى آنسة فعلا ، لم ازف بعد الى زوجى .. واسترحت لأنى اقنعت نفسى بانى لست كاذبة ..

وعاد يسألنى ، وقد سحب ابتسامته من بين شفتيه . واكتسى وجهه بمظهر الجد :

ــ السن ..

ــ تسعتاشر ..

ورفع الى عينيه فى نظرة سريعة ، كأنه اكتشف كذبى .. لا .. لا يمكن أن يكون قد اكتشف كذبى . انى طويلة ، وكل من يرانى يقدر عمرى بأكثر من سبعة عشر عاما ..

وعاد يسألنى :

ــ عملتى عمليات قبل كده ..

قلت وانا انتهز فرصة احناء راسه وهو يكتب ، لاملأ عينى منـــه :

ــ المصران الأعور .. واللوز ..

قال :

ــ اتحصبتى وانتى صغيره .. فاكره عييتى بايه ؟

وبدات اشعر بالضيق .. انه يسألنى كأنى فتـــاة صـــغيرة .. وطريقة سؤاله تسد فى وجهى كل الأبواب .. كأنه صـــدق انى مريضة .. وكدت اصرخ فى وجهه انى لست مريضـــة ..

ثم اقوم واضربه بالقلم .. واشد انفه الكبير .. ولكنى تمالكت نفسى ، وقلت :

ــ عييت بالحصبة .. ومش فاكره أكثر من كده ..

واعتدل فى مقعده . ونظر الى نظرة جادة ، وقال :

ــ قوليلى باه .. ايه اللى تاعبك ..

ولم اتحمل نظراته الجادة ، ارخيت عينى . واخذت اعـــدد له كل ما خطر لى من مظاهر المرض .. صـــداع .. دوخه .. مغص .. ضعف الشهية .. امســاك .. اســـهال .. قلبى .. جنبى ..

ونظر الى فى حيرة ..وقال وهو يتنهد كأنه يلعن مهنته :

ــ نشوف ..

وضغط على جرس بجانبه ، وانحنى يكتب شيئا فى الورقة التى امامه ..

وفتح باب فى داخل الغرفة ، واطلت منه ممرضة ســـمينة يبدو عليها انها فى الأربعين من عمرها .. أجنبية .. ربما كانت يونانية .. واشارت الى ، وقالت بلكنتها المكسرة :

ــ اتفضلى ..

وخفت ..

لا ادرى لماذا ..

ولكنى خفت ..

وبقيت فى مقعدى .. ونظـــرت الى هاشـــم كانى استغيث به .. وكان هاشم لا يزال يكتب .. ورفع رأسه ، واتسعت عيناه كأنه دهش لأنى لا زلت فى مقعدى .. وقال هو الآخر وهو يشير الى الباب الذى فتح :

ــ اتفضلى ..

وقمت ، وركبتاى ترتعشـــان .. ونظـــرت اليه نظرة أخيرة كانى استحلفه ان يكون رفيقا بى .. أو يعذر جنونى .. ودخلت حجرة الكشف ، وأغلقت المرضة الباب وراءنا .. ثم أشـــارت الى « بارفان » موضوع فى جانب الغرفة وقالت بلهجتها العربية المكسرة :

ــ اتفضلى اقلعى ..

قلت وأنا ابتلع ريقى بصعوبة :

ــ ضرورى ..

قالت دون ان يهتز لها رمش :

ــ ضرورى يا مدام ..

قلت والدموع تقفز الى عينى :

ــ مش ممكن الدكتور يكشف على من فوق الفستان ..

قالت :

ــ لا .. مش ممكن يا مدام ..

ووقفت امامها مبهوتة كانى سمرت فى الأرض .. وعادت تقول فى ضيق ..

ــ اتفضلى ..

قلت وأنفاسى تتلاحق فى صدرى :

ــ اقلع ايه ؟

قالت :

ــ كله .. كله ..

وحنيت رأسى .. وخطوت وراء البـــارفان كأنى احتمى به .. احتمى به .. احتمى به من الممرضة ومن الدكتور ، ومن نفسى .. ووقفت برهـــة وأنا لا أتحـــرك .. لماذا اعرض نفسى لكل هذا الهوان .. انى لم افكر فى أن كل هذا يمكن أن يحدث

نى . . و . . ولكنى لا استطيع ان اتراجع . . كذبتى كبرت الى حد انى لم اعد استطيع ان اهرب منها . .

ثم ماذا لو خلعت ثيابى امام الطبيب . . كل النساء يخلعن ثيابهن امام الأطباء . . ومنذ خمس سنوات ذهبت الى الطبيب مع امى ، وكشف على . . انى لا افعل شيئا اكثر مما تفعله اى بنت تذهب الى طبيب . .

وكنت احاول ان اقنع نفسى . . ان اضحك على نفسى . . ولكنى لم استطع . . ربما لأنى لم اذهب الى الطبيب لأنى مريضة ؛ بل لأنى امرأة . . ولم اذهب اليه كطبيب ، بل ذهبت اليه كرجل . .

وبدات اخلع ثوبى فى بطء . . وخجل . . خجل ينطلق فى صدرى كصاروخ النار ، وبصهر وجنتى . . اكثر من خجـــل . . انه احساس بالفضيحة . . والدموع تتجمع فى عينى . . دموع فضيحتى . . ودموع ذلى . . وفى وسط كل هـــذه الأحاسيس الصارخة ، تذكرت انى ارتدى قميصا داخليا عاديا من الجرسية . . ان عندى قميصا داخليـــا ابيض من « النرلون » الطبيعى ، مطرز بالدانتيل ، على جنبيه ، وفى ذيله ، لماذا لم البسه . . يا ربى !

والدموع المحبوسة لا تزال تحرق عينى . .

واطللت براسى من خلف البارفان الأطمئن الى ان الدكتور لم يدخل الحجرة بعد . . ثم خطوت نحو المرضة ، ووقفت أمامها صامتة خجلة . .

وقالت المرضة بمجرد أن رفعت عينيها الى :

ــ لسه يا مدام . . السوتيان . . والجرتيير كمان . . خليك بالكوملزون بس . .

قلت فى حدة :

ـ لا .. كفايه كده ...

قالت وهى تبتسم كأنى لست الفتاة الأولى :

ـ مش ممكن يا حبيبتى .. عايزه الدكتور يكشف، عليك ازاى ..

ثم مدت يدها بسرعة فى ظهرى ، وفكت مربط السوتيان .. وانحنت تحاول ان تفك الجرتير ، ولكنى سبقتها اليه ..

ثم سحبتنى من يدى ، وارقدتنى فوق أريكة الكشف ، وغطتنى بملاءة بيضاء ..

وجذبت الملاءة حتى عنقى ، وتشبثت بها ، بكل أصابعى العشر .. وفى عينى نظرات خائفة مذعورة ..

وذهبت المرضة ، وفتحت الباب ، ليدخل هاشم ..

لم ينظر الى ..

لم ينظر الى قطعة منى ..

جلس على مقعد موضوع بجانب الأريكة التى ارقد عليها .. وناولته المرضة سماعته فعلق طرفيها فى أذنيه ، ثم حاول ان يجذب الملاءة من فوق صدرى .. ولكنى تشبثت بها .. ونظرت اليه بعينى الخائفتين .. ارجوه .. اتوسل اليه .. استغيث به ..

ونظر الى نظرة جامدة ملأت عينيه المنتفختين ، وقال فى لهجة حازمة صارمة :

ـ ارجوكى ..

ونظرت اليه مليا .. والدموع تكاد تقفز من عينى .. ثم أدرت راسى عنه ورفعت ذراعى وغطيت بها عينى .. لا اريد ان اراه .. لا .. لا اريد ان ارى نفسى .. وكل قطعة من جسدى متوترة ، كأنها تتحفز للدفاع عن نفسها ..

واحسست بأصابعه تقترب من صدرى .. هل هى اصابعه

ام موهبة السماعة .. لا ادرى .. ولكنى احس بطرقات عنيفة على باب الكنز .. انى اكتشف .. لأول مرة احس انى اكتشف .. وانا خائفة .. خائفة .. اموت من الخوف ..

وسمعت صوته يأمرنى :

ـ خدى نفس طويل ..

كيف استطيع ان اتنفس .. انى لا استطيع .. نفسى مقطوع .. مزق .. مزقه الخوف .. والخجل .. والرهبة .. وانت ..

وعاد يأمرنى :

ـ اتنفسى ..

وتنفست كأنى اشد نفسى من بئر عميقة .. وصدرى منتفض .. ثائر .. حساس . يحس بكل حركة من اصابعه .. ربما كان يتخيل حركات لم تحدث .. فينتفض اكثر .. وذراعى فوق عينى المغمضين .. وفجأة احس كأنى ساهيم .. كأنى سأرتاح .. سأستسلم .. فأرفع ذراعى ، وافتح عينى .. حتى ارى النور .. لأفيق .. كأن النور دش يفيقنى .

وسمعته يقول :

ـ اتفضلى اقعدى ..

ثم مد يده وامسك بذراعى ، ليساعدنى على ان اعتدل من رقدتى .. وجلست فوق الأريكة ، وانا الف الملاءة فوق صدرى وارتجف ..

ووضع سماعته فوق ظهرى ، من تحت قميصى .. وكل ما احس به انفاسه الساخنة تلفح ظهرى .. واصابعه الباردة تصطدم بلحمى .. ويقول :

ـ اتنفسى من فضلك ..

يا لك من قاس .. اعفنى من التنفس .. لم يعد فى شىء يتنفس .. انى اتصبب عرقا .. الا ترى ..

ولكنى تنفست .. لأنه يريدنى أن اتنفس ..

وعاد وارقدنى .. ونظرت اليه نظرة سريعة .. ان وجهه صارم ، جاد . كأنه لم يكتشف شيئا .. كأن ليس بين يديه كنز .. كأنى مجرد كيس من القطن ، لم تشعر أصابعه بسخونته .. برجفته .. بتحفزه ..

ومد يده من تحت الملاءة .. وضغط على بطنى ، وهو يقول :

ــ حاسه بوجع ..

يا مجنون .. الا تكفى أصابعك لتؤلمنى .. انهـا تؤلم كل قطعة منى .. انها تشعل النار فى اعصابى .. فى راسى .. انى احس بها تحت جلدى ..

وعـدت اغمض عينى . واضـع ذراعى فوقهما . واجبت هامسة :

ــ لا ...

ونقل أصابعه ، يضغط بها فوق كل بطنى . كأنه طفل يلهو بكرة منفوخة نصف انتفاخة .. ثم قاس النبض .. وقاس ضغط الدم ..

ثم قام فجأة من جانبى .. هو يقول :

ــ متشكر ..

واختفى فى الحجرة المجاورة ..

وساعدتنى الممرضة على القيـام من فوق الأريكة .. وانا تعبد .. منهوكة .. هدنى الخجل .. وهدتنى المقاومة .. مقاومة احاسيسى التى اثارتها اصابع الدكتور هانى ..

وارتديت ثيابى ، وانا اشعر بدوار يكاد يوقعنى على الأرض ..

وفتحت لى الممرضة الباب ، وخرجت اليه ..

وكان واقفا بعيدا عن مكتبه ، واستقبلنى وظل ابتسامة خفيفة يلمع فوق أسنانه البيضاء القوية .. وقال :

ـ انتى ما عندكيش حاجه .. وانا كتبت لك دوا للأعصاب .. حبه واحده قبل النوم .

ومد لى يده بورقة العلاج ..

وتناولتها منه بيد مرتعشة .. وظللت واقفة ابحلق فى وجهه بكل عينى .. لم اتحرك .. لا استطيع .. لا يمكن أن ينتهى كل ما فعلته عند هذا الحد .. لابد ان يحدث شىء آخر .. لا ادرى ما هو .. ربما اردت ساعتها أن يسألنى عن عنوان بيتى ليأتى ويخطبنى .. لم لا .. لقد طرق ابواب كنزى .. وزوجى عبد السلام رآنى فى الشارع ، وتتبعنى الى ان عرف البيت ، وجاء وخطبنى فى اليوم التالى .. فلماذا لا يفعل مثله .. وربما كنت اريد اقل من ذلك .. كلمة .. اى كلمة ..

ولكنه صامت .. ينظر فى عينى المعلقتين بعينيه .. ولا يتكلم .. ولا كلمة .. فقط اتسعت ابتسامته ..

ووجدت نفسى اقول له بصوت مرتعش :

ـ انا شفتك قبل كده كتير يا دكتور ..

وقال وابتسامته تقفز الى عينيه :

ـ وانا كمان شفتك كتير ..

ثم سكت ..

وابتسمت .. الحمد لله .. لقد كان يرانى كلما رايته .. وقد كنت اعتقد انى لم الفت نظره ..

ولكنى لا اريد ان اتحرك . .

لا يمكن أن يكون هذا هو كل شيء .

وانا واقفة امامه كالصنم البارد .. وعيناى معلقتان فى عينيه .. وشفتاى ترتجفان .. بينهما كلام كثير لا استطيع ان احدده ، ولا ان انطق به . .

واتسعت ابتسامته . .

وجذب ورقة العلاج من يدى ، ثم انحنى على مكتبه ، وكتب عليها رقما ، ثم اعادها الى وهو يقول ، مبتسما :

ــ لو حسيتى بتعب مرة تانية .. أتصلى بى فى النمرة دى .. مع السلامة .

ونظرت اليه متسائلة . .

ثم سحبت نظرتى . .

وخرجت . .

ساهمة . .

وبصمات اصابعه فوق جسدى . .

غريبة .. غريبة هذه الثقة التى تشعر بها فى أنفسنا ، ونحن فى هذا العمر .. ثقة هائلة ضخمة .. ثقة التفاؤل . والحيوية الدافقة .. اننا نسير فى الحياة كمياه الجدول الصغير ، تقفز فرحة فوق الصخور التى تعترضها وهى لا تعلم أن هناك .. فى نهاية الطريق .. سيبتلعها البحر الكبير . .

ونحن لا نرى البحر الكبير .. لا نسمع به .. نتدفق فرحات .. ساخرات .. واثقات من أنفسنا .. الى أن يبتلعنا .. هذا البحر الكبير . .

وقد خرجت من عيادة الدكتور هاشم وانا أحس احساسا جارفا بالثقة فى نفسى .. احس بالقوة .. لم أحس بالقوة قدر

ما احسست بها فى هذا اليوم .. صحيح ان الرجفة كانت لا تزال تسرى تحت جلدى .. ولكنها رجفة لذيذة .. الرجفة التى تعقب المغامرة الناجحة .. كأنى قفزت من فوق سور عال ، ووقعت سالمة .. وضحكت ساعتها .. ضحكت فى سرى ضحكة كبيرة ملأت كل صـــدرى .. كأنى انتصرت .. انتصرت على الدكتـــور هاشم .. خدعته .. ووصلت اليه ..

وعدت الى البيت ..

ووقفت فجأة أمام الباب ، قبل ان امد يدى وأضـــغط على الجرس ..

لقد كدت انسى ..

وفتحت حقيبتى ، واخرجت منها خاتم الزواج ، واعدته الى اصبعى .. ولم اشعر انى غطيت اصبعى العارية .. لم أشـــعر بأنى كنت عارية ، كما شعرت عندما خلعته .. بل شعرت أنى وضعت فى اصبعى شيئا ثقيلا ..

ودخلت الى امى .. وجلست بجانبها أكذب عليها . لم اقل لها طبعا انى كنت عند الدكتور هاشم .. قلت لها انى كنت اطوف بالدكاكين .. واكتشفت ساعتها انى استطيع أن أجيد الكذب .. وانى أجيد تجنب الدخول فى التفاصيل حتى لا يكتشف كذبى ..

وتسللت من جانب امى بسرعة .. تسللت الى مرآتى .. ووقفت أمامها انظر الى نفسى بعينين ملهوفتين ، كأنى ســـارى شيئا جديد حدث لى .. حدث لجســـدى .. ربما كنت انتظر ان أرى بطنى منفوخا .. أو صدرى وقد كبر وامتلأ .. وابتسمت وهذه الخيالات تدور فى راسى .. ثم بدات اخلع ثيابى ، وبين كل لحظة واخرى انظر الى مرآتى وابحث فى جسدى عن شىء ..

عن اثار اصابعه .. لا .. لم يترك اثرا .. ولكنى احس بأصابعه كلها .. احس بها فوق بطنى وصدرى .. وظهرى .. وصورته تملأ راسى .. عيناه المنتفختان .. وانفه الكبير القوى .. وشفتاه المنفرجتان نصف انفراجة .

وارتديت قميصى ، ورقدت فى فراشى احلم .. وعيناى مفتوحتان .. انه قريب منى جدا .. أراه فى عيادته .. فى غرفة المكتب .. وفى غرفة الكشف .. انه يفكر فى .. لابد أن يفكر فى .. لعل تفكيره فى يلهيه عن تركيز عقله فى الكشف على مرضاه .. لا .. انى اعفيه من التفكير فى ليتفرغ بكل عقله لمرضاه . ثم ارى فى خيالى هذه الفتاة التى رايتها فى غرفة الانتظار ، وقد دخلت غرفة الكشف .. اراها وهى تخلع ملابسها كما خلعتها .. وترقد على الأريكة الطويلة .. واصابعه تصطدم بصدرها .. وقلبى يتلوى .. ولكن .. لا .. هذه الفتاة شىء آخر .. واصدق بسرعة انها شىء آخر .. لا يمكن أن يكون قد ابتسم لها هذه الابتسامة التى ابتسمها لى .. ولا يمكن أن يكون قد كتب لها رقم التليفون الذى كتبه لى .. واجرى الى حقيبتى وافتحها ، واخرج ورقة العلاج التى اعطاها لى ، واقرأ رقم التليفون .. انه رقم غير الرقم المكتوب فى الدفتر .. لعله رقم التليفون الآخر .. التليفون الأبيض ..

واهم بأن اجرى الى التليفون وادير الرقم ..

لا .. يا بت اتقلى ..

وتقلت ..

ودرت فى انحاء البيت بخطوات راقصة ، وفى عينى ضحكة كبيرة . وفى قلبى زغرودة .. وكل شىء أحبه .. أحب امى .. واخوتى .. وزوج أمى .. والمقاعد .. والستائر .. والجدران

.. السعادة تكاد تطير بى .. ويشق سعادتى بين الحين والآخر ، خط من الحياء ، كلما تذكرت نفسى وأنا عارية معه فى غرفة الكشف .. ثم اضحك .. أضحك على نفسى .. سعيدة بنفسى ..

هل تذكرت زوجى ..

ابدا .. نسيته .. كأنه ليس شيئا فى حياتى .. كأنه ليس عقبة فى طريق أحلامى ..

وعندما جاء من السويس فى نفس المساء .. لم أصدم به .. لم أفق من احلامى .. كأنه شيء موجود فى حياتى ولا شأن له بى .. كأخى من أمى .. كابن عمى .. واستقبلته بابتسامة اكبر من الابتسامة التى تعودها منى .. واهتممت به أكثر من كل يوم .. الشيء الوحيد الذى تغير هو أنى لم أطلب منه ان نخرج لنتناول عشاءنا فى الخارج .. لم أعد أريد أن ابدو به امام الناس .. لا اريد ان يرانى هاشم معه .. انه لا يعلم أنى متزوجة ..

وذهبت مع زوجى ليلتها الى السينما ثم خرجنا واشترينا قطعا من الساندويتش تناولها فى السيارة .. والدكتور هاشم معنا .. فى خيالى .. فى السينما .. وفى السيارة .. وتفكيرى فيه يتطور بسرعة .. بدأت أفكر فى المشكلة التى ستواجهنى عندما يطلبنى للزواج .. سأضطر للطلاق من زوجى .. كيف .. لا ادرى .. ولكن .. لا يهم .. لابد أن أمى ستساعدنى يومها على الطلاق .. انها لن تتردد فى مساعدتى خصوصا اذا كنت سأتزوج رجلا كالدكتور هاشم ..

ولم انم ليلتها ..

أنام لحظات ، واصحو لأفكر من جديد ..

ولكنى لم أكن متعبة .. فى الصباح .. لم افقــد شيئا من حيويتى واندفاعى ..

وقاومت التليفون حتى الساعة الثانية عشرة ..

ثم لم أستطع ..

ادرت الرقم ..

لا أحد يرد ..

ربما كان فى غرفة الكشف ..

وبعد ربع ساعة ادرت الرقم من جديد ..

وسمعت صوته ..

وارتجفت .. هذه الرجفة .. التى تسرى تحت جلدى .. وقلت والرجفة تقفز الى حلقى :

ــ صباح الخير يا دكتور ..

ورد فى عجلة :

ــ صباح النور .. مين ..

قلت وانا اجلس على المقعد الموضوع بجانب التليفون :

ــ مش عارفنى ؟ ..

وفكر برهة سريعة ، ثم قال :

ــ آه .. ازيك دلوقت ..

قلت :

ــ أنا باتكلم علشان أشكرك .. أنا فعلا استريحت .. و ..

قال مقاطعا :

ــ العفو ..

قالها بسرعة كأنه فى عجلة لانهاء الحديث ..

قلت :

انت مشغول ؟

قال فى لهجة ارق :

ــ فعلا .. العيــادة مليانه .. ولغاية دلوقت ما شفتش الا اتنين ..

قلت بسرعة كأنى أدارى خجلى :

ــ طيب اضرب لك بعدين ..

قال :

ــ مش قبل الساعه تلاته ..

قلت :

ــ ان شاء الله . مع السلامة ..

ووضعت سماعة التليفون قبل ان يضعها ..

واحسست بالضيق .. كأنه أهاننى .. ربما كنت أنتظــر منه ساعتها ان يترك مرضاه ويتفرغ للحديث معى فى التليفون .

ولم أتصل به فى الساعة الثالثة .

تعمدت الا اتصل به ..

ولا زلت اشعر بالضيق ..

ولكن مع مرور الساعات بدأت أهدأ .. بدات التمس له العذر .. أن مرضاه احق به منى .. لو كان طبيبا يهمل مرضاه ، لما اصبح مشهورا الى هذا الحد .. و .. و .. كلام كثير قلته لنفسى .. الى أن ان صالحت نفسى عليه ، كأنى كنت قد خاصمته ..

وفى اليوم التالى ، اتصلت به .. فى الســـاعة الثالثة ..

لا حد يرد ..

انتهى من مرضاه وانصرف ..

واتصلت به فى المساء .. فى موعد العيادة ..

انه مشغول ..

يتكلم بسرعة ..

كأنه يلقى كلماته ليسد بها فمى ..

ومرت عشرة ايام ، وانا لا استطيع ان اعيش معه فى حديث يدوم اكثر من دقيقة .. واليأس يزحف على .. واحلامى تتبدد .. تكاد تتبدد كلها .. ولم تعد فكرة الزواج به تراودنى بنفس الثقة .. بل اصبح الزواج به هو آخر ما افكر فيه .. ان كل ما افكر فيه الآن هو ان اصل اليه من جديد .. انه اصعب مما كنت اتصور .. ولكن .. لا شىء سهل ..

ورفعت سماعة التليفون ، وادرت الرقم ، وقلت بمجرد ان سمعت صوته :

ــ انا تعبانه قوى يا دكتور ..

وخيل الى انه ابتسم ..

لا ادرى لماذا .. انى لم ار ابتسامته .. ولم أسمعها .. ولكنى متأكدة انه ابتسم ..

وسمعته يقول فى ثقة ، وفى نفس العجلة التى تعود ان يحادثنى بها :

ــ أشوفك ..

قلت بسرعة كأنى أخاف ان يعود ويجرى منى :

ــ فين ؟

ولم يبد عليه انه اندهش من سؤالى .. ولم يضحك .. بل انى لم أتخيله مبتسما فى هذه اللحظة .. وقال وكلماته تقفز بعضها فوق بعض :

ــ تعرفى شارع حسن صبرى بالزمالك .. نمره اتنين وتلاتين .. شقة اربعتاشر ..

قلت :

ــ بس .. و ..

قال مقاطعا وبسرعة :

ـ الساعة اربعه كويس ؟

وسكت برهة .. افكر .. كانى انتبهت الى ما أفعله .. ثم قلت بصوت محتد كانى اتحداه :

ـ كويس ..

والقيت سماعة التليفون ، دون ان اقول له مع السلامة .. كانى اقذفه بها فى وجهه ..

وجريت الى غرفتى ، والقيت نفسى على الفراش منكفئة على وجهى ، واخذت اضرب الوسادة بكلتا يدى .. مغتاظة .. مغتاظة .. احس انه قهرنى .. انتصر على .. انى لن اذهب . لن اذهب .. ماذا يعتبرنى هذا الرجل .. واحدة كبقية البنات ؟ . ثم ..

خف غيظى .. لماذا أغتاظ .. انى لا يمكن ان انتظر من هاشم ان يسير ورائى فى الشارع الى ان يعرف عنوان بيتى ، ثم يأتى ليخطبنى كما فعل عبد السلام .. ان هذا الصنف من الرجال لا يمكن أن يتزوج هكذا .. لابد ان يسبق زواجه قصة حب كبيرة .. ولا يمكن أن يكفى ما حدث بينى وبينه حتى الآن ليكون قصة حب ..

ولكنه يريدنى ان القاه فى شقة خاصة ..

وماله ..

ان صديقتى هدى تقابل حبيبها فى شقته .. وسميرة .. ومحمد عنده شقة خاصة يستأجرها هو وبعض اصدقائه وحاول أن يدعونى اليها عندما كنت أحادثه فى التليفون .. وفى مصر الجديدة عمارة فيها شقة خاصة يستأجرها بعض شباب النادى ، يعرفها كثير من صديقاتى وكنت أمر من امامها وارفع عينى اليها

فى تردد كأنى انتظر أن أرى فى شرفاتها رجلا عاريا ، أو فتاة عادية .. لا .. من الطبيعى أن يمتلك هاشم شقة خاصة .. ومن الطبيعى أن يقابلنى فيها ، فهو رجل مشهور لا يستطيع ان يبدو معى فى السيارة ، وأنا متزوجة ، لا يصح أن أبدو مع رجل غير زوجى ..

ولكن ، لماذا اذهب اليه ؟

وخيل الى ساعتها ان فكرة الزواج به ليست سوى وهم .. ليست سوى حجة أبرر بها اندفاعى وراء أزمتى التى يسببها فراغ حياتى .. اندفاعى وراء البحث عن شىء أشبع به غرورى ، وافتتانى بنفسى ..

يجب أن اقاوم ..

لن اذهب ..

ولكن جسدى كله يؤلمنى .. وبصمات أصابعه تحرقنى .. انى لا زلت أحس بها منذ كشف على فى عيادته ..

وكل عروقى تجذبنى اليه ..

والحيرة تعذبنى ..

انى لا استطيع ان اتخذ قرارا .. وخرجت من غرفتى كأنى أفر من نفسى .. وجلست بجانب امى كأنى أحتمى بها .. وفكرت مائة مرة أن اقول لها كل شىء .. لماذا لا اصارحها .. ربما لو صارحتها ، حتى لو اضطررت أن أخفى بعض التفاصيل ، لساعدتنى على نفسى .. لانتشلتنى من ازمتى .. لأنقذت حياتى كلها ..

ولكنى لم اقل لها شيئا ..

وبقيت أعانى أزمة التردد .. وعروقى كلها منتفخة ، تشدنى الى هاشم ..

وفى الساعة الثالثة والنصف ، لم اعد استطيع ان أقاوم .
خرجت ..
اليه ..
والرجفة تسرى تحت جلدى ..
ودرت ابحث فى شوارع مصر الجديدة عن « تاكسى » .. وخطواتى سريعة ملهوفة كأنى هاربة من بيتها ..

وتنبهت وأنا فى « التاكسى » الى انى لم اقف امام مرآتى طويلا .. فأخرجت مرآتى الصغيرة ، وغرزت عينى فيهـا .. ان لونى ممتقع .. وخط الكحل تحت عينى ، مرتعش .. والأحمر فوق شفتى متماوج ، ناحية ثقيلة ، وناحيـة خفيفة .. وبدأت اصلح من زينتى .. واقرص وجنتى حتى يحتقنا بدمائى .. ولم أكن ساعتها معجبة بنفسى .. لم أكن اعى احساساتى .. كأن عقلى الذى اعيش به ، متوقف .. أنا التى أوقفته .. لا أريد ان افكر .. لا أريد أن أعى .. لا أريد ان افهم شـيئا مما حولى ، او مما فى داخلى ..

كل ما تذكرته سـاعتها أن خلعت خاتم الزواج من أصـبعى والقيت به فى حقيبتى ..

ونزلت من التاكسى امام باب العمارة .
لم يبذل السائق جهدا فى معرفة العنوان .. كأن كل سائقى التاكسى يعرفون اين تذهب البنات .. يذهبن الى شقة الدكتور هاشم !

ونظرت فى ساعتى .. الخامسة الا ربعا .. ياه تأخرت كثيرا ..
احسن !! .
ودخلت المصعد ، وانا اشعر كأنى اسير بزمبرك .. كأنى

عروسة من خشب .. كل شيء فى صامت .. عقلى صامت .. قلبى صامت .. اعصابى صامتة .. جسدى صامت .. صمت الرهبة فى انتظار الحدث الكبير ..

ولم ابحث عن رقم الشقة .. كانى اعرفها .. اول شقة رفعت عينى الى رقمها .. كان الرقم اربعة عشر ..

ولم ترتعش يدى وانا اضغط على جرس الباب .. يدى قطعة من الخشب .

وفتح لى الباب .. مرتديا القميص والبنطلون .. وياقة القميص مفتوحة ، تبدو من خلالها حافة فانلته الداخلية .. وعقدة رباط عنقه مدلاة على صدره .. وقال وعلى وجهه سحابة من الزهق :

— انتى اتأخرت قوى ..

وابتسمت .. دون أن ارد .. وربما شعرت فى ابتسامتى بطعم الشماتة .. الشماتة فيه لأنى استطعت ان الطعه فى انتظارى ..

— انتى عارفه انى لازم اكون فى العيادة الساعه خمسه ونص .. كنت احب اقعد معاكى اكتر من كده ..

ولم ارد ..

وهو واقف فى فتحة الباب كأنه لن يسمح لى بالدخول ..

وانا واقفة امامه .. صامتة .. وعيناى معلقتان فى عينيه ..

واخيرا تنبه .. وازاح نفسه عن فتحة الباب .. وسحابة الزهق لا تزال فوق وجهه .. وقال كأنه نادم على دعوتى :

— اتفضلى ..

وتقدمته الى الداخل .

ولا ادرى لماذا شعرت وانا اتقدمه انه نظر الى ساقى ، كأن عينيه لسعتهما ..

واستقبلتنى الصالة الخارجية للشقة .. خافتة الضوء كغرفة مكتبه .. النافذة الخشــبية مغلقـــة .. والأثاث كله « ستيل » غامق .. شيء آخر غير ما تصــورته .. انه أثاث بيت عائلة ، لا أثاث شقة خصوصية .. شقة أعزب ..

وجلســت على مقعــد عريض .. تعمــدت ان أجلس على المقعد لا على الأريكة .. وفوق المائدة الصغيرة الموضوعة أمامى ، فنجان شاى كبير به أثار قهوة .. وعقلى بدأ يتحرك .. وقلبى .. واعصابى .

وقال وهو يجلس بجانبى على طرف الأريكة .. ويســتند بذراعه على مســندها ، ويمسح بكف يده على شــعره الاسود المتموج :

ــ تحبى اعمل لك قهوة ..

قلت وأنا أنظر فى وجهه نظرة سريعة :

ــ لا .. متشكرة ..

واتسعت ابتسامته حتى آخرها ، وقال :

ــ تعرفى انا واخــد البيت ده لية .. علشان أعمــل لنفسى فيه قهوه .. انا أحسن واحــد يعمل قهوه .. يعنى أنفع دكتور وأنفع قهوجى ..

ونظرت اليه وابتسامة سخيفة بين شفتى .. ولا ادرى لماذا شعر بساعتها انه انسان آخر غير الانسان الذى اســتقبلنى فى العيادة .. ابتسامته ليست هادئة كما رأيتها .. وأنفه أكبر مما كنت أعتقد .. وعيناه أكثر انتفاخا وأكثر اتساعا ، وبينهما نظــرة تحاول أن تدارى نفسها ، حتى لا تفضح صاحبها .. نظرة تتسلل الى ذراعى والى صدرى .. والى ساقى ..

وقلت وأنا أشد ثوبى فوق ساقى

ــ وما تعملش قهوه فى البيت التانى ليه . ؟

قال وهو يضحك :

ــ أختى ما تسمحش .. مش معقول تسيبنى ادخل المطبخ ..

قلت وانا لا أنظر اليه :

ــ واخد البيت ده ، بس علشان القهوة .

قال :

ــ وعلشان استريح فيـــه .. معظم الأيام ما تقدرش أطلع المعادى بعد العيادة باجى استريح هنا ..

قلت فى تردد وانا انظر فى اصابع يدى :

ــ يعنى ما بتحبش واحده ..

قال :

ــ باحب .. بس مش واحده ..

ونظرت اليه كأنى لا افهم ..

استطرد قائلا :

ــ باحب شغلى ..

وهدأت عيناه .. وضاقت ابتسامته .. وسحب نظرته من فوق ذراعى .. رأيته كما كان فى عيادته .. وعاد يقــول كأنه هائم :

ــ ما تعرفيش انا باحب شغلى اد ايه .. باحبه زى الحب اللى بتقرى عنه فى القصص .. باتعذب .. وافرح .. وساعه ايأس . وســاعه يبقى كلى أمل .. ما تقــدريش تتصــورى لما باكشف على عيــان ، باحس بيايه .. باحس ان كل اللى فى بطنه فى بطنى .. ولما بيقول الحتة دى بتوجعنى .. باحس ان نفس الحته بتوجعنى انا .. واقعد أحلل الألم اللى باحس بيــه .. واحاول اعرف اسبابه .. ولما بابص فى صورة الأشعة ، باحس

انى بابص فى السما .. بابص لربنـــا .. وزى ما بتبصى فى السما ونسالى ربنا ازاى خلق النجوم ، وايه أسرارها .. أنا كمان بابص فى صورة الأشعة ، واسال ربنا ازاى خلق المصارين دى . وايه أسرارها ، وليه خلاها تتوجع .

وكان يتكلم كأنه يتنهد .. كأنه يحـــلم وفى عينيه حب .. حب كبير .. حب حقيقى .. واحسست انى لم يعد لى مكان فى عينيه .. الحب ملأهما على آخرهما ..

وقلت كأنى اريد ان اقول اى شىء :

ــ علشان كده نجحت .. واشتهرت .

وقال مبتسما :

ــ الحب دايما يرفع صاحبه ..

وأحسست باحساساتى ترق .. وعقـــد الخوف والرهبـــة والجمود ، تذوب .. احسست انى ارتفع .. وانى دخلت فى عالم نظيف .. رقيق .. حالم .. وقلت وعيناى تســـتقران على وجهه فى هدوء ، وكأنهما فراشتان حطتا على زهرة بعــد سفر طويل :

ــ أنا ما كنتش فاكراك رقيق للدرجه دى ..

وضحك ضحكة كبيرة ، وقال :

ــ ما تطمنيش قوى . أنا مش دايما رقيق ..

ثم نظر فى عينى .. وطافت عينـــاه بوجهى ، كأنه يرانى لاول مرة .. كأنه يكتشف فى شـــيئا جديدا .. وطالت نظراته الى .. واختفت ضحكته .. وتلاشت ابتسامته .. أن فى نظرته شيئا جادا .. فى نظرته فكرة ، لا أدرى ما هى .. وانا انظر اليه .. منتظرة اىّ شىء .. مطمئنة .. مستسلمة .. ولا اشبع من النظر اليه . عيناى عششتا فوق انفه الكبير .

ومد يده ووضعها فوق يدى .. وشعرت بثقلها .. وحرارتها .. لم تكن اصابعه ، صامتة ، باردة كهذه الأصابع التى كان يضغط بها على بطنى وانا فى عيادته .. ان فى أصابعه حياة جديدة .. انها اصابع تتكلم .. ترسل اشارات الى كل قطعة منى .. الى قلبى .. الى عقلى .. الى صدرى .. الى خصرى .. وفجأة ..

نظر الى ساعته الكبيرة ، وقال فى هلع :

ــ ياه .. انا اتأخرت على العيادة .. الساعه خمسه وعشره ..

وافقت ..

افقت على كراهية العيادة ..

وعاد يقول ، وهو يقفز واقفا ، ويضم ياقة قميصه ، ويشد عقدة رباط عنقه الى اعلى :

ــ تحبى تنزلى الأول .. ولا انزل انا الأول .

قالها بلهجة حاسمة لا رقة فيها .. كأن مواعيد العيادة قدر لا يحتمل النقاش ..

وانتفضت واقفة ، وانا أشعر كأنى اهنت وقلت :

ــ لا .. انا حانزل الأول ..

وتقدمنى ، ووضع يده على مقبض الباب ..

وخطوت الى جانبه .. ورفعت عينى اليه .. ووقفت صامتة .. ولا زلت انتظر شيئا ..

والتقت عيناه بعينى .. ونظرته تنسكب من فوق انفه الكبير وتغرق وجهى كله ..

ورفع يده من على مقبض الباب ..

وخطا هذه المسافة القصيرة التى تفصلنى عنه .. ثم ..

دون ان يتكلم .. احتوانى بين ذراعيه .. فى رقة .. وحنان .. وضغط خده بخدى .. وعقلى واع .. متنبه لكل حركة .. وذقنه تشكنى شكات خفيفة .. لابد انه يحلق فى المساء .. ولم اذب .. ولكنى اريد ان ابقى هكذا .. اريد أن أعرف ماذا سيحدث بعد .. وانسحب خده من فوق خدى .. ليضع مكانه شفتيه .. .. فى قبلة صامتة .. واغمضت عينى .. لا أدرى لماذا .. ولكنى لم أطق أن تظل عينى مفتوحتين .. ثم زحف بشفتيه ، ولمس شفتى .. شفتاى لا تتحركان .. صامتتان .. جاهلتان .. تتلقيان الدرس الأول .. وبقيت شفتاه فوق شفتى برهة .. برهة قصيرة او طويلة ، لا أدرى .. ولكنها برهة تمنيت ان تطول .. وعيناى لا تزالان مطفأتين ..

ورفع شفتيه عن شفتى ..

وسمعته يقول :

ـ أنا آسف ..

وفتحت عينى لألتقى بعينيه .. وفيهما تساؤل .. لماذا الأسف .. ماذا حدث ..

واستطرد قائلا :

ـ ما كانش لازم ابوسك .. فى أول مرة نتقابل .. مش كده ..

وأرخيت عينى .. لم أرد .. لم يكن شيئا من هذا قد خطر على بالى ..

وعاد ووضع يده على اكرة الباب ، وهو يقول :

ـ حاشوفك امتى ؟

قلت وانا لا استطيع ان أبتلع ريقى .. وصوتى يتعثر فى نشوتى :

ـ زى ما انت عايز ..

قال :

ـ بكرة الساعه أربعه ..

وهززت راسى موافقة ..

قال :

ـ بس ما تتأخريش

قلت وانا ابتسم :

ـ حاضر ..

وفتح الباب ..

وخرجت ..

وسرت فى الشارع .. ساهمة .. لم أحاول ان ابحث عن تاكسى .. انى لم افق بعد .. أريد أن اسير ، لعلى افيق .. وقبلته لا تزال فوق شفتى .. تحرقهما .. وتسرى فى أعصابى .. انى أحس بها فوق صدرى .. فى قدمى ..

ولمحته فى سيارته بعد لحظات .. سيارة بويك موديل العام الماضى .. عام ١٩٥٤ .. ولم يلمحنى .. كان يجرى .. يجرى فى جنون .. يجرى الى حبه الكبير .. الى عيادته ..

وجدت نفسى فى شارع ٢٦ يوليو .. وافقت لأركب تاكسى الى مصر الجديدة .. وعدت ساهمة .. وسعادة غريبة تغمرنى .. .. سعادة لا أستطيع أن امسك بها .. وأحس انها ليست مستقرة .. تكاد تسقط منى ..

ودخلت البيت وانا لا ازال ساهمة .. فى سعادة .. ولا ادرى ماذا قلت لأمى ..

ولكنى سمعتها تقول :

ـ فين دبلتك يا ميتو ..

وانتبهت ..

واسعفنى ذكائى .. ذكائى الذى يصـــنع الكذب .. وقلت :

ــ أصل كنت باشوف شرابات نايلون .. وخفت ينقطعوا وأنا باحط ايدى فيهم .. قلعت الدبلة ..

وبسرعة فتحت حقيبتى واخرجت منها دبلة الزواج ، ووضعتها فى اصبعى .. وعدت ساهمة .. ملهية عن كل شىء حتى الدبلة التى وضعتها فى أصبعى ..

ورقدت فى فراشى .. وانا استعيد كل لحظة مرت بى .. كل حركة .. كل لفتة ..

واغمض عينى لأسمع صـــوته .. وارى كل قطعة من قطع الأثاث التى كانت تحيط بنا ..

ولكن ..

شىء غريب ..

انى احس بجسدى ..

احس به كما لم احس به من قبـــل .. احس به كأن كل مسامه تفتحت .. كل مسامه أفواه صغيرة تريد أن تشرب .. وارفع كفى واضغط بهما على صدرى .. وعلى خصرى .. وعلى ساقى .. وهاشم فى خيالى ..

أنا اريد هاشم ..

وقمت من فراشى ، وتســـللت الى التليفون .. وأدرت رقمه .. وسمعت صوته .. ولم أرد .. فقط ، ابتسمت له .. اكتفيت بصوته ، وعدت الى غرفتى ..

انى أحب ..

كنت ايامها اصدق الحب .. واعتقد ان هـــذا هو الحب ..

وعشت هائمة فى الحب ..

و :٥٦٥:

وذهبت اليـــه فى اليوم التالى .. تأخرت نصف ساعة .. واستقبلنى ، وسحابة الزهق والغيظ تكسو وجهه .. انى أحبه اكثر وهو مغتاظ .. وقد ظل مغتاظا لحظات ، وأنا أخفى فى صدرى ابتسامة كبيرة .. ثم التفت الى ، وقال :

ــ تعرفى لو تأخرت تانى ، حاعمل فيكى ايه .. حاضربك ..

قلت وأنا أنظر اليه وابتسامتى فى عينى :

ــ ما تقدرش ..

قال :

ــ اقدر .. انتى لسه ما تعرفنيش ..

ثم جذبنى من يدى ، ودخل بى الى المطبخ ، ليرينى كيف يصنع لنفسه فنجان القهوة .. المطبخ مرتب ، نظيف .. لم ر فى حياتى كل هذا الترتيب والنظافة .. وقلت وأنا أطوف بعينى فى أرجائه :

ــ ده انت ست بيت ممتاز ..

قال وهو يشعل البوتاجاز :

ــ مش انا ... ده عم محمود البواب ..

ثم بدأ يصنع القهوة كأنه يقوم بعملية حسابية .. كل شىء بحساب .. وحاجباه معقودان كأنه يركز تفكيره كله فى القهوة ..

وشرب القهوة ..

أخذت رشفة من فنجاله ..

وضـــحكنا .. كل شىء يضـــحك حولنا .. وكل قطعة منـــا تضحك .. انه ليس الدكتور هاشم .. انه هاشم فقط .. مرح .. بسيط .. وعينـــاه أكثر اتساعا .. وتبرقان أحيـــانا حتى اخافهما .. وتهدآن حتى اكاد أنام بينهما .. ولم يتعمد شـــيئا .. لم أشعر أنه تعمد شيئا .. ولكنى وجدت شفتى الجاهلتين

تتلقيان الدرس الثانى .. انه يمتصنى كلى .. واصابعه تضغط على ذراعى ، كأنه يعتصرنى . .ومسام جسدى تتفتح اكثر .. الأفواه الصغيرة تشرب ، ولا ترتوى ..

وغصت أكثر ..

انى اغوص الى تحت .. الى أعمق أعماق الحب .. او ما كنت اعتقد انه الحب ..

وذهبت الى لقائنا الثالث .. متأخرة أيضا .. ثلث ساعة .. هل تعمدت أن اتأخر .. لا أدرى .. وتركنى أدخل ، ثم أغلق الباب ورائى .. وقف أمامى صامتا ، وعيناه المنتفختان ثائرتان .. ووجهه متجهم .. شفتاه منطبقتان .. وحاولت أن ابتسم .. ولكنى لم استطع .. انى خائفة منه .. ليس خوفا .. ولكنه نوع من الترقب للمجهول .. احساس بأنى مقبلة على مغامرة جديدة .

وفجأة رفع كفه وصفعنى .. صفعة قوية .. واهتز كل شىء أمام عينى ، وطنين فى أذنى .. وضعت يدى على خدى ، وأنا أتنهد :

ــ آى ..

ــ أنا قلت لو اتأخرت حاضربك .

وصفعنى صفعة أخرى على خدى الثانى .. ثم جذبنى من شعرى واوقعنى على الأرض .. ثم وجدته فوقى .. ثم لم أعد أدرى ما يحدث لى .. ان ما يحدث أسرع من أن الاحقه بعقلى .. شفتاه فوق شفتى ، ولا أكاد أستريح بينهما .. حتى أجدهما فوق عنقى .. ولا أكاد أشعر بعنقى حتى أشعر باصابعه تفك أزرار « بلوزتى » .. وقطعة من جسدى تتعرى .. وقطعة

اخرى .. وهو مجنون .. لا يكف .. وانا أقاوم فى استسلام .. والأفواه الصغيرة تشرب ..

ومن يومها ..

تعودت أن اثيره ..

وتعود أن يضربنى ..

لم نعد نلتقى الا هكذا .. مجانين .. نكاد يمزق أحدنا الآخر .. ثم نهدأ .. واعود كما كنت .. سنتى المكسورة الخفيفة الدم ، تبتسم فى سذاجة البنات .. ويعود هاشم الى شخصية الدكتور هاشم .. جادا ، وقورا ، نظراته الصارمة تطل من فوق انفه الكبير .. ويذهب الى حبة الأكبر .. الى عيادته .

وعشت فى هذا الجنون .. وفى كل لحظة جنون ، ادع هاشم يكتشف منى اكثر ... الى أن تم اكتشافى .. اكتشافى كلى .. لا .. ليس كل شىء .. ترك القليل لزوجى ..

هل كنت افكر فى زوجى . هل انبنى ضميرى .. هل احترت .. هل شعرت بالخطيئة .. هل كرهته .. أبدا .. ابدا .. لا شىء من كل هذا .. كأن زوجى موضوع آخر غير ما افعله .. كأن ما افعله ليس له شأن به .. ولا يمسه من قريب أو من بعيد .. يكفيه انى أخلع دبلته كلما ذهبت الى هاشم .. احتراما له ..

وكنت أحيانا افكر فى مصير علاقتى بهاشم .. فى المستقبل .. واعود الى خطط الزواج .. ولكن .. فى هذه الأيام كان المهم هو أن القاه لا ان اتزوجه .. اصبحت اعيش للقائه لا للزواج به .. اختفى احساسى بالمستقبل وراء احساسى بنشوة حاضرى .. انى مندفعة .. مغمضة العينين .. مغمضة العقل ..

— الى ان كان يوم .. بعد ثلاثة شهور ..

وكان لقاؤنا على وشك ان ينتهى .. وهاشم راقد فى الفراش عارى الصدر .. وعضلاته السمر مستريحة فى استرخاء .. وانا جالسة امام المرآة بقميصى الداخلى أمشط شعرى..وقلت وانا أبتسم لصورته المنعكسة امامى من المرآة :

ــ بتحبنى أد ايه يا هاشم ..

ولم اكن اقصد السؤال .. كل ما هنالك انى كنت فى حاجة لأن يدللنى بكلمة حلوة ..

وقال وعلى شفتيه ابتسامة ضيقة :

ــ وانتى بتحبينى أد ايه ؟

قلت :

ــ لسه مش عارف ؟ !

قال :

ــ لا .. مش عارف !

قلت :

ــ كل ده ومش عارف ؟

قال :

ــ ساعات ما بصدقش انك بتحبينى ..

والتفت اليه وقلت فى دهشة :

ــ امال كل ده يبقى ايه ؟

قال :

ــ يمكن عايزه تتجوزينى ..

واحتدت نظراتى .. نظرت اليه كأنى أحاول أن اخنقه .. وانفاسى بدأت تثور فى صدرى ..

واستطرد قائلا :

ــ كل اللى عرفتهم كانوا عايزين يتجوزونى .. انا باعتقد

ان الستات ما يعرفوش الحب ، انما يعرفوا الجواز .. ما يقدروش يعيشوا بالحب .. انما يعيشوا بالجواز ..

وأدرت رأسى عنه ..

ثم مددت يدى والتقطت حقيبتى ، وأخرجت منها دبلة زواجى .. والقيتها فى وجهه .. وعدت أنظر فى المرآة وامشط شعرى فى عصبية ..

والتقط الدبلة ..

لمحته فى المرآة يلتقطها ..

ثم اعتدل من رقدته ، وأخذ يحلق فيها ، وقال والدهشة تملأ عينيه :

ــ ايه دى ؟

قلت وانا أشد شعرى بأسنان المشط :

ــ دبلتى ..

قال :

ــ انتى مخطوبة ..

قلت فى برود :

ــ مكتوب كتابى ..

وقفز من فوق الفراش وجاء الى جانبى والمفاجأة تنزف من تحت جفنيه المنتفختين وقال فى صوت مبهور :

ــ من امتى ؟

قلت وانا اشد شعرى :

ــ من زمان .. من قبل ما أعرفك ..

قال :

ــ وما قلتليش ليه ؟

قلت وأنا اهز كتفى :

ــ كده ..

وسقط على ركبتيه ، واحتضننى وانا جالسة على المقعد ، ودفن وجهه فى عنقى ..

وقلت وانا اشيح بوجهى عنه :

ــ استريحت .. صدقت .. صدقت انى باحبك ..

وهمس :

ــ يا حبيبتى ..

ولا أدرى لماذا كرهته ساعتها .. وظللت اكرهه طول اليوم .. ولكنى لم استطع ان استمر فى كرهه .. انى اريده .. الأفواه الصغيرة تريد أن تشرب ..

وعدت اليه ..

كما تعودت أن أعود دائما ..

واندفعت أكثر .. وعواطفى تزداد صخبا .. لقد بدأت اغار عليه من مرضاه .. ومن المجتمع الذى يعيش فيه ، بعيدا عنى .. غيرة مكتومة لا افصح عنها .. وكنت دائما اتساءل : اين يذهب فى الليل .. انه يقدم لى كشف الحساب دائما .. تعشى فى سميراميس ، ثم عاد الى البيت .. بيت أخته .. أو كان مدعوا فى حفلة .. أو .. أو .. ولكنى لا أطمئن .. رجل مثله لا يمكن أن يقضى كل الليالى وحده ..

وثارت فى راسى فكرة مجنونة ..

لماذا لا القاه فى الليل !!

جننت ..

وكانت أمى تعطينى مفتاح الشقة عندما أخرج مع زوجى لنسهر فى الخارج ، حتى لا أزعج أحد عندما أعود .. واتفقت مع هاشم على أن ينتظرنى عند أول شارع صلاح الدين .. فى

الساعة الثانية عشرة والنصف .. بعد منتصف الليل .. وحاول هاشم أن يرفض .. حاول أن يفيقنى من جنونى .. ولكنى اصررت ، واتهمته أن له امرأة يقابلها فى الليل .. فاستسلم ..

وخرجت مع زوجى .. ذهبنا الى السينما .. ثم ادعيت ان عندى صداعا .. وصدقنى المسكين .. وعاد بى الى البيت .. وقبلنى على خدى .. لا يزال كل نصيبه منى ، قبلة على الخد .. ونزلت من السيارة ، وهو يقول لى فى حنان عبيط :

— خدى اسبرينه ، وفنجان شاى .. واقفلى الشباك .

وانتظرت قليلا ، الى ان اطمأننت الى أن زوجى ابتعد بسيارته .. ثم عدت أنزل .. الى الشارع .. وجريت الى حيث ينتظرنى هاشم .. والقيت نفسى فى سيارته .. وانطلق وهو ينظر الى فى دهشة من جراتى . .من جنونى .. وذهبنا الى شقة الزمالك ..

ان البنات اللاتى يقلن ان كل ما يحدث فى الليل ، يمكن ان يحدث فى النهار .. واهمات .. ان ما يحدث فى الليل اكثر .. لا ادرى لماذا .. ربما لأن عيون الناس مغمضة .. وعيون السماء مغمضة .. وقد اخذت فى الليل أكثر مما تعودت أن آخذ فى النهار .. واعطيت اكثر !

وعدت فى الثامنة صباحا .. وبيتى كله نائم .. لم يشعر بى أحد ..

واستمر جنونى ..

انى اعيش فى دوامة الجنون .. انى لا اهدأ .. أريد فى كل يوم مغامرة .. واثير هاشم ، وهاشم يضربنى .. والأفواه الصغيرة تشرب ..

ثم ..

فجـــأة ..

وكانت قد مضت سبعة شهور على لقائى بهاشـــم .. عاد زوجى من السويس وهو مصر على أن يعجـــل بالزواج .. انه لا يريد أن ينتظر الى أن يتم بناء الفيللا وتجهيزها .. انه يحس اننا نبتعد أحدنا عن الآخر .. ويريد أن نتزوج الأســـبوع القـــادم .. ويصر .. فى عناد .. واقنع .. واقنع امى .. واقنع زوج امى .. واقنع أبى .. واقنـــع خالاتى الخمس .. والجميع فـــوق راسى يلحون .. ويصرون ..

ــ لا أحد يريد أن يسمعنى .. لقد انتظر الزوج طويلا .. وما يطالب به هو من حقه ..

وهرعت الى هاشم .. وقلت وأنا لا انظر فى عينيه :

ــ أنا خلاص .. حاتجوز ..

قال :

ــ مش معقول .. امتى ؟

قلت :

ــ الخميس الجاى ..

وتجهم وجهه .. وأدار ظهره لى كأنه متأثر .. ولكنى شعرت ساعتها انه يمثل .. وقال وهو يتنهد :

ــ على كل حال انا كنت منتظر اليوم ده .. اليوم اللى تيجى تقوليلى فيه انك حتتجوزى ، وتسافرى تعيشى فى السويس ..

وسكت برهة .. وأنا أنظر اليه بكل عينى .. ثم قلت وصوتى يرتعش :

ــ هاشم .. انت ما تقدرش تتجوزنى ؟

ورفع الى عينيه فى لفتة سريعة ، ثم خفضهما ، وقال وهو يدير رأسه :



ــ لا ..

قلت فى حدة :

ــ ايه .

قال فى صوت صارم ، كأنه يرفض النقاش ، وهو لا ينظر لى :

ــ لأنى ما قررتش اتجوز ..

وبكيت ..

انهمرت دموعى رغم ارادتى .. دموع فيها غيظ .. وفيهما ذل .. وفيها استسلام لضعفى ..

وجاء الى .. وقال كلاما كثيرا لم أكن اسمعه . ولكنه يقبلنى .. ويقبلنى أكثر .. والأفواه الصغيرة تتفتح .. وانا مستسلمة .. لا استطيع أن أقاومه .. ولا أن أقاوم جسدى الذى يثيره .. والدموع فى عينى ..

ثم ..

تركنى ..

كلهم تركونى ..

تركونى أتزوج عبد السلام ..

و ..

وبدأت قصتى ..

— ٣ —

وتزوجت بلا فرح ..

وسافرت فى نفس الليلة الى السويس لأقيم فى بيت زوجى .. ومع أمه .. الى أن يتم اعداد الفيللا الجديدة التى يبنيهـا لى ..

هل اروى التفاصيل ؟

لا .. لست أول فتاة تتزوج رجلا لا تحبه .. والبنات اللاتى يتزوجن بلا حب ، حكاياتهن معروفة ..

ولكنى اتساءل اليوم .. لو لم يكن هاشم قد دخل حياتى ، هل كان يمكن ان اتعود على زوجى .. واستسلم لتعودى عليه .. وأهنأ بالحياة معه ، ونعيش فى التبات والنبات ، ونخلف صبيانا وبنات ؟ ...

ربما ...

ولكنى ايامها لم اكن أؤمن بأن الحياة هى تعود .. كنت أؤمن بأن الحياة هى الحب .. وكنت فى الوقت نفسه قد بدأت اتعود على هاشم .. لمساته .. أنفاسه .. هذه الساعات السريعة التى يختطفها من وقت مرضاه ليعطيها لى .. هذا الجنون العنيف الذى نعيشه معا ..

وربما كنت استطيع يوم تزوجت أن انسى هاشم .. أن احرر نفسى من تعودى عليه .. فلم يكن قد مضى على علاقتنا اكثر من سبعة شهور .. ولكنى لم احاول .. ابدا لم احاول .. ولا للحظة واحدة حاولت أن انساه .. ولا للحظة واحدة حاولت أن اكون

زوجة مخلصة .. لم يخطر على بالى أيامها موضوع الاخلاص لزوجى .. زوجى نفسه لم يكن موضوعا أفكر فيه ..

ومنذ ركبت السيارة بجانب عبد السلام فى طريقنا الى السويس ، وأنا افكر فى هاشم .. وافكر كيف أستطيع أن القاه .. ومتى .. ورقدت على فراش زوجى وعقلى لا يزال وراء هاشم .. لا احس بالرجل الآخر الذى يرقد بجانبى .. لا احس بما يريد ، ولا بما يحاول .. لست خائفة .. ولا مترقبة .. مسام جسدى كلها منقبضة ، مزمومة .. كل ما اشعر به هو رائحة البطارخ المنطلقة من فمه .. فأدير راسى عنه حتى ابتعد عن ريحها .. والمسكين يبذل كل ما يستطيع ، وهو يعتقد انى لا زلت صغيرة .. لا استطيع بعد ان اكون زوجة ..

ونام ..

وتركنى افكر .. فى هدوء .. وقد كنت ثائرة يومها على هاشم .. ثائرة لأنه تركنى اتزوج .. كنت احس انه رمانى .. جرح كرامتى .. ورغم ذلك كنت مندفعة نحوه بكل كيانى .. وكنت احيانا التمس له العذر .. انه لم يخدعنى .. لم يعدنى بشىء ثم تخلى عنى .. .. ثم اعود واشعر كأنى اريد ان أنتقم منه .. أن أذهب اليه لأذله كما أذلنى .. ثم اعود وارى فى خيالى طاقة كبيرة من الأمل .. لعلنى لا زلت أستطيع أن أتزوجه .. من يدرى ! ..

وفى اليوم التالى .. يوم الصباحية خرج زوجى الى مكتبه القريب من البيت .. وبقيت فى فراشى .. لا اريد أن اقوم منه .. ليس هناك ما يدفعنى للقيام .. ولم أغسل وجهى .. ولا غيرت قميصى .. ولا سرحت شعرى .. بل انى — ربما لأول مرة —

لم اتلهف على مرآتى .. وكل قطعة منى ملقاة فى اهمال ، كأنى استغنيت عنها .. وصدرى مقبوض ..

وجاءت حماتى وبين شفتيها ابتسامة كبيرة ، وقالت وهى تضع فى صوتها رنة الفرح :

ــ صباح الخير يا عروستنا .. السويس كلها منورة ..

ولم تفتح ابتسامتها قلبى .. بالعكس زادته انقباضا .. احسست كأنها ناظرة مدرسة جاءت لتنبهنى الى واجباتى ..

وعادت تقول وهى لا تزال تعلق بين شفتيها ابتسامتها الكبيرة :

ــ مش تقومى توضبى نفسك يا بنتى يمكن حد ييجى .. دول ستات السويس كلهم عايزين يشوفوكى ..

وقلت وأنا أتأوه :

ــ مش قادره والنبى يا طنط .. تعبانه مش عارفه مالى .. ما اظنش حاقدر اقابل حد دلوقت .. خليهم بعد الضهر ..

ونظرت الى من تحت جفنيها كأنها تختبرنى ، ثم استردت فرحتها بسرعة ، وقالت :

ــ وماله يا بنتى .. خليكى مستريحه .. أنا حاتصل بيهم وأقول لهم الزياره بعد الضهر .. تحبى أجيب لك الفطار فى السرير ..

قلت وأنا أدعى التعب :

ــ لو سمحت يا طنط .. ولو سمحت خللى السفرجى يجيب لى التليفون علشان أكلم ماما ..

والتفتت الى لفتة سريعة ، ثم عادت وقالت :

ــ وماله يا بنتى .. اللى مالوش خير فى أهله ، ما لوش خير فى حد ..

وكرهتها ..

احسست كانها تمد عينيها الى عنقى لتختفى .. كأنها تبحث من أين تستطيع ان تسيطر على .. أن تركبنى .. وشعرت بلهفة شديدة الى امى .. احسست انى اصبحت يتيمة .. أريد ماما .. أريدها بجانبى .. لتحمينى من هماتى ..

وجاء السفرجى بصينية الافطار .. ولكنه لم يأت بالتليفون .. وبقيت ساكتة .. تناولت لقمتين من أفطارى .. ومعدتى مقفولة ، تصد كل ما القيه اليها .. ثم ضغطت على الجرس انادى السفرجى ..

وقلت له بلهجة آمرة :

ـ تانى مره ما تجبش لى مربة لارنج .. ما بحبهاش .. شيل الصينية .. وروح هات التليفون ..

قال فى أدب :

ـ بس الست الكبيرة بتتكلم ..

قلت :

ـ طيب بعد ما تتكلم ، هات التليفون ..

وخرج السفرجى .. واعصابى تكاد تتمزق .. ابخرة الغيظ متجمعة فى صدرى .. واليوم الطويل ممتد امامى كثعبان يفتح فكيه ليبتلعنى .. فراغ .. فراغ يأكلنى .. ومرت لحظات .. لا ادرى اكانت طويلة أم قصيرة ، ثم ضغطت الجرس انادى السفرجى مرة أخرى ، وصرخت فى وجهه :

ـ روح قول للست الكبيرة تجيب التليفون ..

وكانت قلة ادب منى .. ولكنى كنت ثائرة .. ثائرة على فراغى ..

وبعد برهة دخلت حماتى ، تحمل آلة التليفون بنفسها ، وقالت وهى تحاول ان تبدو رقيقة مهذبة :

ــ انا آسفة يا بنتى .. كنت باعزم الستات اللى حايزوروناً بعد الضهر ..

وتمتمت :

ــ متشكرة يا طنط .

ورمتنى حماتى بنظرة من نظراتها ، ثم خرجت ..

واتصلت بأمى ..

وما كدت أسمع صوتها .. حتى بكيت .. انطلقت كل دموعى .. احسست انى وجدتها بعد أن بحثت عنها سنين طويلة ..

وقالت أمى جزعة :

ــ مالك يا بنتى .. مالك يا ميتو ..

قلت وانا اشهق :

ــ ما فيش حاجه يا مامى .. بس وحشتينى .. وحشتينى قوى ..

قالت وصوتها يملأ صدرى حنانا :

ــ وبعدين يا ميتو .. ما تعمليش كده .. انتى كبرتى ..

قلت وانا احاول ان اكتم دموعى :

ــ تعاليلى يا مامى .. تعاليلى دلوقت .. مش معقول انك تسيبينى لوحدى بالشكل ده ..

وقالت امى وهى تحاول أن تبدو حازمة :

ــ حاجيلك الجمعة الجايه باذن الله .. قوليلى .. عاملة ايه ؟

واخذت اروى لها اخبارى .. كل اخبارى .. وضيقى .. والح عليها أن تأتى الى .. وهى تصبرنى .. وتنصحنى .. نصائح كثيرة تنطلق من اذنى اليمنى لتخرج من أذنى اليسرى ..

وتوصينى بزوجى عبد السلام .. ثم طلبت منى أن انادى حماتى لتحادثها .. ورفضت .. قلت لهــا انها مشــغولة .. ولكن أمى اصرت .. وطلبت من السفرجى أن انادى حماتى .. واخذت الأم والحماة تنافق احداهما الأخرى .. وأنا جالسة فى السرير ، وعلى شفتى ابتسامة باهتة ، وبقايا الدموع فى عينى ..

وانتهت المحادثة ..

وحماتى واقفة بجانب فراشى كشــبح العذاب ، تنظر الى التليفون ..

وقلت أدعى التردد :

ــ اقدر أكلم بابا كمان ؟

قالت على الفور :

ــ طبعا يا حبيبتى .. ده بيتك ، وتليفونك ..

وخرجت من الغرفة تاركة لى التليفون ..

ولم أشعر أن هذا البيت بيتى ،ولا أن هذا التليفون تليفونى .. كنت أحس انى فى بنسيون .. فى لوكاندة .. ضيفة عند حماتى .. وقد بقى هذا الاحساس يصاحبنى دائما .. لا ادرى لماذا .. ولا ادرى لماذا كرهت حماتى .. انها لم تضــايقنى فى حياتى .. بالعكس كانت حريصة على عدم مضايقتى ، حرصــا يصل الى حد مضايقتى ..

وانى اتساءل الآن .. هل لو انى اقمت مع زوجى فى بيت وحدنا منذ اليوم الأول لزواجنا .. هل كنت أحببت بيتى .. واحببت حماتى ؟

ربما .. لست أدرى !

وأنا لا زلت فى فراشى .. والتليفون فى حجــرى .. ولم

اكن اريد أن أحادث أبى .. انه لا ينتظر منى أن أحادثه .. ولكن كان هناك شخص آخر أريد أن أحادثه ..

ونظرت الى الباب المفتوح .. باب غرفتى ..

وترددت فترة طويلة .. واليوم الطويل الفارغ يمتد أمامى كثعبان يفتح فكيه ليبتلعنى .. والضـــيق يزحف على صدرى ..

ثم لم أستطع ..

رفعت سماعة التليفون ، وأدرت رقم الترنك ، وطلبت نمرة هاشم .. طلبتها مستعجلة ..

ومضت نصف ساعة .. نصف ساعة هائلة .. كلى متحفزة .. منتبهة .. انظر الى البـــاب المفتوح .. ثم انظـــر الى داخل نفسى ، واحس أحيانا بخوف من اندفاعى .. وأحيانا أحس أنى اتهافت على هاشـــم أكثر مما يجب .. تهافتا يفقـــدنى احترامى لنفسى .. وأحيانا تملأنى لذة المغامرة .. وابتسم وأنا أتخيـــل ملامح الدهشة تكسو وجه هاشم عندما يسمع صوتى ..

وسمعت صوته ..

وارتج قلبى بين ضلوعى ..

وقال بلهجته السريعة التى تعود أن يحادثنى بها :

ـــ ازيك يا عروسه .. بتتكلمى منين ..

قلت ويدى الممسكة بسماعة التليفون ترتعش ، وابتســـامتى ترتعش :

ـــ من السويس ..

قال :

ـــ عارف انك بتتكلمى من السويس .. منين فى السويس ؟

قلت فى دهشة من سؤاله :

ـ من بيتى ..
قال وضحكة صغيرة بين كلماته :
ـ اما مجنونه صحيح ..
قلت وانا انظر فى الفراغ الذى امامى بكل عينى كأنى احاول أن اثقب الفراغ بعينى لأراه ؟
ـ وحشتك ..
قال بسرعة :
ـ قوى .. حاشوفك امتى ؟
قالها ببساطة كأنى لم اتزوج .. كأن الزواج لا يمكن أن يحول بينى وبين لقائه .. أو كأنه تعود على لقاء الزوجات .
وقلت كأنى اتحداه .. كأنى ارد على استهانته بزواجى :
ـ انت ناسى انى اتجوزت ..
قال :
ـ مش ناسى .. ومش قادر انسى انك وحشانى ..
قلت وانا احاول أن اكون خبيثة :
ـ وعاجبك كده ؟
قال :
ـ عاجبنى ايه ؟
قلت :
ـ عاجبك انى اتجوزت ، ومش قادره اشوفك ..
قال فى لهجة واقفة لا حياة فيها :
ـ ما كانش ممكن غير كده .. على كل حال انا مش مهم .. المهم انت .. المهم انك تكونى سعيدة ..
قلت :
ـ يا ريت يا هاشم ..

وسمعت صوت اقدام تقترب من غرفتى .. ربما كانت أقدام حماتى .. وقلت لهاشم بسرعة :

ــ حابقى اكلمك بعدين .. مع السلامه دلوقت ..

والقيت سماعة التليفون ..

والقيت رأسى على الوسادة .. مستريحة .. هائمة .. كأنى اخذت جرعة من الحياة .. اشبعتنى .. مؤقتا .. وخيالى كله مع هاشم .. ثم بدأ خيالى يسرى فى جسدى .. وأحس بلمساته .. والأفوام الصغيرة .. مسامى .. تتفتح .. عطشى تريد أن تشرب .. ولا تجد من يسقيها ..

وعاد زوجى .. ووجدنى كما تركنى فى الصباح .. بقميص النوم .. مهوشة الشعر .. وآثار النوم ، مختلطة بالدموع التى ذرفتها ، تكسو عينى .. وابتسم لى كأنى اجمل فتاة فى العالم .. وجلس على حافة الفراش ومال بجسده يقبلنى .. وانقبضت مسامى كلها .. لم اعد أريد أن اشرب ..

وازحته عنها وقلت فى رقة مفتعلة :

ــ اخرج دلوقتى لغاية ما البس ..

وقمت من الفراش .. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة .. وارتديت « روب ديشامبر » من الحرير الطبيعى ، مشغولا بالدانتيل .. ووقفت امام المرآة .. وانا أرى نفسى فى عينى هاشم .. ان هاشم لم يرنى أبدا فى مثل هذا الروب .. لم يرنى ابدا كعروس فى يوم الصباحية ..

وتزينت ، كأنى اتزين لهاشم .. وخرجت لأتناول طعام الغداء مع زوجى وحماتى ..

والحديث كله عن عائلات السويس اللاتى سأقابلهن هذا المساء ..

وعدنا الى غرفتنا بعد الغداء ..
لم اكن اريد أن اعود ..
ولكن زوجى سحبنى من يدى وهو يقول :
ــ مش عايزه تستريحى شويه يا ميتو ..

واستسلمت له ، وسرت وراءه وأنا أشعر بحجر ثقيل احمله فى صدرى .. وحماتى تنظر الى ابنها فى سعادة وزهو .
وقلت له وأنا أعطيه اجمل ابتسامة أستطيع أن أعطيها له :
ــ خدنى فسحنى فى السويس شويه .

قال وهو يقترب منى ويلف ذراعيه حولى ، وسنته الذهبية تلمع من خلال ابتسامته والثقوب الصغيرة تقفز فوق انفه :
ــ ياما حافسحك .. حاحط السويس كلها تحت رجليكى .. بس خلينا مع بعض دلوقت ..
قلت فى توسل :
ــ علشان خاطرى ..
قال وهو يضع فمه فوق شفتى :
ــ علشان خاطرى انا .. انتى خايفه يا حلوه ..
لقد اعتقد انى خائفة .. او انى اتدلل .. ويئست ان اعفيه منى .. واستسلمت ..
وحاول المسكين ..
محاولات مقززة ..
انه لا يستطيع ..
لا يستطيع أن يكتشفنى ..
وأنا كلوح الثلج .. أشرد أحيانا وهو يحاول .. ثم انتبه اليه برهة كأنى اتفرج على قرد يقفز أمامى ..
وضاق بى ..

وتركنى ، وأنفاسه لاهثة ، والعرق يتفصد من جبينه • والسخط فى عينيه ..
وقال :
ــ مش ممكن تكونى صغيره للدرجه دى ..
ثم بدأ يرتدى ثيابه ، وقال وهو يخرج ويصفق الباب وراءه :
ــ انا راجع المكتب ..
ولم اهتم ..

لم اشعر حتى بالشفقة عليه ..
وجلست افكر فى نصيبى .. فى ازمتى .. دون ان افكر لحظة واحدة فى كيفية ارضاء هذا الزوج .. لم أفكر فى كيف اصبح زوجة .. فقط ادور والف بعقلى داخل أزمتى .. واتنهد شوقا الى هاشم ..
وافقت على صوت حماتى وهى ترجونى أن استعد لاستقبال الضيوف ..
وبدأت أستعد ..
وخطر لى ساعتها أن أغيظ سيدات السويس كلهن .. لا ادرى لماذا .. ولكنى احسست ساعتها انى أرقى منهن .. آتية من باريس الى بلد من بلاد الأرياف ..

وارتديت اجمل ثيابى .. وتغاليت فى الاهتمام بشعرى وزينتى .. وخرجت اليهن بعد أن لطعتهن أكثر من نصف ساعة .. وربما رأتنى سيدات السويس جميلة ، ولكنى واثقة أنهن اجمعن على أن دمى ثقيل .. متقنزحة .. وأرضى غرورى أن يقلن عنى هذا الكلام ..
وعدت الى غرفتى ..
والليل ..

وزوجي المسكين ..

وفي اليوم التالي .. حادثت هاشم في التليفون .. أصبحت احادثه كل يوم .. واحيانا أحادثه مرتين في اليوم .. وقد قال لي اني يجب أن أحترس فان كشف حساب التليفون سيرسل الى زوجي مسجلا فيه الأرقام التي طلبتهـا ، وبينها رقمه .. وقد يسألني زوجي عن هذا الرقم .. ويكتشف شيئا ..

ولكني أجبته بلا مبالاة :

ــ ما تخافش ..

كنت واثقـة ان زوجي لن يكتشف شـيئا .. ان الزوج لا يكتشف شيئا الا اذا تعمد الاكتشاف .. وهو لن يتعمد الاكتشاف الا اذا بدا الشك يداخله .. وزوجي لا يشك في ..

والأيام تمر ثقيلة .. طويلة .. والمسافة تبتعد يوما بعد يوم بيني وبين زوجي .. وأعصابه تثور في كل ليلة .. ويبدأ يضع اللوم على .. ثم .. ولم يكن قد انقضى ستة أيام على زواجي .. طلبت منـه أن نعود الى القـاهرة لزيارة أمي .. ووافق بسرعة ..

وفرحت ..

سافرت كأني على موعد مع هاشم ..

واختلى عبد السلام بأمي بعد وصولنا .. اختلى بها طويلا ، بينما أسرعت أنا الى غرفتي ، ورقدت على فراشي .. اني لم أجد بعد الفراش الذي يعوضني عن فراشي ..

وخرج عبد السلام من البيت ، وجاءت أمي لتجلس معي .. وبدأت تقول لي كلاما عجيبا جريئا .. انهـا تعلمني كيف أرضي زوجي .. كيف أساعده ، كما قالت .. كيف أثيره .. أنا .. هذه مسئوليتي أنا .. مستحيل .. وأمي تصر على التمادي في

الموضوع .. ووجدت نفسى أنساق معها .. نتحادث كصديقتين .. كلاما يضحكنى .. اتعمد ان أسألها عن تفاصيل اكثر .. ثم اغطى عينى بكفى ، وهى تجيبنى .. واصيح وانا اضحك .. مش معقول .. وامى تحتمل كل هذا الدلع منى ، وتزيدنى تفصيلا ..

ولم تكن امى تعلم انها تلقننى اول درس فى طريق طويل مزقت على جانبيه حياتى .. لم تكن تدرى أنها عندما كانت تعلمنى كيف اكون لرجل لا أريده .. كانت تضع قدمى على حافة الهاوية .. حتى لو كان هذا الرجل هو زوجى .. لا فرق .. ان التى تتعود على رجل لا تريده .. تجد أمامها عشرات الرجال لا تريدهم ..

واتصلت فى نفس اليوم بالدكتور هاشم .. طلبت منه ان يلقانى فى اليوم التالى الساعة الحادية عشرة صباحا .. وقال رغم فرحته بى :

ــ ما اقدرش يا امينه انتى عارفه مواعيد العياده ..

قلت :

ــ بس انا جوزى معايا .. وما قدرش اقابلك الا فى الميعاد ده .. وما فيهاش حاجة لما تتأخر عن العياده شويه ..

قال فى حزم :

ــ مش ممكن ..

كأنى لم أزد شيئا عنده بعد أن أصبحت زوجة .. حتى ولا نصف ساعة من وقت مرضاه ..

وقلت وقد صدمنى فى لهفتى اليه :

ــ أمال اشوفك امتى ..

قال :

ــ انتى عارفه .. يا الساعه أربعه .. يا الساعه تسعه ..

وكنت استطيع أن احدد موعدى معه مباشرة .. ولكنى شعرت بنوع من الكبرياء يدفعنى لأن اماطله .. وقلت :

ــ طيب لما اشوف .. لو قدرت حاتصل بيك تانى ..

وكنت اعلم انى لن استطيع أن اقاوم طويلا .. كنت اعلم انى اضعف منه .. واضعف من أن اقاومه ..

واتصلت به فى اليوم التالى .. وحددت معه موعدا فى الساعة الرابعة ..

قلت لزوجى ولأمى انى ذاهبة الى الحلاق .. وفعلا اوصلنى زوجى بسيارته الى الحلاق ، واتفقت معه على أن يعود ويأخذنى فى الساعة السادسة ..

ودخلت محل الحلاق وحددت معه موعدا فى الساعة الخامسة والنصف .. ثم خرجت بسرعة ، وركبت تاكسى .. وذهبت الى هاشم ..

وكنت مغتاظة وأنا ذاهبة اليه .. كنت اشعر برجفة المغامرة ، ولكن شعورى بالغيظ كان أكبر .. لا أدرى لماذا كل هذا الغيظ .. انى ذاهبة اليه كما كنت أذهب كل مرة .. فلماذا أغتاظ .. ربما احسست ساعتها بانى الاحقه بدل ان اتركه يلاحقنى .. ربما احسست انى أضحى بكل شىء ، وهو لا يضحى بشىء .. حتى ولا بنصف ساعة من وقت مرضاه ..

ووصلت اليه متأخرة ربع ساعة .. ولم يغضب .. ولم أر سحابة الزهق تكسو وجهه كما عودنى ..

شدنى من يدى ، وأغلق ورائى الباب .. ثم احتوانى فى صدره ، وهمس فى أذنى وهو يضغطنى بذراعيه :

ــ وحشانى .. وحشتانى موت ..

ولم أسترح فى صدره .. كنت عصبية لا أستطيع أن استريح

.. لا ستطيع ان افرح بلقائه ولا ان اغضب .. لا استطيع ان استسلم ، ولا ان اقاوم ، لا استطيع ان اثور ، ولا ان اهدأ .. لا أستطيع شيئا ..

وابعدنى عنه ، ثم سحبنى من يدى واجلسنى بجانبه فوق الأريكة .. وهو يقول وابتسامة كبيرة بين شفتيه .. ابتسامة اكبر مما تعودتها منه :

— احكيلى .. عامله ايه ؟

وبدات احكى له .. قلت له انى زهقانة من عيشتى .. وانى لا اطيق زوجى .. ولا بيتى .. ولا حماتى .. ولا السويس كلها .. ولكنه لا يستمع لى .. انه يقول كلاما .. يوصينى بأن اصبر .. وان احتمل .. ولكن الكلام يخرج من فمه كأنه كلام محفوظ .. كأنه يردد كلمات لا يعنيها .. وكأنه لا يسمع شكواى ولا يتأثر بها .. ويده تمتد الى شعرى تزيح خصلاته من فوق جبينى ، ثم تندس بين طياته .. ويقترب منى .. ويلف ذراعه حولى .. ثم ينظر فى عينى ويقول فى لهجة رقيقة لم اتعودها منه أيضا :

— انتى مظلومه يا امينه . .مظلومه بجوزك .. ومظلومه بى ..

ثم ضمنى اليه ..
ويده تمسح على ظهرى ..
انى أعرف ما يريد ..
واريد ان ابكى ..
أقاوم دموعى بكل ارادتى ..
والتقط شفتى بشفتيه .. لا .. لا اريد .. ان مسامى

منقبضة .. انها لا تنفتح كعادتها معه .. ولكنى لست متضايقة .. لا احس بهذا الضيق الذى اشعر به مع زوجى .. ولا بهذا البرود .. كأنى اسير فى طريق أعرفه .. تعودت عليه .. حتى لو لم أكن أريد السير فيه ..

واعطى لنفسه حرية أكثر ..

ملهوفا .. متعجلا .. حتى يلحق موعد العيادة ..

وبكيت ..

كان بكائى صامتا .. ولكنى لم أستطع أن أبقيه صامتا .. تكلم دمعى فى نشيج خافت .. وبكائى ونشيجى يثيره أكثر .. وأنا مستسلمة .. لا اقاوم ..

وتركنى ..

ولا زالت الدموع تسيل على خدى ..

وضمنى فى رفق الى صدره واخذ يواسينى .. ويقول كلاما يحاول أن يكون رقيقا .. ما فائدة الكلام .. كله كلام لا يحل مشكلتى .. وهو متعجل .. انى اعرف انه على عجل .. يريد ان يلحق بموعد العيادة ..

وابتعدت عنه ، وأنا اقول كأنى انفزه .. كأنى الومه .. كأنى اكتشفه :

ــ انت اتأخرت على العياده يا هاشم .. حاسيبك بأه ..

ووقف صامتا ..

واستدرت له لأخرج ..

ولحق بى هاتفا :

ــ حاشوفك امتى ؟

قلت وأنا أبتسم له ابتسامة فيها مرارة وفيها سخرية :

ــ ما اعرفش .. حا ابقى اتصل بيك .

وخرجت ..
والذل يأكل اعصابى .. والغيظ .. والحيرة ..
وعدت الى الحلاق .. وجلست تحت يده .. وانا أفكر فى طريقة اخلص بها نفسى من هاشـــم .. هل يستطيع زوجى أن يخلصنى منه .. ربما لو اتبعت الدرس الذى لقنته لي امى لاستطعت أن اجعل منه شيئا اتعود عليه ..

وقررت ان اتبع دروس أمى ..
أن ارضى زوجى ..
لعلنى اتعود عليه .. ولعله يخلصنى من هاشم ..
وجاء المسكين فى الساعة السادسة .. ومنحته أكبر ابتساماتى .. كأنى أعده بشىء كبير ... جديد .. ثم تركته ينتظرنى ساعة كاملة الى ان انتهيت من الحلاق ..
وعدنا ليلتها الى السويس بعد ان تناولنا طعام العشـــاء فى بيت أمى ..
وهناك ..
فى غرفتنا ..
كنت متعبة .. لم أستطع أن ابدأ فى تطبيق الدرس الذى لقنته لى أمى .. ثم .. كان كثيرا على ان اكون لرجلين فى ليلة واحدة .. أحس بنفسى رخيصة .. مبتذلة .. جسدى يقشعر ، وجلدى يتكرمش ، كلما لمست جسد زوجى ..
ولكنى حاولت فى الليلة التالية ..
يا ربى .. ما أقسى المحاولة ..
انها عذاب .. ذل .. معدتى تتلوى ، استمر فى المحـــاولة .. أعطيه كل ما اوصتنى به أمى .. وأكثر .. بل انى أغش من هاشم وأحاول أن القنه الغش ..

وفرح زوجى بالمحاولة ..
انه الآن ليس مسكينا ..
ولم اتصل بهاشم فى هذا اليوم .. ولا فى اليوم التـــالى .
مرت ثلاثة أيام لم اتصل به .. والأيام تمتد أمامى طويلة ، فارغة .. والزهق ، ثعبان يفتـــح فكيـــه المســـمومتين ويبتلعنى .. والمحاولات التى ابذلها لزوجى تقززنى .. وتبعـــدنى عنه اكثر .. ومسام جسدى تزداد انقباضا ..

ثم ..
عدت أتصل بهاشم ...
وذهبت الى لقائه عندما جئنا الى القاهرة فى الأســـبوع التالى ..

واصابتنى حالة اللامبالاة ..

لا مبالاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى
لا مبالاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى
.. ولا مبالاة بعائلات السويس وبما يقولونه عنى .. ولا مبالاة حتى بامى ...

لا أبالى اذا ذهبت الى هاشم .. ما دمت اريده ... واللامبالاة تدفعنى الى جراة اكثر فى التحـــدث اليه من السويس .. انى أتحدث اليه أحيانا ثلاث مرات فى اليوم .. ولا مبالاة فى لقائه .. انى ألقاه كل يوم اقضيه فى القاهرة .. وأستطيع أن ابتكر الأعذار لأذهب الى لقائه بعد الساعة التاسعة .. بعد أن تنتهى مواعيد العيادة المبجلة .. وابقى معه للعاشرة .. والحادية عشرة .. بل انى عودت زوجى على أن يتركنى وحـــدى فى القـــاهرة .. يوما أو يومين .. لأذهب الى هاشم بحرية اكثر ..
ولا ابالى ايضا وانا راقدة بجانب زوجى .. انه شىء يسلينى

.. تجلد جسدى فلم يعــد يحس بضيق ، ولا بتقزز .. بل احيانا كان الزهق يشتد بى .. وادور في غرفتى كأنى أدور فى احد اقفاص حديقة الحيوان .. اريد اى شىء أعمله .. شىء يلهينى عن نفسى .. فأتصـــل بزوجى فى مكتبه .. وهو يبقى فيه طول اليوم حتى الساعة الخامسة .. واقول له فى دلال وكأنى العب لعبة مسلية :

ــ عبد السلام .. تعالى ..

ويقول لى :

ــ ما اقدرش يا ميتو .. عندى شغل .

واقول كأنى اتلوى :

ــ اخص عليك .. انا عايزاك ..

ويستسلم المسكين .. واسرع انا واخلع ثيابى كلها .. وارقد فى الفراش واغطى نفسى بالملاءة الخفيفة .. وانتظره وفى عينى نظرة خبيثة .. ثم اتســـلى برؤية عينيه الجاحظتين وهو يكشف عنى الملاءة .. ولعابه السائل على ذقنه ، وهو يتحسس جسدى .. وحركاته المضحكة وهو يحاول ان يأخذنى .. اتسلى .. مجرد تسلية .. لقطع الوقت .

لقد أصبح جسدى ، لعبتى ..

ولا أبالى ..

ولكن هذا الاحساس باللامبالاة كان ستارا شفافا فوق الأسى ، والضياع ، والحيرة ، والتفكك الذى أحس به فى دخيلة نفسى .. وكأن هذا الستار ينزاح أحيانا .. تطيره ذكرى أو فكرة .. فأرى من ورائه عذابى .. وأبكى ..

كنت أبكى كثيرا فى غرفتى .. وغرفتى هى المكان الوحيـــد الذى أملكه فى هذا البيت .. والباقى تملكه حماتى .. تركتـــه

والعب بجسدى ..
لعبتى الوحيدة ..
ولكنى مع الأيام ، سئمت اللعبـــة .. وبدأ ستار اللامبالاة يتمزق .. واجد نفسى مضطرة لأن أواجه مشكلتى .. بكل ثقلها بكل بشاعتها .
وكنت أعلم حل مشكلتى ..

لها .. لم أحاول أن آخذه منها .. كنت ضعيفة الشخصية الى حد أنى لا أستيطع ان اقف أمام شـــخصيتها .. أو أن أطالب بشىء .. كل ما أستطيعه هو أن أبتعد عنها .. وأن تتركنى فى حالى .. لزهقى .. للأيام الطويلة الفارغة .. و ..

الحل الوحيد .. أن أتزوج هاشم ..
انه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يجعل منى زوجة كاملة .. الوحيد الذى يستطيع ان يملأ فراغى .. الوحيد الذى استطيع ان أنتظره دون أن أزهق .. حتى لو ظل فى عيادته شهرا .. و ..
ولكنى حامل ..

يا خرابى ..
ابن من هذا الذى ينسج حياته فى داخلى ..

— ٤ —

كانت مفاجأة لى عندما اكتشفت انى حامل .. ،
مفاجأة كبيرة ...
ذهلت ..
وكنت أعلم أنه سيأتى اليوم الذى أحمل فيه .. ولكنى كنت

اتصور هذا اليوم بعيدا .. بعيدا جدا .. بعد سنتين .. ثلاث .. أربع سنوات .. والكلمات الكثيرة التى كنت أسمعها وتتمنى لى ابن الد ، وعقبال البكارى .. وعايزين نفرح بالنونو .. ويا لله هاتى لنا بنت حلوه زى أمها .. كل هذه الكلمات لم تكن تقرب هذا اليوم فى خيالى .. حتى أحاديث أمى ، ولمعة عينيها وهى تسألنى عن حالى كلما التقينا .. ونظرة حماتى التى تستقبلنى بها كل صباح ، وتتبعها لى وأنا انتظر شارة أنوثتى كل شهر .. كل هذا لم يدفعنى الى الاحساس بأنى قد أحمل فى أى يوم قريب ...

ربما لأنى كنت أعيش فى أزمتى .. كنت أعيش عمرى ساعة بساعة .. يوما بيوم .. وكان عقلى .. وكانت احاسيسى .. وكان جسدى .. كان كل شىء موزعا بين زوجى وهاشم .. لا شىء غيرهما يشغل بالى .. أو افكر فيه .. أو أنتظره ..

وفى علاقتى مع زوجى ومع هاشم ، لم أكن أنتظر ان احمل من احدهما .. هكذا بسرعة ..

كنت أحيانا أخاف .. أخاف من الحمل .. ولكنه كان نوعا من التدلل أكثر منه خوفا .. وكنت فى هذه الأحيان أدعى أنى أحتاط .. وافعل ما تفعله النساء اللاتى يحتطن من الحمل .. ولكنه كان أيضا نوعا من التظاهر .. التظاهر باستعمال حقوقى كامرأة فى اشعار رجلها — أو رجليها — بأنوثتها المتفتحة للأمومة .. تماما كما لبست الكعب العالى لأتظاهر بأنى اصبحت بنتا كبيرة وكما دخنت السجائر فقط لأتظاهر بأنى اصبحت زوجة من حقها أن تدخن ...

ولكنى كنت أزهق من هذه الاحتياطات وأكسل عنها ..

خصوصا مع هاشم ...

انى انصهر معه الى حد أن انسى كل شىء ، الا اللحظة التى نعيشها معا ..

واعتقد ان هذا يحدث لنا جميعا ..

اننا ضعيفات ..

ولولا ضعفنا لما زادت نسبة عمليات الاجهاض الى هذا الحد .. واغتنى أطباء من وراء ضعفنا ..

ولكنى أيامها لم اكن أحس بأنى ضعيفة .. كنت لا مبالية .. وكنت لا اصدق ان هذا اليوم سيأتى بهذه السرعة ..

الى أن فوجئت ..

وذهلت ..

وكان أول ما طرأ على ذهنى أن أسأل نفسى .. من الذى وضع فى داخلى هذا الجنين ..

وتمنيت ان يكون هاشم ، أبا لابنى او ابنتى .. أبا ازهو به .. افخر به .. ويرث عنه ابنى قوة شخصيته ، وذكاءه ، وانفه الكبير .. وضحكت ضحكة صامتة وأنا أتصور ابنى وله انف كأنف هاشم .. ثم فجأة سقطت ضحكتى منى .. وخفت . الى حد ان انخلع قلبى .. كيف يكون الجنين لهاشم ، وأنا زوجة لعبد السلام ..

ولم اتبين ساعتها تفاصيل المشكلة .. ولكنى وجدت نفسى غارقة فى ضباب أسود كثيف .. تطل منه كلمة الحرام .. وأخاف على ابنى من الحرام .. أخاف عليه من الله .. ومن الناس .. ومن الأيام .. اخاف على ابنى لا على نفسى .. ودموعى حائرة بين رموش عينى ..

ثم .. من خلال هذا الضباب الكثيف انفتحت طاقة رأيت منها ان الجنين الذى احمله فى بطنى هو لزوجى عبد السلام .

ولا ادرى كيف استطعت ان اتأكد انى حملت من زوجى لا من هاشم ..

لقد أخذت اتذكر .. وبقدرة خارقة تذكرت جميع الليالى التى كنت فيها لزوجى خلال الخمسة الأشهر التى مرت على زواجنا ..

انها لا تتجاوز ست ليال .. سبع ..

وتذكرت كل التفاصيل .. كل أحاسيسى .. كلها .. شىء عجيب أن اتذكر كل هذه التفاصيل ، وبهذه الدقة ..

وليلة معينة بالذات .. حملت فيها ..

لا ادرى كيف تأكدت أن هذه الليلة بالذات هى التى حملت فيها .. ليست ليلة اخرى .. ولا ادرى هل تستطيع كل زوجة ان تكتشف الساعة التى حملت فيها ..

لا ادرى ..

ولكنى تأكدت ..

وازداد تأكدى بمجرد احساس تلقائى ..

الحمد لله .. ان ابنى ابن حلال .. لن اخاف عليه من الله ، ولا من الناس ولا من الأيام ..

ولكن ..

عندما تأكدت ، واسترحت الى تأكدى بدأت اشعر بنوع من الندم .. ومن الغيظ .. اغتظت لأنى حملت من زوجى عبد السلام .. كأنه لم يكن يستحق أن احمل منه .. لم أشعر بهذه الرقة وهذا التفتح للحياة الوليدة ، الذى تشعر به كل زوجة جديدة تتلهف على الأمومة .. شعرت ان هناك قيداً ينطلق من بطنى ليشد وثاقى الى الرجل الذى لا أريده ..

وعدت اتمنى من جديد أن يكون الجنين لهاشم .. واغمض

عينى واستريح لهذه الامنية .. وابتسم .. ثم يسرح بى خيالى .. ربما لو تأكد هاشم أن الجنين له ، لطلقـــنى من زوجى ، وتزوجنى .. انه لن يرضى ان ينسب ابنه الى رجل آخر .. أو على الأقل يعيش مع رجل آخر .. حتى لو كان ابن حرام ..

وتزعجنى كلمة الحرام .. انتفض .. لا ياربى .. لا تجعله لهاشم .. للحرام .. اجعله للحلال .. لعبد السلام ..

ثم اعود واهدا .. وتعاودنى الأحلام .. من اين يتأكد هاشم . انى حملت منه .. انه لن يتأكد الا اذا ولدت وكان المولود شبها له .. أو لزوجى .. ولكن قد لا يكون المولود شـــبها له ، ولا لزوجى .. قد يكون بنتا شبها لى .. واعيش طول عمـــرى حائرة فيها .. وقد تعقدنى هذ هالحيرة .. و ..

وفى لحظات تخبطى .. فى نفس اللحظة التى كنت أعانى فيها كل هذه الأفكار السوداء .. ابلغت زوجى أنى حامل ..

وفرح المســكين .. كاد يطير من الفرح .. ووقف أمامى كالعبيط ، وفرحته تسيل على شفتيه .. لا يدرى ماذا يقـــول ، ولا ماذا يفعل لى ..

وفرحت حماتى .. فرحت كأنها اخذت منى شيئا ، كأنهـــا استردت قيمة المهر والشبكة ..

وفرحت أمى .. جاءت الى السويس ، واقامت معى أربعة أيام ، ثم أخذتنى معها الى القاهرة لتعرضنى على طبيب وتزداد تأكدا .. فهى لا تثق فى أطباء السويس ..

الوحيدة التى لم تفرح .. أنا .. و ..

ولم اقل شيئا لهاشم ..

ذهبت اليه فى نفس اليوم الذى وصلت فيه الى القاهرة مع أمى .. ذهبت اليه باحساس جديد .. غريب .. كنت احس

انى لست ذاهبة اليه وحدى .. كان معى انسان آخر .. مخلوق آخر غريب عنى يعيش فى داخلى .. وهذا المخلوق يراقبنى ويحاسبنى .. ويخاف منى .. ان هاشم لن ياخذنى هذه المرة وحدى .. انه سياخذ معى هذا المخلوق الآخر الذى ليس له ارادة ، الا ارادتى .. فما ذنبه .. انه لا يحب هاشم كما أحبه .. ولا يريد هاشم كما أريده .. فما ذنبه ..

وعقدنى هذا الاحساس ..

وربما لاحظ هاشم الخطوط العميقة التى رسمتها مشكلتى فوق جبينى .. فقد سألنى بمجرد أن جلست بجانبه :

ـ مالك ..

قلت وأنا أزفر كل أنفاسى :

ـ ولا حاجه ..

قال ملهوفا :

ـ مش ممكن .. انتى مش زى عوايدك .. عمرى ما شفتك مبوزه للدرجه دى .

قلت وأنا ألقى عينى فى راحة يدى :

ـ متضايقه ..

قال فى بساطة :

ـ من ايه .. حصلت حاجه جديده ..

ورفعت عينى اليه وقلت فى حدة :

ـ يعنى ضرورى تحصل حاجه جديده علشان اتضايق . مش كفايه اللى انا فيه ..

ومال بظهره على مسند الأريكة .. وتنفس فى ضيق .. كأنى افسدت متعته .. واقلقت راحته .. وسكت .. لم يرد على ...

وبقيت ساكتة معه برهة ، ثم رفعت راسى اليه ، وعلقت عينى بعينيه وقلت كأنى أستغيث به :

ــ هاشم .. انا لازم أتطلق .. أنا حاتجنن .. مش طايقه جوزى .. مش طايقاه .. قرفانه منه .. وقرفانه من نفسى .. وقرفانة من عيشتى .. لو ما اتطلقتش حانتحر ..

واطلت نظرة حنان من تحت جفنيه المنتفختين ، وقال وهو يمسح بيده على شعرى :

ــ ما تبقيش مجنونة .. لو كل واحدة متضايقه من جوزها طلقته .. ولو كل واحد متضايق من مراته طلقها .. ما كانش النهارده فيه حد متجوز .. الطلاق مش سهل .. الطلاق حاجه كبيرة .. الطلاق يعنى بيت اتهد .. وانتى لسه ما لحقتيش تتجوزى .. لسه ما حاولتيش كفايه .. يمكن لو حاولت أكتر من كده تقدرى تعيشى معاه ..

انه يحدثنى كأنى امراة غريبة عنه .. كأنه ليس اصل شقائى ومصيبتى .. ينصحنى كما تنصح أمينة السعيد قارئاتها .

ونظرت اليه فى لوم .. اكثر من لوم .. وقلت فى حدة :

ــ أنا مش متضايقه منه وبس .. انا باحب واحد تانى غيره .. نسيت ! ؟

وابعد يده التى يمسح بها على شعرى وادار وجهه عنى . وقال فى صوت صارم :

ــ يبقى تسيبى التانى .. اهون من الطلاق ..

واتسعت عيناى وامتلأتا بالدهشة والالم ، وشهقت :

ــ انت تقدر تسيبنى يا هاشم .

وقال فى برود :

ــ انا ما اقدرش اسيبك . لأن ما فيش سبب يخلينى اسيبك .. انما انتى تقدرى تسيبينى الآن عندك سبب تسيبينى علشانه .. لو كان لازم تختارى بين بيتك وبينى .. يبقى لازم تختارى البيت .. لأن مالكيش مستقبل معايا ..

هكذا قالها بكل صراحة ..

ورفعت راسى كأنى احاول ان احتفظ بكرامتى ، وقلت وانا احاول ان انظر اليه نظرة ساخرة :

ــ على كل حال انا لو اتطلقت مش حا اطلق علشـــانك . حااطلق لانى مش طايقه الراجل اللى اتجوزته .. ومش طايقه اعرفك وانا متجوزه .. وانا مش خايفه من المستقبل .. انا لسه صغيره وحلوه .. الف راجل يتمنوا يتجوزونى .. واى واحد فيهم احسن من اللى انا متجوزاه ..

ولم يرد على ..

قام من جانبى واتجه الى مكتبة صغيرة معلقة فى الحائط ، واخذ يقلب فى بعض المجلات الطبية ..

واستطردت قائلة وانا أكاد اخنقه بعينى :

ــ انا اللى مخلينى اعرفك لغاية دلوقت انى متجوزه الراجل ده .. يمكن لو اتجوزت واحد تانى يقدر يخلينى اسيبك ..

ولم يرد على ايضا ..

واضطررت ان اسكت .. وعاودنى الاحساس مرة ثانيـــة انى لست وحدى .. معى انسان آخر فى بطنى .. وخيل الى انى اسال هذا الانسان رايه .. استشيره .. اطلب منه ان يعاوننى .. يمنحنى قوة تحفظ لى كرامتى ، وتشد ارادتى .. وعيناى منكستان كأنى انظر بهما فى داخلى الى الانسان الآخر .. ومشكلتى كلها لا تزال مرتسمة فى خطوط عميقة محفورة فــوق

جبينى . .وصدرى يضيق بأنفاسى .. رئتاى كأنهما منفاخ ينفخ الدموع الى عينى .. ولكنى لا ابكى ..

ولم يلحظ هاشم أن فى داخلى انسانا آخر .. أن بطنى لم ينتفخ الى حد أن يلحظه أحد ..

ولكنه التفت الى بعد فترة طويلة ، وقال وهو يطوى المجلة الطبية ويلقى بها فى المكتبة :

ــ احنا بنتخانق على ايه دلوقت ؟

قلت فى يأس :

ــ مش عارفه ؟

قال :

ــ طيب زعلانه منى ليه ؟

قلت وأنا أشد يأسا :

ــ مش زعلانه ..

وجاء وجلس بجانبى ، وقال وهو يدس أصابعه فى خيوط شعرى ، ويبتسم لى ابتسامة كبيرة :

ــ انتى مجنونه ..

ثم قرب شفتيه من شفتى ..

واشحت عنه بوجهى بسرعة وعنف ..

لا اريده ان يقبلنى ..

ونظر الى فى دهشة ، وقال وهو يضع ذراعه فوق كتفى :

ــ مش عايزه تبوسينى ؟

قلت :

ــ سيبنى يا هاشم من فضلك .. أنا متضايقه ..

ثم انتفضت من جانبه ، وقمت واقفة فى منتصف الغرفة .

ولحق بى ونظر الى كانه يحاول ان يكتشف سرى ، ثم احاطنى بذراعيه وجذبنى بقوة الى صدره ، وهو يقول :

ــ ما تبقيش مجنونه .. انتى عمرك ما حاتضايقى منى ..

ثم سقط بشفتيه فوق شفتى .. يقبلنى هذه القبلة العنيفة التى اعرفها جيدا عندما يريد ان ينتهى منى بسرعة ليلحق موعد العيادة ..

ونزعت شفتى من بين شفتيه بالقوة .. وتركت قبلته تسقط على كتفى فى عصبية كانى اصرخ ، وانا احاول ان اتخلص من بين ذراعيه :

ــ مش قادره يا هاشم .. سيبنى .. سيبنى .. مش قادره ابدا ..

وكنت فعلا لا استطيع ..

ربما لأول مرة أشعر أننى لا اطيق قبلة هاشم ..

ورفع راسه النائم فوق عنقى ... ونظر الى والدهشة تملأ عينيه .. ثم أفلتنى من بين ذراعيه .. ووقف أمامى وعلى شفتيه ابتسامة فاترة .. لا مبالية .. كانه يحاول أن يقنعنى بأنه لم يخسر شيئا كبيرا .. ولا يهتم ..

وساويت شعرى بيدى .. وساويت ثوبى ، وقلت وانا لا انظر اليه :

ــ انا لازم انزل باه ..

ولم يرد ..

ظل واقفا مكانه وعلى شفتيه نفس الابتسامة ..

وتقدمت نحو الباب ..

وهو لا يزال واقفا مكانه ..

ووضعت يدى فوق مقبض الباب ..

وهو لا يزال مكانه .. لا ينطق .

وترددت قليلا .. ثم عدت اليه . وقبلته قبلة سريعة فوق خده .. وقلت وانا اعود ناحية الباب :

ـ ما تزعلش منى .. حابقى اضربلك .

وسمعته يقول :

ـ مع السلامة ..

وخرجت ..

وعلى شفتى ابتسامة صغيرة .. كنت سعيدة لأنى قاومته .. لانى لأول مرة لم اعطه ما يريد .. وكنت انظر الى الانسان الذى فى داخلى كأنى أتباهى أمامه بقوة ارادتى ..

وركبت سيارة أجرة ، وانا أفكر فى .. الطلاق ..

نعم .. الطلاق ..

وكنت وانا افكر فى الطلاق اشعر كأنى اتحدى هاشم .. انى لا اريد الطلاق فقط لأنى لا اطيق زوجى .. ولا لأنى اخونه .. ولكن لأتحدى هاشم .. لأقنعه بأنى سأطلق حتى لو لم يعدنى بالزواج .. لأقنعه انى لست فى حاجة الى وعد منه ، حتى اطلق ..

وشعرت برجفة وفكرة الطلاق تلح على .. ولكن هذه الرجفة لم تحل دون استمرارى فى التفكير .. كنت أحس بخطورة ما أفكر فيه .. ولكن احساسى بالخطورة يسوقنى امامه .. لا استطيع ان انظر خلفى .. انى منساقة بكل عقلى الى التفكير فى الطلاق ..

ووصلت الى البيت ، واستقبلنى زوج امى مهللا ، واحتضننى بين ذراعيه وقبلنى فوق جبينى ، وهو يقول بلهجته العسكرية :

ـ والله كبرت يا ميتو .. وحاتخلفى ..



انه يحبنى منذ تزوجت .. لأنه لم يعد مسؤولا عنى ..

واستقبلتنى أمى فى لهفة ، وهى تصيح :

ـــ اتأخرت كده ليه يا ميتو .. ما فيش نزول البلد اليومين دول .. لازم تستريحى فى السرير على طول ..

واخوتى الصغار يلعبون حولى ، وانا لا اراهم الا كخيال .

وكلام كتير بقال ، لى ولا اسمعه ..

انى أفكر فى الطلاق ..

لا استطيع أن اكف عن التفكير فيه .. وكلما اصطدم تفكيرى بعقبة ، بررتها لنفسى ..

كنت اقول لنفسى .. كيف أطلب الطلاق ، وانا حامــل .. فترد نفسى قائلة .. هذا افضل بدل ان يولد الطفـــل ليعيش مع ام خائنة واب مخدوع .. انك تطلبين الطلاق من اجل طفلك .

وكنت اقول لنفسى .. الأفضل ان انتظر الى ان يولد الطفل .. فترد نفسى قائلة .. ابدا .. الآن افضل .. حتى لا يقيدك الطفل فى مسعى الطلاق ..

ولم يكن تفكيرى فى الجنين الذى احمله هو كل ما يخطر لى وانا مستسلمة لتفكيرى فى الطلاق ..

ابدا .. كان الجنين آخر ما افكر فيه .. كان فى بطنى ، ولكنى لم اكن فى هذه السن اســــتطيع ان اقدر خطورة ما انا مقدمة عليه بالنسبة له .. ولا ان اقدر قيمة عواطفى نحوه ..

كان كل تفكيرى فى هاشم ..

كانت المقارنة بينه وبين زوجى ، تشعرنى بالفارق الكبير بينهما .. فى المركز .. فى المظهر .. فى الشخصية .. فى الرجولة .. فى كل شيء .. فاذا كنت استطيع ان يكون لى رجل مثل هاشم ، فلماذا اتزوج رجلا كعبد السلام .. واذا كنت قد

تزوجته ملماذا استسلم لقدرى . .لماذا لا اغامر .. انى صغيره .. وحلوة .. وفى عمرى متسع للمغامرة ..

وكنت مغرورة ..

حبى لهاشم ملأنى غرورا ، وقوة ..

ولم أكن أعرف أنى مغرورة ..

ولكنى كنت أعرف أنى قوية ..

ولكن ..

كيف أطلق .. كيف أجبر زوجى الذى يحبنى على طلاقى .. ان يطلقنى بلا سبب .. ثم كيف أقنع عائلتى بالطلاق ؟

لا ادرى ..

ولكن لابد أن هناك وسيلة ما ..

واتصل بى زوجى بعد يومين من السويس وطلب منى أن اعود اليه .. ولكنى رفضت .. قلت له أنى تعبانة .. ولن أحتمل السفر الى السويس ورجة السيارة طول الطريق . وصدقنى المسكين الملهوف على الجنين الذى فى بطنى .. وصدقتنى أمى .. ولم أذهب اليه .

ذهبت الى هاشم ..

وفى هذه المرة لم استطع ن أقاومه .. كنت فى حاجة اليه .. كنت فى حاجة الى شىء عنيف يلهينى .. شىء أعنف من افكارى .. واعنف من هذا المخلوق الذى يعيش فى داخلى .. وكان هاشم يستطيع دائما أن يكون اعنف من كل شىء .. ولكنه عندما هم أن يضربنى فى هذه المرة ، كما عودنى .. قلت له فى توسل :

ـــ لا .. ماتضربنيش .. علشان خاطرى ..

كأنى كنت اريد ان احتفظ بشىء من أجل هذا المخلوق الذى

يعيش في داخلى .. كنت اريد ان ابدو امامه محترمة ..

ولكن هاشم ضربنى ..

ونسيت كل شيء ..

عشت فى كل لحظات الجنون ..

ثم افقت ..

وافاق مسترخيا بجانبى ..

وعندما افقت ، افاقت معى كل افكارى دفعة واحدة .. وادرت راسى بعيدا عنه .. افكر .. أفكر ..

واستدار لى بعد برهة ، وعاد واخذنى بين ذراعيه .. فى رقة . .وهدوء .. وقال فى صوت حنون صاف .. وأنفاسه منتظمة كخرير الجدول العذب :

ــ انا باحبك قوى يا امينه ..

ورفعت اليه عينى فى نظرة سريعة .. كانت المرة الأولى التى ينطق فيها هذه الكلمة .. احبك .. وقالها فى صدق .. وعمق . كل خلجة من وجهه تقولها .. وصدقته .. وعندما صدقته . انفتح امامى طريق مفروش بالورد .. طريق ينطلق النور على جانبيه ..

ودسست وجهى فى عنقه ، وضغطته الى صدرى .. الى قلبى .. بكل حنانى .. بكل ما أملكه من طاقة عاطفية .. وهمست ، وهمستى تقفز فوق شلال عواطفى :

ــ وانا كمان يا هاشم .. باحبك قوى .. قوى ..

واستراح كل منا فى صدر الآخر .. وفوق ثغرينا ابتسامتان هادئتان كفراشتين نامتا على اوراق الورد ..

وعدت أفكر .. وفى تفكيرى حلاوة .. وهدوء .. كأنفاسه

وانفاسى .. ووجدت نفسى اقول له رغم ارادتى ، وكانى لم اعد احتمل أن اخفى عنه شيئا :

— هاشم .. انا حامل ..

وقفز راسه من فوق الوسادة ، وقال وقد اضطرب صوته وضاع منه الحنان :

— بتقولى ايه ؟

وادرت راسى اليه ، وقلت وعينى فوق انفه الكبير :

— انا حامل ..

قال كأنه انزعج :

— بتتكلمى جد ؟

وهززت رموش عينى بالايجاب ..

قال وهو أشد انزعاجا .

— من امتى ؟

قلت :

— فى التانى ..

قال فى غيظ :

— أما مجنونة صحيح ..

ونظر فى عينى صامتا .. كأنه ينتظر منى شيئا اقوله .. وفى نظراته شىء غريب .. كأنه يتحفز للدفاع عن نفسه .

ولم اقل شيئا ..

وأراح راسه على الوسادة .. ولمحت سحابة من الحيرة تمر على وجهه .. وتمتم فى صوت خفيض :

— ومالك مستعجله كده ؟

قلت وانا انظر اليه سعيدة بحيرته :

— يعنى كنت عايزنى اعمل ايه ؟

قال :

ـ كان لازم تحتاطى .. انت لسه ما بقالكيش خمس شهور متجوزه .. لسه ما ستقرتيش فى جوازك .. كان لازم تستنى لغاية ما تستقرى .. لغاية ما تنظمى عيشتك ، لغاية ما تبنى حياة كويسة لابنك .. مش معقول انك من يومين تقوليلى انك عايزه تتطلقى .. والنهارده تقوليلى انك حامل ..

ونظر كل منا فى عينى الآخر .. وفى عيوننا تساؤل لا نريد ان نفسح عنه .. والحيرة تكسو وجهه .. وسعادتى بحيرته تزداد .. وكنت سبب حيرته .. وكان يحس انى اعلم سبب هذه الحيرة .. انه يريد أن يسألنى ممن حملت .. ولكنه لا يستطيع ان يفصح عن سؤاله .. وانا لا اجيبه ولا أريحه ..

وقلت وانا ادعى الغضب :

ـ واشمعنى انا اللى احتاط ..

ونزع ذراعه من تحت رأسى ، واعتدل جالسا فوق السرير وقال وعيناه ضائعتان فى فراغ الغرفة :

ـ علشان انتى اللى بتحبلى .. الراجل ما بيحبلش .. والمشكلة مشكلتك .. مش مشكلة جوزك ..

وقفز من جانبى ، وبدأ يرتدى ثيابه ..

ونظرت اليه فى عتاب .. وانا لا زلت راقدة فى الفراش نصف عارية .. كان قاسيا فى كلمته .. وقاسيا عندما ذكر زوجى .. لا يمكن أن يكون زوجى وحده هو المسؤول ..

والتفت الى وهو واقف أمام المرآة .. يشد رباط عنقه .. وقميصه مهدل فوق ساقيه العاريتين .. وحاجباه معقودان فوق عينيه .. وهم أن يتكلم .. على طرف لسانه سؤال اعرفه جيدا .. ولكنه لم يتكلم ..

ولا انا ..

ولا ادرى لماذا لا نستطيع ان نواجه الموضوع ببساطة .. ربما لأن كلينا يحترم المخلوق الذى يتكون فى داخلى .. ويخاف عليه .. يخاف عليه من كلمة الحرام ..

واكمل ارتداء ثيابه .. وأنا لا زلت راقدة فى الفراش .. وخطا نحوى وعلى شفتيه ابتسامة لا مبالية يحاول أن يبدد بها افكاره .. مخاوفه وحيرته ..

وجلس بجانب جسدى على حافة الفراش وقال وهو يمسح بيده على كتفى العارية ، ويبتسم لى ابتسامة كبيرة تهتز بحيرته :

— انا مضطر انزل قبلك .. اتأخرت على العيادة ..

وكنت اعلم أن فى وقته متسعا لينتظرنى الى ان ارتدى ثيابى ، واذهب قبله .. ولكنى كنت احس بما يعانيه .. كنت احس بحيرته ، وقلقه ، وحاجته الى أن يخلو بنفسه .. ليفكر .. وأنا ايضا كنت فى حاجة لأن اخلو بنفسى لأفكر .. فهززت راسى اوافقه على أن يتركنى قبل أن اتركه ..

وعاد يقول فى حنان مهتز .. كأنه حنان مفتعل :

— مين الدكتور اللى شافك ؟

قلت وانا ابتسم فى خفر ، كأنى احسست ساعتها ان ليس من حق طبيب غيره ان يرانى :

— الدكتور صادق فوده ..

قال :

— مدهش .. ده استاذ كبير ..

ثم انحنى وقبلنى قبلة سريعة على خدى .. ورفع راسه .. وظل برهة ينظر الى بعينين مشفقتين كأنه يواسينى فى

مشكلتى .. ثم عاد الى براسه وقبلنى فوق شفتى .. قبلة طويلة هادئة ..

وقام من جانبى قائلا :

ــ خدى بالك من نفسك .. وكلمينى بالليل فى التليفون .. بعد العيادة .. حاستناكى ..

وابتسمت له ابتسامة كبيرة اقبل بها أنفه الكبير ..

وخرج ..

وتركنى أفكر .. وتفكيرى يفتح لى ابوابا كبيرة من الأمل .. ويصل بى الى قمم عالية من السعادة .. انه يحبنى .. انا متأكدة اليوم اكثر من اى يوم مضى من انه يحبنى .. حب استطيع ان اضع فوقه كل حياتى .. ان أغامر بكل عمرى .. ان اطلق زوجى ..

وقلت لنفسى .. ربما كانت مشكلتى مع هاشم أنه عرفنى وانا متزوجة .. لو انه عرفنى قبل أن اتزوج .. واحبنى كل هــذا الحب .. فمن يدرى .. ربما كان قد تزوجنى .. كل ما احتاج اليه اليوم اعرفه وأنا حرة ..

احمله كل مسؤوليتى ..

املأ عليه كل حياتى ..

وبعدها .. سيتزوجنى ..

ولكنه لا يريد الزواج .. انه يقول انه لم يقرر ان يتزوج .. ولا يهمك يا بت .. انه كلام يقوله كل الرجال .. انه غرور الرجل الذى تغذى على تهافت البنت عليه بلا مقابل .. بلا زواج .. ولكن فى لحظة ما .. تثور شهامة الرجل .. ويضعف أمام حبه .. ويضيق بالتشرد .. ويتزوج .. وانا فى انتظار هــذه اللحظة ...

بل يجب أن اسعى الى هذه اللحظة ، وان اضع خطة للوصول اليها .. وانا ذكية .. استطيع ان اعتمد على ذكائى . وجمالى .. وحبه ..

ولكن ..

اولا ..

كيف استطيع ان اتخلص من هذا الزوج .. المسكين ..

لا ادرى ..

لا ادرى الا اننى يجب ان احاول .. واحاول كل شىء ..

وقمت من الفراش ، ودرت فى انحاء الشقة وانا بقميصى الداخلى ، وقدماى حافيتان .. وعيناى تقبلان الجدران .. وقطع الاثاث .. واشعر بقوة غريبة .. قوة تملؤنى ثقة فى نفسى ، وتحررنى من شخصيتى الضعيفة .. اصبحت قادره على كل شىء .. نسيت لحظات الضعف التى تمر بى .. لن اكون ابدا ضعيفة بعد اليوم ..

وابتسمت للجدران وقطع الأثاث .. كأنى أودعها .. اننى لا استطيع أن اقيم فى هذه الشقة بعد أن اتزوج هاشم .. انها صغيرة .. لا تليق بالدكتور هاشم ، ولا بحرم الدكتور هاشم .. ثم من أدرانى بالنساء اللاتى جئن قبلى الى هذه الشقة .. بل ربما لا يزال هناك نساء يجئن الى اليوم وأنا هناك مرمية فى السويس .. ولسعنى صاروخ من الغيرة .. ولكنى ابتسمت لنفسى اطمئنها .. ابتسامة قوية اتوعد بها كل النساء اللاتى يلاحقن هاشم .. وجرى خيالى يبحث عن شقة أخرى واسعة .. مطلة على النيل .. فى عمارة ليبتون .. واطقم اوبيسون .. وسرير « كابتونيه » .. والجدران فى لون الورد ..

وبدات ارتدى ثيابى ، وانا طائرة على اجنحة خيالى ..

وعدت الى البيت ..

هائمة ..

وزوج أمى فرح بى ..
بالجنين ..

وأمى تعود وتوصينى بأن استريح فى السرير رحمة بالجنين ..

واخوتى الصغار يلعبون حولى وأراهم كالخيال ..

وافكر فى هاشم ..

وفى الساعة التاسعة كلمته فى التليفون .. وسمعت صوته يقول مبتسما :

ـ تانى مره ما تشغليش مخى للدرجه دى .. النهارده ما عرفتش اشتغل خالص .. العيان اللى كنت باكشف عليه نص ساعه .. خد منى ساعه ..

الى هذه الدرجة يحبنى ..

اصبحت مشكلتى مشكلته ..

وقلت فى دلال :

ـ انا شغلتك بأيه يا هاشم ..

وقال وانا أرى ابتسامته فى خيالى :

ـ مش عارف .. اما نتقابل ابقى اقولك ..

وتحدثنا طويلا ..

لأول مرة يطول حديثنا الى هذا الحد ، ولا يتلهف للذهاب الى أصدقائه بعد انتهاء عيادته ، كما عودنى ..

شىء جديد ..
كل هذا الحب .. وكل هذا الاهتمام ..

ربما اعتقد ان الجنين له ..

وابتسمت فى سعادة .. وخبث ..
وانتهى حديثنا على لقاء فى الغد ..
وزوج أمى يشخط فى أولاده ..
وامى تصلى صلاة العشاء ..
ورفعت راسى فى ابتهال ..
يارب .. الطلاق ..

— ٥ —

عندما تريد المراة ، تستطيع دائما أن تفعل ما تريد .. لا شىء يستطيع ان يصدها .. لا شىء يستطيع ان يقهرها . .الا الزمن .

وقد فعلت فى حياتى كل ما أردته .. لم يستطع أحد ان يقف فى طريقى .. ذبحت كل من حاول ان يصدنى او يعدل راسى .. وكل الذين ذبحتهم ناس احبونى .. اعطونى قلوبهم فشققتها بسكين من شهواتى .. وخضت فوق جراحهم .. الى ان وجدت فى آخر الطريق صخرة هائلة .. مخيفة .. فظيعة .. اسمها الزمن .. يقف فوقها هاشم كالشبح .. لا استطيع ان امسك به .. لا استطيع ان اناله .. لا أستطيع ان اذبحه ..

وكل الذين ذبحتهم ،لم اتعمد ان أذبحهم .. لم اتمن ذبحهم .. فقط ذبحتهم لأشق طريقى .. الوحيد الذى تمنيت ذبحه هو هاشم .. تمنيت أن أمزق لحمه قطعا صغيرة ، وارميها للكلاب .. ولم استطع .. انه لا يزال واقفا هناك .. كالشبح .. اراه ونا مفتحة العينين ، واراه وانا مغمضة العينين ، وامد يدى لأخنقه . فأسمع ضحكته الساخرة ..

و .. ولكن ...

لماذا اقول هذا الكلام الآن وانا لا زلت فى بداية قصتى .. ربما لأنى وانا فى البداية تطل على النهاية .. ربما لأنى أعيش فى النهاية ، بينما البــداية لم تعد سوى ذكرى .. ذكرى أيام مهما امتلأت بالدموع الا أن فيها حلاوة .. حلاوة شــبابى .. وحلاوة الأمل .. وحلاوة ثقتى فى نفسى .. وحلاوة نصف الحقيقة التى نراها فى شبابنا .. ثم نكبر .. ونكبر .. وكلما كبرنا كبر ما نراه من الحقيقة ، الى ان نراها كلها .. ونصف الحقيقة اجمل واروع من الحقيقة كلها .. الحقيقة كالقمر .. نصفه منير رائع ، ونصفه الآخر مظلم مخيف ..

انى اعيش الآن فى النصف المظلم المخيف ..

وكنت أعيش فى النصف المنير وانا افكر فى الطلاق من زوجى .. وكان النور الذى يشع من حولى .. نور الزهو بنفسى ، ونور افتتانى بجمالى وشبابى .. يخفى عنى بشاعة تفكيرى .. يخفى عنى حتى احساسى بالأمومة التى تتحرك فى أحشائى ..

ولم يكن هناك سبب للطلاق الا انى اريده .. لم يكن زواجى يحول دون لقائى بهاشم .. ولم يعدنى هاشم بالزواج حتى أطلق من أجل مستقبل افضل .. ثم .. فى بطنى جنين .. وزوجى يحبنى ..

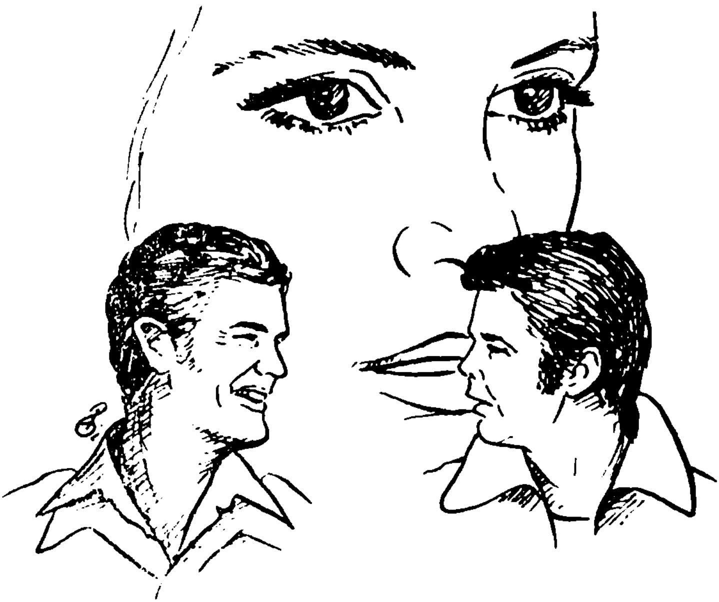
ولكنى اريد الطلاق ..

وكان يجب أن اختلق سببا ...

لا لاقنع به نفسى ..

انى لست فى حاجة الى اقناع نفسى.. يكفى اننى لا احب زوجى .. ولكن .. لأقنع به أمى ..

وقد اقمت فى بيت أمى شهرا .. وكل يوم يتصل بى زوجى



فى التليفون ويلح على ان اذهب اليه .. فأرفض محتجة بمرضى . وخوفى على الجنين .. ويأتى الى القاهرة كل اسبوع ، ولا يكاد يصل حتى يجدنى فى السرير .. مدعية المرض .. ويجلس بجانبى وهو ينظر الى بعينين ملهوفتين ، فأروى له كل ما أعرفه عن تفاصيل فترة الوحم .. وانا لم اتوحم .. لم اشعر بشىء من كل ما سمعته .. لم تنقلب معدتى ، ولم اشته شيئا آكله .. ولا كانت تضـــايقنى رائحة الدخان .. لا شىء ابدا .. كأننى لست حاملا .. كنت فقط ادعى كل ذلك كلما جاء زوجى الى القاهرة .. الى حد انى حرمت عليه ان ينام بجانبى ، او يقبلنى ، بحجة انى لا أطيق رائحته .. من الوحم .. ويرضخ المسكين لأوامرى ، ويبتسم قائلا :

ــ ده باين عليه طالع واد متعب .. زى امه !

فاقول لأخفف عنه :

ــ زى ابوه !

ويمتلىء غرورا ، وينفش صدره كالديك الرومى . كأنه يرى ابنه ، ويراه شبيها له .. ثم ينصرف لينام فى أحد الفنادق . فلم يكن فى بيت امى سرير ينام فيه الا سريرى .. وانا أحرمه من سريرى .. المسكين ..

وقد لاحظت امى مغالاتى فى التدلل على زوجى . ولاحظت قسوتى فى معاملته .. ولحظت انى اخرج كل يوم تقريبـــا . كلما عاد زوجى الى السويس ، وابقى فى البيت كلما جاء الى القاهرة .. وبدات تشك فى الأسباب التى ادعيها لأبقى فى بيتها ..

ولكنها لم تتكلم .. او انها تتكلم بعينيها فقط .. تنظر الى بعينين ثاقبتين كأنها تحاول ان تكتشف سرى .. وخفت من عينيها

.. وبدات انتقل الى فصل ثان من المسرحية التى امثلها .. بدات ادعى الوجوم .. والشرود .. وابقى فى غرفتى دائما .. وحيدة .. وكلما دخلت على امى وجدتنى ساهمة .. اتنهد .. كانى على وشك البكاء ..

وتنظر الى وتسكت .. وعيناها تثقبان صدرى تحاولان ان تكتشفا سرى ..

وفى يوم عدت من لقاء هاشم ، ووضعت على وجهى قناع الوجوم والزهق قبل ان ادخل البيت .. واسرعت الى غرفتى . وخلعت ثيابى ، وجلست فى سريرى وراسى بين يدى .. كانى اتالم .

وتركتنى امى فترة طويلة ، ثم جاءت الى وجلست بجانبى . وقالت وكلماتها تخرج من تحت اسنانها كانها تحاول ان تضغط على نفسها حتى لا تصرخ :

— مالك يا ميتو ..

وقلت وانا لا انظر اليها :

— ولا حاجه يا ماما ..

وسكتت برهة ، ثم قالت وصوتها يرتعش :

— تسمحى تقوليلى انتى بتروحى فين كل يوم والتانى ؟ .

قلت :

— ولا حته .. بامشى .. بافضل امشى من غير ما اعرف انا رايحه فين ..

ثم رفعت عينى اليها واستطردت كانى اصرخ :

— من زهقى يا ماما .. انتى مش عارفه فى ايه .. عمرك ما سالتى نفسك بنتى بتحس بايه .. عمرك ما سالتى نفســـك اذا كنت انا سعيده ولا بائسه .. خلاص .. جوزتينى ورميتينى

.. ما بقتش اهمك .. زى ما اكون كنت بلوه وانزاحت من عليكى ..

وارتسم الجزع على وجه أمى وقالت فى لهفة :

ــ ايه بس اللى حصل يا ميتو ..

قلت وقد بدات احس بعينى تحرقانى من شدة ضغطى عليهما حتى ابكى :

ــ اللى حصل ، حصل من زمان ، من يوم ما جوزتينى ما تتصوريش انا متعذبة اد ايه يا ماما .. خلاص مش قادره استحمل . .مش قادره اعيش معاه .. مش طايقاه .. مش طايقاه ولا يوم زياده ..

وشهقت أمى وهى تخبط بيدها على صدرها :

ــ ده كلام حد يقوله يا بنتى ..

وافلحت فى استدرار دموعى ، ورميت نفسى فوق صدرها ، وقلت وانا أنشج :

ــ خلصينى يا ماما .. وحياتى عنـــدك تخلصينى .. زى ما رميتينى انقذينى .

وازاحتنى أمى من على صدرها ، وقالت وهى تنظـــر فى وجهى :

ــ انا مش فاهمه حاجه ابدا .. احكيلى .. خلينى افهم .

قلت وانا ابحث عن منديلى لأجفف دموعى :

ــ كان لازم تفهمى من زمان .. جوزتينى واحد أكبر منى بعشرين سنه .. وشكله وحش .. وبلدى .. ودمه تقيل .. وريحة بقه سمك وبطارخ .. و ..

وقاطعتنى أمى قائلة :

ـ هو انا جوزته لك من غير ما تشوفيه .. ما قلتيش الكلام ده من الأول ليه ..

قلت فى حدة :

ـ كنت صغيره .. وكنت باسمع كلامك .. يعنى الحق على اللى سمعت كلامك . .

قالت :

ـ بس الراجل ما يتعيبش بشكله .. وما كناش شمينا ريحة بقه ..

قلت صارخة :

ـ مش بس شكله .. ده راجل نتن .. يقرف .. ما بيستحماش الا مره كل شهر .. وما بنعرفش نتكلم انا وهو كلمتين على بعض .. وامه .. عمرك ما سألتينى حماتى عامله معايا ايه .. تصورى يا ماما انها قافله على كل حاجة فى البيت بالمفتاح .. لو حبيت أطلع حتة جبنه من الفريجدير لازم استأذنها .. ما اطلبش حاجه من السفرجى الا لما يروح يقول لها .. بتعاملنى زى ما اكون كلبه فى البيت ، بتوكلها وتلبسها علشان يلعب بيها ابنها .. و ..

وعادت أمى تقاطعنى :

ـ بكره الفيلا تخلص ، وتقعدى فيها لوحدك .. وتستريحى من خلقة حماتك .

وعدت أصرخ وأنا اضرب وسائد السرير بقبضة يدى :

ـ وايه عرفنى أنها مش حاتيجى تقعد معايا ..

وقالت أمى فى لهجة حازمة :

ـ ما تقدرش .. فى الحالة دى انا اللى حاتكلم ..

قلت وقد عادت دموعى تنهمر :

— حتى لو قعدت لوحدى . .مش حاقدر .. انتى ما نتصوريش يا ماما أنا عايشه فى السويس ازاى .. عايشه مسجونة فى اوده واحده .. ما بقدرش أخرج من أودتى لغاية الصاله .. باحس انى تهت .. باحس انى غريبه .. وكل اهل السويس بيكرهونى .. وانا باكرههم .. من أول ما رحت هناك وانا بافكر فى الطلاق ..

واتسعت عينا أمى كأنها ذعرت ، وقالت فى صوت منفعل :

— ما تجيبيش الكلمه دى على لسانك .. وما تنسيش انك حامل .. بدل ما تفكرى فى الطلاق ، فكرى فى البنت ولا الولد اللى حاتجيبيه .. واستحملى علشان خاطره ..

ونظرت اليها بكل عينى وقلت كأنى اتحداها :

— واشمعنى انتى ما استحملتيش علشان خاطرى .. اشمعنى انتى انطلقتى من بابا .

ولم تستطع امى ان تواجه عينى .. نكست عينيها . وقالت فى صوت حزين متهدج :

— انا استحملت كتير علشان خاطرك يا بنتى .. استحملت تلات سنين .. وكنت مستعدة استحمل اكتر ..

قلت ببجاحة :

— وعايزانى استحمل انا كمان تلات سنين وبعدين اطلق .. طيب ما اطلق من دلوقتى احسن .. والحق اتجوز جوازه عدله ..

وقالت فى صوت خفيض :

— ابوكى ما كانش زى عبد السلام ..

وارتفع صوتى كأنى ادافع عن ابى :

— على الأقل ابويا بنى آدم .. راجل شكله حلو وبيفهم .. انما انتى مجوزانى حيوان ..

وقامت أمى من جانبى ، كأنها لدغت ، وقالت وهى تخرج من غرفتى :

ــ انتى عصبيه اليومين دول يا ميتو ، بعدين نبقى نتكلم ..

وخرجت وانا انظر خلفها بعينين ملؤهما التصميم ..

لقد اعلنت الحرب ..

ويجب ان استمر فيها ..

الحرب فى سبيل الطلاق ..

وشعرت بثقل هذه الحرب على صدرى .. وطريق التحدى العنيف والتصميم الأعمى يمتد امامى .. وراسى كخلية النحل .. يملؤه الطنين .. كلمات وصور تقفز فى خيالى واحاول ان امسك بها لأعد مشـــهدا بينى وبين زوجى ، او بينى وبين أمى .. فلا أستطيع ..

وتعبت .. تعبت اعصابى .. وقمت لأحادث هاشـــم فى التليفون لعله يريحنى .. لعله يسكت هذا الطنين فى راسى .. انه الوحيد الذى استطيع ان الجأ اليه فى هذه الأيام .. الجأ اليه بكل أفكارى ، وكل أحاسيسى .. وهو الوحيد الذى يجب أن يقف بجانبى فى أزمتى .. انى افعل كل ذلك من اجله .. ولأنى احبه .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه كعادته .. وكان على موعد مع أصدقائه بعد العيادة .. فالقى الى بكلمتين سريعتين ، كأنه يلقى بقطعة عظم الى كلبه المدلل ، وتركنى بعد أن وعدنى بأن يلقانى غدا .

وعدت الى سريرى ذليلة .. مقهورة .. ان هاشم لا يحس بى .. لا يحس بكل هذه الزوابع التى تهب على رأسى .. لا يحس بطريق الشوك الذى أسير فيه حافية القدمين ، لأصل اليه .. انه لا يحس بى الا عندما ينالنى .. فقط عندما ينالنى .. ساعتها

احس انه لى كله .. احس انه يشعر بكل قطعة منى ، بكل نفس من انفاسى .. وبعدها .. يضيع منى .. يضيع بين مرضاه واصدقائه .. ويتركنى وحدى .. كأنه انتهى منى الى الأبد ..

وقضيت الليل احاول ان اقنع نفسى بأن اعدل عن الطلاق .. على الأقل اترك نفسى لقدرى دون أن اتعمد شيئا .. اترك نفسى لله يدير شئونى .. وكانت تمر بى لحظات يخيل الى انى اقتنعت .. ولكن لا يلبث عنادى واطماعى ان يغلبانى فأعود افكر فى الطلاق ، وأرسم طريقى اليه ..

وذهبت الى هاشم فى اليوم التالى .. واستوقفتنى أمى قبل أن اخرج . وقالت وهى تنظر الى بعينيها الثاقبتين :

ــ رايحه فين ؟

قلت فى برود وتحد :

ــ خارجه ..

قالت وهى تخفض من صوتها حتى لا يسمعها زوجها :

ــ عارفه انك خارجه .. وعايزه اعرف رايحه فين ؟

قلت وأنا افتح الباب :

ــ مش عارفه .. حاتمشى فى البلد .. ويمكن أفوت على صاحبتى ناهد ..

ثم خرجت .. وتركتها واقفة مبهوتة والألم يطل من عينيها ..

ووصلت الى شقة هاشم فى الســـاعة الرابعة تماما .. وضغطت على جرس الباب .. ولم يفتح لى احد .. انه لم يأت بعد .. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى اصل فيها قبله .. ربما كانت المرة الثانية او الثالثة .. وابتسمت ساخرة من نفسى وانا اتذكر الأيام التى كان يأتى فيها قبلى . واتعمد أن ادعه ينتظرنى .. لاثيره .. ويضربنى ..

ووقفت بجانب الباب المغلق .. مسكينة .. ذليلة .. وكلما سمعت صوت المصعد ، أو كلما فتح باب من ابواب الشقق المجاورة ، ادرت وجهى الى الحائط ، حتى لا يرانى أحد ويرى ذلى .

وجاء هاشم فى الساعة الرابعة والربع .. وقال فى لهفة صادقة ، وهو يميل على خدى يقبله ، ويخرج سلسلة مفاتيحه من جيب بنطلونه ، ويفتح الباب :

ــ انا آسف يا أمينة .. تصورى انى كنت فى العيادة لغاية دلوقت .. ولسه ما تغدتش .. يدوبك خلصت آخر عيان وجيت على طول ..

ولم ارد عليه ..

لا اريد ان الومه .. ولا اريد أن احاسبه .. ولا اريد ان احدثه عن مشاكلى .. كل ما اريده هو ان يمنحنى لحظات استريح فيها من أفكارى ..

ولكن هاشم كان متعبا فعلا .. القى بنفسه على الأريكة . واغمض عينيه المجهدتين كانه على وشك أن ينام ..

وحاولت ان أجره الى الكلام ..

ولكنه يرد على بكلمات مقتضبة تخرج من بين جفونه المغمضة ..

وتركته ، وقمت أدور فى أنحاء الغرفة .. احرك المقاعد بلا سبب .. واقلب فى الكتب الطبية ثم القيها باهمال .. وأفتح الراديو ثم اغلقه .. وارفع منفضة السجائر ثم القيها بعنف كأنى احاول ن احطمها .. وهو يفتح عينيه وينظر الى ، ثم يعود ويغمضهما .. ثم قال فى صوت منهوك :

ـ اسكتى يا امينه .. انا تعبان .. سيبينى شويه لغاية ما استريح ..

ولم أرد عليه ..

داومت على ازعاجه ..

وصرخ :

ـ باقولك تعبان .. اسكتى ..

ورفعت الوسادة الملقاة فوق أحد المقاعد ، وقذفته بهـا : وانا اقول مدعية الغضب وبين شـفتى احلى ابتسـاماتى .. أغريه بهـا ..

ـ وانا ذنبى ايه ما شفكش الا وانت تعبان .

والتقط الوسادة .. واحتفظ بها بجانبه .. وقال وهو ينظر الى فى غيظ :

ـ أمينه .. ارجوكى .. ربع ساعه بس ..

ولكنى لم أرحمه ..

رفعت الوسادة الأخرى وقذفته بها فى وجهه وانا اقول :

ـ ولا دقيقه .. اعتبرنى عيانه من بتوعك .. واقعد كلمنى ..

وانفتحت عيناه الى آخر وسعهما ، كأنه يهم بأن يقتلنى ، ثم التقط الوسادة وقذفنى بها .. فى عنف .. بكل قوة ذراعيه . واصطدمت بوجهى فى قسوة ، خيل الى معها أن رأسى يكاد يطير من فوق عنقى .. وساح شعرى فوق عينى ، وسمعته يقول فى غيظ :

ـ انتى ما فيش فى قلبك رحمه ..

وثرت ..

او على الأصح افتعلت ثورة ..

ورفعت منفضة السجائر فى يدى كأنى اهم بأن اقذفه بها .

فهب من جلسته ، واسرع ، الى ، وانتزع من يدى منفضة السجائر .. ثم امسك بشعرى .. بكل اصابعه .. بكل قسوته .. وحاول ان يوقعنى على الأرض ..

وصرخت :

— هاشم .. حاسب بطنى ..

وتوقف برهة .. كأنه يقرر ماذا يفعل بى .. واصابعه كلها لا تزال قابضة على شعرى .. ثم جذبنى من شعرى الى الغرفة الأخرى ..

واذاب كل تعبه فى جسدى ..

وقال وهو راقد بجانبى ينظر الى سقف الغرفة ، وقد انتظمت انفاسه ، ويده ملقاة فى حنان ورفق فوق بطنى المنتفخ :

— تعرفى .. انا ساعات بيتهيالى انه ابنى ..

والتفت اليه كأنه فاجأنى ..

كانت المرة الأولى التى يطرق فيها هذا الموضوع بصراحة .. لقد مضى شهر أو اكثر منذ أبلغته أننى حامل ، وكلانا يتجنب الحديث عن الجنين .. كلانا لا يريد أن يعرف ابن من هذا ..

وقلت كانى صدمت :

— ما تقولش كده يا هاشم .. بعيد الشر ..

وقال كأنه لم يسمعنى .. ولا يزال ينظر الى السقف كأنه يحلم :

— تصورى لو كان ابنى .. ده انا اتجنن .. أموت ..

قلت وانا سعيدة بأحلامه :

— ليه ؟

قال وقد التفت الى لفتة سريعة كأنه دهش من سؤالى ، ثم عاد ينظر الى السقف :

ـ لية ازاى .. تصورى انى ابقى عارف انه ابنى ، واشوفه عايش مع راجل تانى ..

قلت وانا ابتسم ابتسامة صغيرة كانى اطمئنه :

ـ مش حايعيش مع راجل تانى ..

والتفت الى بسرعة ، وقال :

ـ ازاى ده ؟

قلت فى هدوء :

ـ علشان حاتطلق ..

واستدار الى بكل جسمه .. ووجهه قريب جدا من وجهى .. وانفه الكبير يصطدم بأنفى .. وشفتاه تتنفسان فى شفتى .. وقال فى صوت رزين عاقل :

ـ اسمعى يا امينه .. اســمعينى كويس .. انتى لازم تنزلى اللى فى بطنك ده .. لازم تسقطى نفسك .. و ..

وقاطعته وانا ابتعد عنه كانى لدغت منه ، وقلت فى حدة :

ـ ما تقولش كده .. مالكش دعوه باللى فى بطنى ..

قال :

ـ اسمعينى بس يا امينه .. ما تبقيش انانيه .. و ..

وعدت اقاطعه :

ـ تبقى دكتور وتقول كده يا هاشم .. لو جت لك واحده ست وقالت لك سقطنى .. تسقطها ..

قال وهو يتنهد كأنه يستعين بالصبر :

ـ عارف انى دكتور .. وعارف ان الدين يمنع ، والطب يمنع ، والقانون يمنع .. انما فيه حاجه ربنا مش ممكن يرضى بيها ، وهو انك تخلفى فى ظروف زى ظروفك .. تخلفى وانتى مش عارفه ابن مين اللى حاتخلفيه .. وتخلفى وانتى عارفه انك

حا تطلقى ، وحياة ابنك تتشرد .. والطب يسمح بالاجهاض لما تكون الأم مريضة ما تستحملش الحمل ، وانتى ظروفك كلها مريضة ، ما تستحملش الحمل .. حتى القانون .. ما فيش قاضي عادل ممكن يوافق على انك تخلفى .. و ..

وقاطعته فى تحد :

ــ من فضلك اسكت .. انت خايف من المسؤولية ..

قال وهو يبتسم فى يأس :

ــ أنا مش خايف من المسؤولية .. ما فيش مسؤولية على .. انما أنا باكلمك بضميرى .. وبعقلى .. واحب أقول لك انك أنانية .. بتفكرى فى نفسك بس .. لو فكرت فى اللى حاتخلفيه .. لو فكرت فيه لحظة واحدة بس كنتى تسمعى كلامى ..

وقلت وانا اقوم من جانبه وابدأ فى ارتداء ثيابى بعصبية :

ــ طبعا بافكر فى نفسى .. افرض أنى مت وانا باسقط نفسى ..

قال فى هدوء :

ــ مش حاتموتى .. انتى صحتك كويسه .. لو كان حيجرى لك حاجه ، كان اول واحد يخاف عليكى أنا ..

قلت :

ــ انت ما بتخافش على .. انت بتخاف على نفسك .. على كل حال اطمئن .. ده لا ابنك ، ولا ابن جوزى .. ابنى انا .. وانا حره فيه ..

وقال وهو ينظر الى فى زهق :

ــ انتى مجنونه .. وملحوسه .. وغبيه .. وانانيه .. ومافيش فايده انك تفهمى .. والحق على أنا اللى خايف عليكى .

وابتدأ يرتدى ثيابه هو الآخر ..

ووقفت أصافحه قبل أن أخرج ..

وحاول كل منا ان يحتفظ بغضبه ..

ولم نستطع ..

ابتسم كل منا للآخر .. وفتح لى ذراعيه ، لأرتمى بينهما .. واضمه بكل قلبى .. وقلت وانا اتلقى قبلته على خدى :

ـــ ما تبقاش تقول لى انى غبيه يا هاشم .. الكلمه دى بتزعلنى ..

قال وهو يضغطنى اليه كأنه يعتذر لى :

ـــ أنا كمان غبى .. كل واحد فينا له ناحية ذكاء وناحية غباء .. تعرفى ايه اذكى حاجه فيكى ..

قلت وأنا انظر اليه بعينين ضاحكتين :

ـــ ايه ؟

قال مبتسما :

ـــ بوستك .. شفايفك ..

ثم انحنى يتلقى قبلتى الذكية ..

وخرجت وانا سعيدة .. واكثر سعادة من اى يوم آخر بالجنين الذى يتحرك فى أحشائى .. انى اريده ليحتار فيه هاشم .. ليظل طول حياته يتساءل اذا كان ابنه أم لا .. أريده كسلاح اتحداه به .. وأثيره به .. واقوى به عليه ..

ولكنى عندما عدت الى البيت وجلست مع امى بعد ان وضعت على وجهى قناع التجهم والشرود ، قلت وانا ادعى الاصرار :

ـــ ماما .. أنا حاسقط نفسى ..

وخبطت امى على صدرها من قسوة المفاجأة ، وقالت :

ـــ مين اللى شار عليكى الشوره المهببه دى ..

قلت :

ــ ما حدش .. انما لازم أسقط نفسى ..

قالت وهى تنظر الى كأنها تنظر الى مجنونة :

ــ ليه .. ايه اللى جد ..

قلت :

ــ ما فيش حاجه جدت .. انما ما دام حاطلق يبقى لازم أسقط ..

ونسيت أمى حرصها على الا يصل صوتانا الى سمع زوجها ، وصرخت :

ــ مش حاتطلقى .. ومش حاتسقطى .. فاهمه .. دلع البنات ده آخرته مش كويسه .. وإنا كلمت عبد السلام فى التليفون ، وزمانه جاى .. أما اشوف أخرتك ايه ..

وجاء زوجى من السويس ..

وعقدنا مؤتمرا .. أنا ، وأمى ، وهو .. وقالت له أمى كل ما شكوته لها .. شكواى من أمه .. ومن أهل السويس .. ولكنها لم تقل له انى لا أحبه، ولا أطيقة .. وعبد السلام يتلقى الشكوى بقلب ملهوف على .. ويدافع عن أمه حينا .. ثم يعد بأن يريحنى من كل ما أشكو منه .. ثم قال وعيناه مخلصتان :

ــ ما يصحش تزعلى نفسك اليومين دول يا ميتو .. ما تنسيش انك حامل .. ولازم تحاسبى على ابننا ..

وصرخت :

ــ مش عايزاه .. انا حاسقط نفسى .. يغور هو وابوه .

وجحظت عينا عبد السلام كأنه اختنق ..

وقالت أمى وهى تنظر اليه كأنها تستعطفه :

ــ ما تسمعش كلامها يا عبد السلام .. دى عصبيه .. والحمل تاعبها ..

واطمأن عبد السلام ..

ولكنى داومت على تهديده باجهاض نفسى .. كنت اذا جلست معه او مع امى اصررت على الاجهاض .. وكلما ذهبت للقاء هاشم اصررت على ابقاء الجنين .. كأنى اتحدى هذا وذاك .. او اتدلل على هذا وذاك ..

وقد بقى زوجى فى القاهرة ثلاثة يام .. والكلام لا يكف عنى .. أمى تتكلم .. وعبد السلام يتكلم .. وخالاتى الخمس يتكلمن .. وزوج أمى يتكلم .. واخيرا اضطررت مجبرة على ان اعود معه الى السويس .. ليكف الكلام عنى .

الوحيد الذى وقف بجانبى هذه الأيام كان أبى .. لم يتكلم .. هز كتفيه عندما استدعته امى ليشترك فى احد المؤتمرات التى تتسلى العائلة بعقدها على حسابى .. وقال :

ـــ ما دام مش عايزاه .. خلاص تطلق ..

هكذا بكل بساطة ..

واسرعت أمى بتوصيله الى الباب .. وزوج أمى يودعه بنظرة احتقار ، كأنه يتهمه بالانحلال ..

وما كدت اصل الى السويس حتى أشعلت فى البيت نارا .. لم اكن ادرى انى استطيع ان أكون قاسية الى هذا الحد .. وقحة .. مجرمة .. لم اكن أدرى انى احمل فى صدرى كل هذه الطاقة المدمرة .. لقد جننت عبد السلام ..

وجننت أمه .. لم اترك لهما ساعة واحدة يعيشانها فى هدوء .. اقيم ثورة لكل صغيرة .. واصرخ فى وجهه .. طلقنى .. مش عايزاك .. مش طايقاك .. واحرم عليه فراشى .. وحجرتى .. واهين امه امامه .. واجبره على ان يســـافر بى الى القاهرة فى أوقات عمله .. وأتركه عندما نصل لأقابل هاشم

.. ثم اعود معه تحت ضغط امى .. والمسكين يعتقد ان كل ذلك بسبب ازمات عصبية تصيبنى نتيجة الحمل .. امى اقنعته بذلك ..

ووقفت يوما فوق الدولاب ورميت نفسى على الأرض ، امام عينيه ، لأقتل ابنه .. وصرخ يومها المسكين ثم بكى .. ولكن صراخه لم يفزعنى ، وبكاؤه لم يثر شفقتى .. اثار قرفى .. ولم يسقط الجنين ، ظل فى مكانه ، سليما .. كأنه يتشبث بى ، ويتشبث بالحياة ..

ولم نكن هذه القوة التى اواجه بها زوجى وامه ، دليلا على انى اكتسبت شخصية جديدة قوية .. ابدا .. لم اشعر بأنه اصبحت له شخصية .. كل ما شعرت به انى تجردت من كل شىء .. تجردت من الحياء .. تجردت من المنطق .. تجردت من الشفقة .. تجردت من كل المقاييس .. من كل المبادىء .. وكنت وانا اثير فى البيت كل هذه الزوابع المفتعلة ، اشعر بالخوف .. خوف كبير .. خوف من نفسى ، وخوف على نفسى .. واشعر بدمائى تجرى باردة مثلجة فى عروقى ، كدماء الثعابين .. وانظر الى مرآتى ، فأرى وجهى اصفر ممتقعا ، كأنى سأموت .. كأنى ميتة .. ولا استطيع ان اواجه زوجى او امه وانا هادئة .. لا استطيع ان ارفع عينى ، الى عينى احدهما .. انما ابقى بعيدة ، منزوية ، اثير فى نفسى ، واتلمس اسباب الثورة ، الى ان اثور فعلا ، واخرج عليهما كالمجنونة . لافتعل زوبعة جديدة ..

وزوجى وامه يتحملان فى صبر ، من اجل الجنين الذى احمله فى بطنى . وينظران الى فى اشفاق كأنى مجنونة ...

ومرت ثلاثة شهور ..

أصبحت فى السادس ..

بطنى كبير مدلى حتى يصل الى ركبتى ..

وتأخر زوجى يوما فى مكتبه .. وفجأة .. بلا سابق تفكير .. قمت وارتديت ثيابى .. وسألتنى أمة قبل أن اخرج فى صوت يرتعش خوفا منى :

ــ الى أين ..

وقلت دون ن التفت اليها :

ــ خارجه ..

وخرجت ..

وركبت سيارة أجرة من سيارات السويس ، وأمرت السائق أن يسافر بى الى القاهرة ، وانا أحمل فى رأسى تصميما هائلا بأن تكون هذه آخر محاولة أحصل بها على الطلاق ..

ووصلت القاهرة فى الساعة الثامنة مساء .. ونزلت من السيارة فى ميدان الأوبرا .. واخذت اسير فى الشوارع .. وكنت أحاول أن أضيع الوقت الى أن ينتهى هاشم من عيادته فى الساعة التاسعة .. ولكنى تعبت قبل أن تصل الساعة الى الثامنة والنصف .. البطن الثقيل الذى أحمله أتعبنى .. فاتصلت بهاشم فى التليفون ، وقال فى عجلة بمجرد أن سمع صوتى :

ــ جيتى امتى ؟

قلت :

ــ دلوقتى .. ولازم اشوفك حالا ..

قال :

ــ مش ممكن .. ده انا لسه قدامى كتير ..

قلت :

ــ بس انا فى الشــــارع . .وتعبانه .. مش لاقيـــه حته اروحها .. وما اقدرش اروح قبل ما اشوفك ..

قال فى عجلة :

ــ طيب روحى الشقه وخللى عم محمود البواب يفتح لك .. اذا ما رضيش خليه يكلمنى فى التليفون ..

قلت فى استسلام :

ــ حاضر ..

وركبت تاكسى الى الزمالك .. ووقفت أمام عم محمـــود البواب فى استخذاء ، وطلبت منه كأنى اســـتجديه ان يفتح لى شقة الدكتور هاشم .. واذا اراد ان يتأكد ، يستطيع ان يحادث الدكتور بالتليفون ..

ونظر عم محمود الى بطنى المنتفـــخ ، وقلب شـــفتيه فى امتعاض ، ثم قام فى تكاسل دون ان يتفوه بكلمة ، وتقدمنى الى المصعد .. وفتح لى بابالشقة ، وتركنى أدخل ، ثم قذفنى بنظرة جارحة .. واغلق الباب ورائى ..

ودخلت الى حجرة النوم .. والقيت نفسى على السرير .. كنت متعبة .. محطمة .. وحاولت ان انام .. ولكنى لم انم .. اذناى معلقتان بصوت اسلاك المصعد الذى ينبعث من شباك المطبخ .. كلما دارت الأسلاك . ظننت ان هاشم سيدخل بعد دقائق ..

ولكن هاشم تأخر كثيرا ..

الساعة العاشرة ، ولم يصل ..

وقمت وصنعت لنفسى فنجان قهـــوة .. لم اكن أريد أن اشرب القهوة .. انما كنت اريد ان اسلى نفسى بشىء اصنعه .

وجلست فى الصالة الخارجية ، وامامى فنجان القهوة ..

وجاء هاشم فى الساعة العاشرة والنصف ..

واسرع الى ملهوفا ،وجلس بجانبى وقال وهو يضع ذراعيه حول كتفى :

— ايه .. حصل ايه يا أمينه ؟

وانهمرت دموعى فجأة .. دموع التعب .. والضياع .. ووجدت نفسى أسقط من فوق الأريكة ، واركع تحت قدمى هاشم ، وبطنى مدلى أمامى ، كأن الجنين يركع أيضا تحت قدميه .. ورفعت اليه عينى ودموعى . وقلت فى توسل :

— أنا لازم أطلق يا هاشم .. لازم .. لازم .. خلاص ، مش قادره .. ما تسبنيش أرجع السويس تانى .. ما تخليهمش يرجعونى تانى ..

وقال فى صوت حنون وهو يحتضن وجهى بكفيه :

— طيب بتعيطى ليه يا أمينه .. كل حاجه ممكنه .. بس ..

قلت اقاطعه وانا اتشنج :

— ما فيش بس .. ما تحاولش تقول حاجه .. مش حا اسمع .. مش حاسمع .

قال وهو يبتسم لى كأنه يشفق على :

— خلاص .. اطلقى .. أنا ما كنتش موافق .. انما ما دام حالتك بقت كده .. موافق ..

ثم رفعنى من على الأرض ، واجلسنى بجانبه ، واخذ يشرب دموعى بشفتيه فى قبلات سريعة هادئة .. ثم قال :

— بس .. حاتطلقى ازاى .. يمكن ما يرضاش يطلقك .

قلت :

— لازم يرضى ..

وهز راسه وسكت ..

ثم قال بعد برهة :

— وفكرتى حاتعملى ايه بعدما تطلقى .

ونظرت اليه كأنى اسأله نفس السؤال .. ثم احنيت راسى ، وقلت :

— مافكرتش .. اما اطلق الأول ، وبعدين أفكر ..

وهز راسه صامتا ..

لم يقل شيئا ..

لم يعدنى بشىء ..

كأنه ليس سبب كل مصيبتى .. كأنى لا اطلق من اجله .. كأنه لا دخل له فى قصتى ..

واخذت اروى له كل ما حدث لى فى السويس .. وهو يستمع صامتا .. ثم قال :

— مش تقومى تروحى باه .. الساعه بقت اتناشر ..

قلت :

— لا .. مش دلوقت ..

قال وهو ينظر الى فى تعجب :

— بس انتى اتأخرتى قوى ..

قلت :

— ما تخافش .. مش حاقول لك خلينى عندك ..

قال وهو ينظر الى فى شفقة :

— انا مش خايف منك يا امينه ..

أنا خايف عليكى ..

قلت والدموع تعاودنى :

— ما تخافش على .. انا عارفه باعمل ايه ..

واخذت أبكى ..

واقترب يشرب دموعى .. فى رفق .. واخذنى بين ذراعيه .. فى هدوء ... ليس ثائرا ولا مجنونا ككل مرة .. كأننـــا نحن الاثنين نلعب الكتشينة فى صمت لنتلهى عن تفكيرنا ..

وابقيته معى حتى الثالثة صباحا ..

ثم خرجنا ...

ولأول مرة اركب سيارته بجانبه .. بل اول مرة اركب معه المصعد .. نزلت معه ، وركبت بجانبه .. ولم اشعر بحرج والسيارة تشق بنا شوارع القاهرة .. بالعكس ، كنت اطل من نافذة السيارة ، واتمنى ان يرانى كل الناس ... مزهوة .. متباهية .. بجانب الدكتور هاشم ...

وطلبت منه أن يوصلنى الى بيت خالتى سعدية التى تسكن بجانبنا فى مصر الجديدة ... وكانت تعيش مع بنتيها .. وزوجها مات ..

وسألنى هاشم فى دهشة :

ـــ مش حاتروحى عند ماما ؟

قلت :

ـــ لا .. كده أحسن ..

قال :

ـــ ليه .. ناويه تعملى ايه ؟ ..

قلت :

ـــ بعدين حاتعرف ..

ووصلت الى بيت خالتى ...

وتفاصيل الخطة التى وضعتها تملأ راسى ..

وضغطت الجرس بيد مثلجة ، وكل ما فى داخلى يرتعش

.. ومرت فترة خيل الى انها سنة .. ثم أضيئت الانوار داخل البيت .. ثم سمعت صوت خالتى يرتجف من الخوف :

ــ مين ؟

وقلت فى صوت هامس :

ــ أنا أمينه .. ميتو ....

وفتحت خالتى شراعة الباب ، وما كادت تلمحنى حتى فتحت الباب بسرعة .. واحتضنتنى بين ذراعيها ، وهى تقول :

ــ ميتو .. حبيبتى .. دى الدنيا مقلوبه عليكى .. كنتى فين يا بنتى ..

ولم ارد عليها ..

القيت نفسى على اول مقعد ، ووضعت راسى بين يدى .. وبكيت .... استطعت أن ابكى ....

واسرعت خالتى نحو التليفون ، وهى تقول فى جزع مخلوط بالفرحة :

ــ استنى يا بنتى لما أطمن مامتك .. حالتها حال .. اصلنا افتكرنا ان بعيد الشر عملت فى نفسك حاجه .

وادارت قرص التليفون وصرخت فى فرحة خالصة :

ــ ميتو عندى .. اطمئنى ياختى .. سليمه الحمد لله .. حاتيجى دوقته ... لا .. ما بلاش ... ده احنا فى عز الليل .. ما تعمليش فى نفسك كده يا حبيبتى هى حاتفضل عندى والصبح يحلها حلال .. خدى كلميها علشان تطمئنى ..

ثم أشارت لى خالتى لأقترب من التليفون وهى تضغط على شفتها بأسنانها كأنها توصينى بأمى خيرا .. ثم همست ..

ــ طمنيها يا بنتى .. ما تزعلهاش ..

وامسكت سماعة التليفون ، وما كادت أمى تسمع صوتى ، حتى صرخت :

— دى عملة تعمليها يا بنتى .. كده برضه تفضحينا فى وسط الناس .. كنتى فين لغاية دلوقت ..

قلت وانا انشج :

— كنت ماطرح ما كنت (١)

وصرخت فى حدة :

— قوليلى كنتى فين ..

قلت وانا اتعمد أن ارفع من صوت نشيجى :

— مش حاقول لكم كنت فين .. الا لما تطلقونى ..

ثم قذفت بسماعة التليفون فى وجة أمى ..

وارتميت على المقعد ، وانا ابكى ..

وخالتى تربت على ظهرى فى حنان ، وتقول :

— مش كده يا بنتى .. دى برضه أمك ولازم تطمن عليكى ..

— ٦ —

.. نمت ليلتها عند خالتى سعدية .. نمت بجانبها على فراشها .. وقالت لى أن زوجى عبد السلام اتصل بأمى من السويس فى الساعة التاسعة مساء ، وابلغها خبر اختفائى .. وانتظرت أمى حتى الساعة الحادية عشرة ، وعندما لم أصل الى بيتها ، ولا الى بيت واحدة من خالاتى .. بدأت تجن .. وعادت واتصلت بعبد السلام فى السويس ، ولكنه ابلغها أنى لم اعد بعد .. وبدا كلاهما ، عبد السلام فى السويس ، وأمى



فى القاهرة .. يتصلان بأقسام البوليس والمستشفيات .بسلاح الحدود ، لعلى اصبت فى حادث .. ولكنهما لم يصلا الى شىء .. وامى المسكينة .. وخالاتى الخمس حـولها .. ولا شىء يطمئنها .

وقالت لى خالتى سعدية انها عادت من عند أمى فى منتصف الليل ، ولولا ان ابنتها مريضة لما تركتها ابدا .. فالمسكينة حالتها يرثى لها .

ولم يرق قلبى لحال امى .. بالعكس شعرت أن الجزء الأول من خطتى قد نجح ..

وابتسمت لى خالتى ابتسامة كبيرة ترشونى بها ، ثم قالت كأنها صديقتى :

ــ قوليلى بأه .. كنت فين لغاية دلوقت ؟ ..

قلت وانا ادير ظهرى لها :

ــ مش حاقول الا لما تطلقونى ..

قالت وهى تربت على كتفى :

ــ خللى الطلاق على جنب دلوقت .. وقوليلى كنتى فين .. انا خالتك الصغيره واكتر واحده تقدر تفهمك ..

قلت فى اصرار :

ــ مش حاقول ..

قالت :

ــ قوليلى ومش حاقول لحد .. ولا حتى لمامتك ..

قلت :

ــ مش حاقـول . .مش حاقـول الا لمـا اطـلق ، واذا ماطلقتونيش حارجع مطرح ما كنت ..

وعادت خالتى تلح ..

وقلت وجفونى تنسدل فوق عينى :

ــ والنبى سيبينى الوقت يا طنط .. انا تعبانه .. حاموت من التعب ..

وكنت فعلا متعبة ...

ما كدت اغمض عينى حتى نمت .. وبطنى المنتفــخ راقد امامى ، وعين خالتى تلسعنى فى ظهرى ..

وحلمت حلما عجيبا ... حلمت انى اجرى فى طريق مظلم مخيف . .احمل بطنى الثقيل .. وشبح هائل يجرى خلفى .. لم استطع أن اتبين وجه الشبح تماما .. كنت احيانا ارى فيــه ملامح زوجى .. واحيانا ارى فيه ملامح زوج أمى .. وكنت وانا اجرى احاول أن أصرخ منادية هاشم .. هاشـــم .. هاشم .. ولكن صوتى محبوس .. لا اســتطيع أن أصرخ .. افتح فمى ولا يخرج منى صوت .. وظللت اجرى .. واجـــرى .. وخطواتى ثقيلة .. والرعب يملؤنى ثم لمحت انوارا كثيرة .. مضيئة فى نهاية الطريق .. كأنها حفلة زفاف .. ورايت هاشم جالسا على مقعد كبير .. مرتديا حلة سموكنج .. وحوله باقات الورد .. كأنه فى الكوشة .. ونظرت الى المقعد الذى بجانبه .. المخصص للعروسة .. فلم اجد عليه احدا .. ليس بجانب هاشم عروسة .. وجريت اكثر لأجلس فى مقعد العروسة .. ولكن الشبح لحق بى ، وامسك بطرف ثوبى .. واخذ يشـــدنى .. يشدنى بقسوة ... وأنا اصرخ ... هاشم ... هاشم ... ولكن هاشم لا يسمعنى . .ويتلفت حواليه فى انتظار عروســـته .. ولا يرانى ... انى اخاف أن تسبقنى اليه عروسة أخرى .. والشبح يشدنى .. والرعب يملؤنى .. لقد امسك الشـــبح بكتفى .. يهزنى ..

وفتحت عينى كأنى اريد أن أتأكد انى احلم ، فالتقيت بوجه أمى ، واقفة بجانب الفراش .. متجهمة الوجه .. مرتدية ثوبا اسود كأنها اعلنت الحداد على ..

وكانت تهزنى من كتفى وهى تقول :

ــ ميتو .. ميتو .. قومى .. اصحى ..

ورفعت عينى اليها ، ثم عدت واغمضتهما قائلة :

ــ سيبينى يا ماما .. أنا تعبانه .. عايزه أنام .

وقالت أمى فى صوت حازم :

ــ هو انتى خليتى حد ينام .. قومى دلوقت ، وابقى ارجعى نامى .. قومى بااقول لك ..

وعدت وفتحت عينى ، وقد تخلصت من بقايا حلمى ، ثم اعتدلت جالسة فى الفراش ، وانا متعبة .. متعبة فعلا وقلت وانا أدعك عينى بأصبعى :

ــ ده أنا حلمت حلم وحش قوى ..

وقالت أمى فى لهجة باترة :

ــ مش عايزه اسمع احلامك .. عايزه أسمع حكايتك .. قلت كأنى أرجوها :

ــ استنى على شويه يا ماما لما افتح عينيه ..

وجلست أمى على حافة الفراش ، وقالت وهى تنظر الى بكل عينيها :

ــ استنينا ..

قلت وانا اتمطى واحاول أن أستعيد برودى :

ــ هى الساعة كام دلوقت ..

واجابت خالتى وهى واقفة بجانب باب الغرفة :

ــ الساعة سبعه ونص يا حبيبتى ..

قلت :

ــ ياه . . . ده انا ما لحقتش انام ساعتين . .

وقالت أمي وهى تكاد تنفجر :

ــ مش مهم . . اتكلمي . .

وقالت خالتي سعدية :

ــ استنى عليها يا فوزية يا اختى . . البنت عدمانه ومالحقتش تنام . . قومى يا حبيبتى اغسلى وشك بشوية ميه ، وتعالى . .

ثم التفتت الى أمى قائلة :

ــ قومى يا فوزية يااختى نشرب القهوه فى الصاله . .

وظلت أمى تنظر الى بعينين واسعتين غاضبتين كأنها تصفعنى بعينيها . . وتجاهلت نظرتها ، وقمت على مهل لأدخل الحمام ، وقامت أمى خلفى ، وهى تقول :

ــ اما اشوف اخرتها مع البت دى ايه . .

وتعمدت أن اغيب فى الحمام . . غبت اكثر من نصف ساعة . . وطرقت خالتى على الباب مرتين تتعجلنى . . وأنا أتلكأ اكثر . . ثم خرجت الى أمى ، وقد استعدت كل ذكائى ، وكل برودى . . وجلست على المقعد المواجه لها . . وقد زاد وجهها احتقانا ، وزادت عيناها غضبا . .

وأمرت خالتى بنتيها أن يدخلا الى غرفتهما . . ثم جلست معنا ، قائلة :

ــ اسمعى يا فوزية يااختى . . انا مش عايزاكى تزعلى نفسك ، ولا تزعلى ميتو . . كل حاجة ولها حل . .

وقالت أمى وهى لا تزال تصفعنى بعينيها :

ــ اتفضلى اتكلمى يا ست ميتو . .

قلت فى برود :

ـ عايزانى اقول ايه ؟ ..

وقالت أمى بعد أن رفعت عينيها الى السقف كأنها تستجير بالله منى :

ـ عايزاكى تقولى لنا حكايتك ..

قلت فى هدوء وأنا أهز كتفى ، وكلتا يدى فوق بطنى المنتفخ :

ـ ولا حاجة .. عايزاه أطلق ...

قالت وهى تشد أنفاسها من صدرها :

ـ عارفين انك عايزه تطلقى .. اللى عايزه أعرفه .. كنتى فين امبارح لغاية الساعه تلاته الصبح ...

قلت وأنا ادير عنها عينى :

ـ مش حاقول الا لما أطلق ...

وقالت أمى صارخة :

ـ لا حاتقولى .. حاتقولى غصب عن عينيك ..

وقالت خالتى بسرعة :

ـ هدى نفسك يا فوزيه ياأختى .. مش كده امال ..

وسكتت أمى ، والعذاب يتردد فى صدرها مع أنفاسها ...

ثم قالت وهى تحاول الا تصرخ مرة ثانية :

ـ والنبى ما كنتيش مكسوفة من نفسك وانتى دايره للصبح وبطنك قدامك .. ده لو ما كانش العيل اللى فى بطنك كان زمانى حطاكى تحت رجليه وياهرسك هرس .. أعمل ايه فيكى بس يا اخواتى ...

قلت فى برود :

ـ طلقينى ...

وانفجرت أمى مرة ثانية .. وخالتى تهدئهـا .. والكلام

لا ينتهى .. ساعة .. ساعتان .. ونحن نقـول ونعيد نفس الكلام الذى رددناه فى الشهور الأخيرة ، منذ اعلنت طلب الطلاق .. وانا مصـممة دائما على الا افشى سرى .. ولا اقول اين كنت ليلة أمس ...

واخيرا قامت امى من على مقعدها ، وشدتنى من يدى بقوة . قائلة :

ــ تعالى معايا ..

ثم التفتت الى أختها قائلة :

ــ سيبينا لوحدنا شويه يا سعديه .

ثم دخلت بى الى غرفة النـوم ، واغلقت الباب وراءنا ، وقالت :

ــ اقعدى يا بنتى ربنا يهديكى ..

وجلست على السرير ..

وجست بجانبى ملتصقة بى ..

واحسست ساعتها انى أريد أن أضع راسى على كتفها واستريح من عنادى .. اريد أن اقبلها .. واقبلها .. ثم أبكى .

وقالت وهى تربت على فخذى فى حنان :

ــ اسمعى يا أمينة .. انا مستعدة اطلقك .. واقدر اطلقك فى اربعه وعشرين ساعه .. بس قبل ما اطلقك لازم اقتنع .. ومش حاقتنع الا لو عرفت كل حاجة .. قوليلى يا أمينة .. انتى بتعرفى حد ..

قلت وأنا ارفع حاجبى مدعية البراءة :

ــ قصدك ايه يا ماما ؟ ..

قالت وهى تنظر الى وعلى شفتيها ابتسامة مرة :

ــ تصدى بتحبى حد ...

وادرت راسى عنها ، وقلت :

ــ لأ .. ما بحبش حد ..

قالت :

ــ توليلى يا بنتى .. ده مش عيب .. كل البنات بيحبوا .. وانا غلطت معاكى وجوزتك صغيرة ، قبل ما تتفتحى وتشوفى الدنيا .. ولو حبيتى واحد تانى ، يبقى لك حق ..

ونظرت اليها ، أحاول أن أصدقها .. وأنا اشعر بقلبى ينتفض بين ضلوعى .. ثم فجأة أحسست بدموعى تنهمر صامتة على وجنتى قبل أن استطيع مقاومتها . واحنيت راسى صامتة ..

كشفتنى دموعى ..

وظلت الابتسامة المرة على شفتى أمى وقالت :

ــ اقدر أعرف اسمه ..

ورفعت اليها عينى المبتلتين بالدموع وقلت فى حدة :

ــ لا .. مش ممكن .. مستحيل ..

ولفت أمى ذراعها حولى ، وضمتنى اليها ، قائلة :

ــ ده أنا مامتك يا أمينه .. اذا ما كنتيش حاتقوليلى .. حاتقولى لمين .. انتى عمرك ما خبيتى عنى حاجه ..

وملت راسى على كتفها .. اريد أن استريح .. راسى مصدع ، من قلة النوم وكثرة الكلام .. وقلت :

ــ مش حاقول يا ماما .. مش حاقول ..

قالت :

ــ مش بس أعرف مين هو ده اللى حاتهد الدنيا علشانه .

قلت :

ــ بكره تعرفيه ..

وسكتت برهة ،وقالت وهى لا تزال تحضننى ، وراسى لا يزال على كتفها :

— ووعدك بالجواز؟

قلت وانا امسح الدموع من فوق خدى :

— يوعدنى بالجواز ازاى وانا متجوزه ..

قالت :

— يعنى ما اتفقتوش على انك تطلقى وتتجوزوا ..

قلت وانا لا ارفع وجهى اليها حتى لا ترى عينى :

— ازاى بس يا ماما .. هى تجاره ..

قالت :

— امال عايزه تتطلقى ليه ..

قلت :

— علشان باحبه .. وعلشان متأكده انى لو ما كنتش متجوزه ، كان اتجوزنى ..

قالت :

— ما يمكن واد صغير من شبان اليومين دول ، يخرب عليكى ، وبعدين تدورى عليه ما تلقهوش ..

قلت وانا ارفع راسى اليها محتجة :

— ده مش واد صغير .. ده راجل عنده خمسه وتلاتين سنه ..

ونظرت الى امى كأنها تحاول أن تدخل بعينيها فى راسى ، وقالت :

— وده اللى كنتى معاه امبارح لغاية الساعة تلاته ؟ ..

وانتفضت من جانبها .. ابتعدت عنها .. وقلت وانا افتعل الغضب :

ـــ يا خبر .. ازاى تقولى الكلام ده يا ماما .. ده ما حطش ايده على لغاية دلوقتى ..

ـــ أمال كنتى مع مين ؟

قلت مى حدة :

ـــ ما كنتش مع حد .. ومش حاقول كنت فين ..

قالت :

ـــ بأه بعد ما تقوليلى ده كله .. مش عايزه تقوليلى كنتى فين .. ليه ؟

قلت :

ـــ علشان لو ما اطلقتش ناويه ارجع مطرح ما كنت .. وماحدش يعرف طريقى .. وتبقى فضيحة ..

قالت :

ـــ ومين حايسيبك تعملى كده .. انتى فاكره نفسك سايبه ..

قلت فى تحد :

ـــ ما حدش ساعتها حايقدر يمنعنى .

قالت وهى تتنهد :

ـــ انا أحلف انك كنت مع الراجل اللى بتقولى عليه ده ..

قلت فى بجاحة :

ـــ لو عرفتيه ، حاتعرفى انه مش من الصنف ده .. مش ممكن يقعد مع واحده متجوزه لغاية الساعة تلاته ..

قالت :

ـــ طيب مش تعرفينى بيه ..

وسكت .. لم أتكلم .. وعقلى يدور فى راسى ..

وعادت تقول :

ــ يا بنتى هدى سرى ، ربنا يهدى سرك ..

وقلت وقد بدأت اتردد فى تصميمى :

ــ ما اقدرش يا ماما .. ما اقدرش أبدا .. ده لو عرف انى قلتلك .. ولا حكايتنا اتعرفت ، يبطل يكلمنى ..

وقالت وهى تنظر الى فى توسل :

ــ يا بنتى ده انا اخاف عليكى أكتر ما تخافى على نفسك .. وأحلف لك بمعزتك عندى .. وانشا الله يا رب أعدمك واعدم ولادى كلهم ، لو نطقت بكلمة .. قولى يا بنتى .. وما تنسيش انى حاساعدك ، وانا الوحيدة اللى حاقف جنبك ..

ولا زلت مترددة ..

صامتة ..

وقالت أمى وهى تزفر انفاسها وقد ضاقت بصمتى :

ــ يبقى خلاص .. ماليش دعوه بيكى .. وروحى شوفى مين حايطلقك .. واعملى اللى انتى عايزاه ..

وهمت أن تقوم من جانبى ، فتشبثت بها وأنا أنظر اليها فى استجداء ، وقلت فورا :

ــ اسمه هاشم ..

ونظرت الى أمى فى تعجب وقالت :

ــ هاشم مين ؟ ..

قلت وانا أحنى رأسى :

ــ الدكتور هاشم ..

وخبطت على صدرها كأنها ذعرت وقالت :

ــ الدكتور هاشم عبد اللطيف ؟

وهززت رأسى بالايجاب ، وعيناى منكستان فى خفر ..

وقالت أمى وهى تطوف بعينيها فوق وجهى :

ــ بس ده نص ستات البلد بيجروا وراه ..
ورفعت راسى وقلت فى حدة كأنها لدغتنى :
ــ وانا أحسن من نص ستات البلد ..
وقالت أمى :
ــ وبيقولوا عليه ما بيتجوزش ..
قلت :
ــ اللى أعرفه انه بيحبنى .. متأكده انه بيحبنى ..
قالت :
ــ من امتى ؟ ..
قلت :
ــ من حوالى سنه ..
قالت وقد راقت ابتسامتها .. ابتسامة فيها كثير من الدهشة ، وكثر من الزهو :
ــ وعرفتيه ازاى ؟ ..
وبسرعة استطعت أن اختلق كذبة كبيرة .. قلت لها انى التقيت به فى النادى .. وعرفتنى به احدى صديقاتى .. واتصل بى بعدها بالتليفون .. وقد خرجت معه عدة مرات .. فى سيارته .. ويحدثنى دائما فى التليفون .. و ..
لم اقل لها شيئا من الحقيقة ..
ونظرت الى أمى وقد غلب زهوها بى دهشتها منى .. وقالت كأنها تهنئنى :
ــ أما انتى حتة بنت .. كل ده وما أعرفش ..
ثم سكتت برهة وقالت :
ــ وهو عارف انك حاتطلقى ..
قلت :

— ايوه ..

قالت :

— وما قالش حايعمل ايه بعد الطلاق ..

قلت كانى الومها :

— مش ممكن يا ماما .. ده انسان كويس .. ومش ممكن يطلق واحده علشان يتجوزها .. انما هـو فاهم انى حاطلق لانى ما بحبش جوزى .. ولان جوزى راجل مش كويس .. انما انا متأكدة انى لو اطلقت ، حايتجوزنى ..

قالت كأنها تحقق معى :

— اتأكدتى ازاى ؟

قلته :

— هاشم دايما يقول لى انه لو كان قابلنى قبل ما اتجـوز كان اتجوزنى .. ودايما يقول لى انه ما يقدرش يستغنى عنى ابدا .. وانا عارفه انه مش ممكن يكذب .. ما فيش سبب يخليه يكذب .. وزى ما قلتى ، نص ستات البلد بتجرى وراه .. يعنى مش محتاج انه يقول لى الكلام ده الا اذا كان بيحبنى صحيح ..

وسرحت أمى بعينيها .. وابتسامة كبيرة على شفتيها .. كأنها تحلم .. كأنها تتصور نفسها حماة الدكتور هاشـم .. وتتصور نفسها وهى تباهى به كل صديقاتها .. تتصور نفسها فى قصر كبير بهنته من طموحها الساذج ، واطماعها الرخيصة ..

وعادت تقول لى فجاة كأنها استيقظت من احلامها :

— والنبى يا بنتى انا مش مصدقه ده كله .. الدكتور هاشم حته واحده !!

قلت وانا ابتسم لسذاجتها واتعالى عليها بذكائى :

ـ تحبى أكلمه فى التليفون قدامك .

قالت وهى تمصمص شفتيها ، وتركن راسها على كتفها :

ـ اتكلمى يا بنتى .. ورينى عمايلك .

وقفزت من جانبها فى نشاط مرح ، كأنى على وشـك أن أقوم امامها باستعراض راقص ، أبرز به مواهبى .. وخرجت الى الصالة ، وعدت حاملة التليفون ، وخالتى سـعدية تصيح ورائى :

ـ اتفقتم على ايه ؟

قلت :

ـ ادى احنا بنتكلم ..

ثم اغلقت الباب ورائى ، وجلست بجانب أمى ، وأدرت قرص التليفون ، وهى تنظر الى فى ترقب ، والفضول يشـد عينيها .. وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف .. وهاشم فى عيادته .. وما كاد يسمع صوتى حتى قال :

ـ عملتى ايه يا أمينه .. ايه اخبارك ؟ ..

واذن أمى بجانب أذنى فوق السماعة !

وقلت :

ـ العيله كلها مقلوبه على .. انما اطمن يا هاشم .. كل حاجه حا تمشى زى ما احنا عايزين ..

وسكت هاشم قليلا كأنه لم يفهم ما أقصده .. ثم قال :

ـ بس خليكى عاقله .. ما تتجننيش .

قلت :

ـ اطمن .. انا عارفه انا باعمل ايه .. ما تشغلش بالك . خلى كل عقلك للعيانين بتوعك .. وسيب كل حاجه على ..

وسكت هاشم مرة ثانية .. كأن هناك شيئا يريد أن يفهمه .. ثم قال فى صوت متردد :

ـــ ابقى طمنينى ..

قلت فى رقة :

ـــ حاضر ..

ووضعت سماعة التليفون ، والتفت الى أمى .. وعيناها واسعتان مبهورتان .. وعلى شفتيها ابتسامتها الكبيرة تهنئنى بها على عبقريتى .. ثم قالت كأنها قررت أن تبدأ العمل فورا ،

ـــ المهم دلوقتى نخلص من الراجل عبد السلام ده .. الحقيقه يا بنتى انتى معذورة فيه .. ده راجل ما ينطقش ..

ثم قامت وخرجت من الغرفة ، وأنا وراءها ، وقالت وهى تسير نحو أختها فى خطوات قوية حاسمة :

ـــ ما فيش فايده يا سعديه .. البنت لازم تتطلق ..

وهكذا انقادت أمى لى .. تنازلت عن مبادئها واستسلمت لطموحها وأطماعها .. ولم تكن تدرى عندما انقادت الى انى ساجرها معى الى طريق الوحل .. طريق العذاب ..

ومالت رأس أمى على رأس خالتى ، ووضعتا خطة العمل .. اتفقنا على أن يتصلا بعبد السلام فى السويس ويقولا له انى كنت عند خالتى طول الليل .. وان خالتى لم تكن تدرى لأنها كانت عند أمى .. ثم تطلبان منه أن يأتى حالا الى القاهرة ..

وصدق المسكين الملهوف كل شىء ..

وعدت مع أمى الى بيتها ..

وعادت تسألنى ونحن فى الطريق :

ـــ مش حاتقولى كنتى فين امبارح ؟

قلت وأنا ابتسم :

ـ لا .. لما اطلق الأول ...

وسكتت أمى ..

والواقع أن من اسباب اصرارى على عدم ذكر المكان الذى كنت فية ، ان خيالى لم يكن قد اسعفنى حتى اليوم بكذبة معقولة اقولها .. ولم اكن استطيع ان اقول لأمى الحقيقة ..

ووصلنا البيت ..

ونمت بمجرد وصولى .. نمت نوما هادئا مريحا ، كأنى وصلت الى شاطىء الأمان بعد رحلة طويلة .. وجلست أمى مع زوجها ، وأخذت تحاول اقناعه بأن يوافق على طلاقى من زوجى .. قالت له كل الأسباب التى تبرر الطلاق .. نصفها أسباب اختلقتها ونسجتها من خيالى .. وضعف الرجل الطيب .. ولكنه ظل مترددا .. وظل يبحث عن باب يصون لى زواجى ...

واستيقظت من النوم ، وزوجى عبد السلام فى البيت .. ولكنى رفضت ان اقابله .. ولا حتى أن اراه من بعيد .. وأقنعته أمى بألا يصر على لقائى ، رحمة بالجنين .. حتى لا أنور فيتأثر بثورتى .. وأخذت تقنعه بالطلاق .. وزوجها ينضم اليها حينا ، وينضم الى عبد السلام حينا .. وأمى تأتى الى حجرتى وتجلس معى لتنقل الى ما يدور من حديث .. ثم نتحدث قليلا عن هاشم .. ونضحك .. ثم تضع على وجهها ملامح الجد ، وتخرج الى عبد السلام وتنقل له عن لسانى كلاما ، نصفه لم اقله ..

وبقى عبد السلام فى القاهرة ثلاثة أيام .. يأتى الى البيت فى الصباح .. ثم يخرج ليتناول طعام الغداء فى الخارج .. ثم يعود فى المساء ويبقى الى منتصف الليل ، ثم يذهب لينام فى الفندق . وخالاتى الخمس مقيمات عندنا ، تقريبا ، وقد اقتنعن

بما اقتنعت به أمى ، رغم ان أمى لم تطلعهن على حكايتى مع هاشم .. والكلام لا ينتهى .. والبيت هيصة .. هيصة كبيرة .. كأن فى البيت فرحا .. لا طلاقا ..

وفى اليوم الثالث فوجئت بعد السلام يفتح باب غرفتى بلا استئذان ، وقد اكتسى وجهــه بالغضب .. غضب عنيف .. ودهشت عندما رأيته .. لقد نقص وزنه .. وحدد الغضب ملامح وجهه ، فبدا كأنه اصــغر سنا ، واقوى شخصية .. بل بدا اكثر وسامة .. ونظرت اليه والدهشة تملأ عينى .. كأنى انظر الى شخص غريب .. ليس زوجى عبد السلام .. بل خيل الى ساعتها ان بنطلونه ليس مهدلا كما كنت أتصور ..

وافقت من المفاجأة بسرعة ..

واقترب منى والغضب ينطلق من عينيه .. وأمى تجــرى وراءه .. والتفت اليها وقال فى صوت قوى لم أسمعه منه من قبل :

ــ سيبينا لوحدنا من فضلك يا فوزيه هانم ..

وترددت أمى .. نظــرت اليه .. ثم نظــرت الى .. ثم انسحبت من الغرفة ، وهى تقول :

ــ ما تنرفزيش نفسك يا بنتى .. برضه لازم تتكلموا مع بعض ..

ثم ابتسمت لى من وراء ظهره ، وخرجت ..

واقترب عبد السلام من السرير الذى أجلس عليه ، والغضب يحيط به .. وانا أنظر اليه واتعجب لهذه القوة التى تفوح منه . والتى لم اشعر بها أبدا .. بل أنى اشعر كأنى اخاف .. ولم اكن ابدا أخافه .. وقال بهذا الصوت الثابت الجديد على اذنى :

ــ انتى عايزه ايه ؟

قلت وانا انكمش فى زاوية السرير :

ــ انت عارف ..

قال :

ــ عارف انك عايزه تطلقى .. أما لغاية دلوقتى مش عارف ليه ..

قلت وانا ازداد انكماشا ، وعيناى معلقتان بوجهه الغاضب :

ــ علشان ما بحبكش ..

قال :

ــ وكنتى اتجوزتينى ليه ؟

قلت :

ــ كنت فاكره انى حاقدر احبك .

قال :

ــ لسه ما فاتش علينا وقت كفايه علشان تقدرى تعرفى اذا كنتى تقدرى تحبينى والا لا ..

قلت وقد بدأت أتحرر قليلا من الخوف .

ــ ما فيش فايده .. مش حاقدر أحبك ..

وقال وانفاسه تنطلق كفحيح النار ، وعيناه تزدادان غضبا :

ــ والعيل اللى فى بطنك ..

قلت :

ــ مش عايزاه .. عمرى ما كنت عايزاه .. ابقى خده من يوم ما يتولد ..

قال :

ــ بس أنا ما اتجوزتش علشان اطلق بعد سبع شهور .. واذا كنت حا اخلف منك .. يبقى لازم تتعهدى علشان تربى لى الولد ولا البنت اللى حاتجيبيه ..

وصرخت بأعلى صوتى :

ــ انشا الله يارب ينزل ميت .. انا مش طايقاك .. مش طايقاك .. اسمع يا عبد السلام .. اذا ما كنتش حاتطلقنى أنا حا اخونك .. فاهم يعنى ايه أخونك .. حاروح اعرف واحد تانى ..

وقبل ان أدرى ، رفع عبد السلام كفه وصفعنى صفعة اشعلت النار فى وجهى كله ..

وصرخت :

ــ ماما .. ماما .. الحقينى يا ماما ..

وقال عبد السلام وهو واقف ثابتا منتصبا أمامى :

ــ انا حاطلقك .. مش علشان انتى عايزه الطلاق .. انما لأنك ما تنفعيش زوجة .. ما تنفعيش أم .. انتى ما تربتيش .. ما عندكيش مبادىء .. انتى انسانه منحله .. أنا حا اطلقك لأنى غلطت يوم ما اتجوزتك ..

ودخلت أمى .. وصرخت فيها :

ــ ضربنى يا ماما .. ضربنى ..

وقالت أمى وهى تخبط على صدرها :

ــ هى حصلت الضرب يا عبد السلام يا ابنى .. ده أنا بنتى عمرها ما حد ضربها ولا حط ايده عليها ..

وصرخ عبد السلام دون أن يلتفت الى أمى ، وعيناه الغاضبتان تخنقان عنقى :

ــ روحى انتى طالق .. طالق .. طالق ..

ثم اندفع خارجا من الغرفة .. وعيناى متشبثتان به ، كأنى كنت فى لحظة تمنى ان يعود الى .. اتمنى الا تنتهى حكايتى معه بهذه السرعة .. ان يترك لى فرصة أخرى ..

وصاحت أمي وراءه :

ــ طيب استنى يا عبد السلام أما نتفاهم ..

ولكنه خرج ..

وسمعت صوت الباب الخارجي يصفق وراءه فى عنف ..

وارتميت على ظهرى أبكى ..

بكيت بحرقة .. بكل أعصابى .. لم أبك فى حياتى قدر ما بكيت هذا اليوم ..

وبطنى منفوخ يهتز مع بكائى ، كأن الجنين يبكى معى .

وفى صدرى بركان من الأحاسيس .. أحاسيس متضاربة .. قاتمة .. حادة .. تنهش فى لحمى وأعصابى .. وآثار صفعة عبد السلام لا تزال تحرق وجهى .. لقد أحسست بصفعته كما لم أحس أبدا بصفعات هاشم الكثيرة .. صفعته مزقت كرامتى .. اذلتنى .. ربما لأنها صفعة غضب .. وصفعات هاشم صفعات حب واشتهاء .. ولكن رغم ذلك أحسست كأن صفعة عبد السلام قد كشفت لى عن حقيقة كنت أجهلها فيه .. اكتشفت أنه رجل .. قوى ... وشعرت بموجة عنيفة من الندم .. الندم لأنه طلقنى .. يا ربى .. لماذا لم يصفعنى من قبل .. لماذا لم يضربنى .. ويضربنى .. الى أن أفيق من جنونى .. لماذا دللنى الى هذا الحد .. لماذا سكت على .. لماذا تركنى لهاشم ..

وتذكرت هاشم ..

كأنى كنت نسيته فى هذه اللحظات ..

والتفت الى أمى وهى واقفة بجانبى تحاول أن تسكت بكائى . وصرخت فيها بعصبية :

ــ هاتى التليفون ..

وقالت امى فى اسى :
ــ حاتكلمى مين دلوقتى بس ؟
قلت صارخة :
ــ مالكيش دعوه .. هاتى التليفون .
وخرجت صامتة وعادت بالتليفون .. وادرت رقم تليفون هاشم ، وصرخت فيه من خلال دموعى :
ــ عاجبك كده .. ادينى اتطلقت .. اتفضل باه وتعالى اتجوزنى ..
وسكت برهة ..
برهة طويلة ..
ثم قال فى صوت صارم :
ــ بعدين نبقى نتكلم ..
ولم احتمله ..
قذفت بسماعة التليفون فوق الفراش .. واخذتها أمى واعادتها الى مكانها فى هدوء .. وقالت لى فى فضول :
ــ قالك ايه ؟
قلت وانا اعود وابكى بكل دموعى :
ــ ما قالش حاجه .. سيبينى يا ماما .. وحيانى عندك تسيبينى لوحدى ..
وتركتنى أمى ..
وعدت أبكى وحدى فى غرفتى ..
والبيت صامت حزين ..
وخالاتى الخمس قد انصرفن ، كأنهن انتهين من تشييع الجنازة .. جنازتى !
ونمت ..

لا .. لم أنم ..
أغمى على ..

وفى اليوم التالى صحوت وانا افكر فى لقاء هاشم .. واحس وانا افكر فيه انى اصبحت اكثر ضعفا امامه مما كنت .. كأنى فقدت سندى ..

وقلت فى التليفون .. وصوتى حزين ضعيف :
— اقدر اشوفك النهارده ..

قال كأنه لا يدرى بمصيبتى :
— مش حاقدر وحياتك يا امينه .. عندى كونسلتو الساعه اربعه .. ومش حاقدر اعتذر .. اتصلى بى بكره ..

واحسست بقلبى ينشق ..
هل بدأ يهرب منى ؟
لا ادرى ..
ولا اريد ان ادرى .. لا اريد ان افكر ..

وقلت فى يأس واستخذاء :
— حاضر ..

واليوم يسير حزينا راكدا .. لا يحكمه شىء .. ولا حتى احاديث امى الطويلة التى تحاول ان تخفف بها عنى .. انها هى الأخرى حزينة ، نادمة .. فكيف تخفف عنى الحزن والندم ..

وفى اليوم التالى ، رفض هاشم ان يقابلنى أيضا ، وقال بصوت وضع فيه كل صدقه :
— وحياتك .. وحياتك .. مشغول .. انما بكره ، لو النبى نزل لى مش ممكن ما يخلنيش اشوفك ..

وصدقته ..
اضطررت أن اصدقه ..

وقابلني ..

وقلت لأبى انى ذاهبة للقائه .. فى السيارة .. وقالت أمى فى جزع :

ــ حاسبى يا ميتو .. انتى دلوقت فى العدة .. وعبد السلام يقــدر يعمل فيكى اللى هو عايزه .. كأنه لســـه متجوزك ..

وابتسمت ..

اعجبتنى كلمة « العدة » .

لم تكن قد خطرت على بالى من قبل .. وفرحت بها ، كأنى اشتريت ثوبا جديدا اتخايل به .. وقد ظللت الوك كلمة « العدة » بعد ذلك فى كل مناسبة .. كأنى اطرقع بقطعة لادن فى فمى ..

وكان هاشم فى انتظارى ..

حرص على ان يذهب قبلى ، ليرضينى ويظهر لى انه على اهتمامه بى ...

وجلس بجانبى يستمع منى الى تفاصيل ما مر بى ، ثم اكتسى وجهه بالجد ، وقال وهو ينظر بين يديه :

ــ اسمعى يا أمينة .. انا عايز أكلمك بصراحة .. و ..

وقاطعته قائلة وأنا أدير وجهى عنه :

ــ عارفه انت حاتقول ايه .. ومش عايزه اسمع ..

والتفت الى وعلى شفتيه ابتسامة ميتة وقال فى تساؤل :

ــ حاأقول ايه ؟

قلت وأنا لا انظر اليه :

ــ حاتقول ان مش يعنى انى اطلقت .. انك حاتتجوزنى .. انا قلت لك ميت مره انى ما اطلقتش علشان اتجوزك ..

قال :

ــ أنا مش عايز أضحك عليكى .. مش عايز اخدعك .. و ..

قلت :

ـــ عارفه .. وأرجوك تسكت ..

ولكن ..

هل فقدت الأمل فى أن اتزوجه .. ابدا .. لقد جرنى هذا الأمل الى اخر الطريق .. ولكنى كنت أيامها اضعف من أن افصح عن املى وأدافع عنه .. وتبينت انى كنت أرهب هاشم .. كنت اعتقد انى احترمه لأنه صريح ، ولا يكذب .. ولكنى فى الحقيقة كنت أرهبه .. ارهبه لوقاحته التى تصل الى حد أنه يستغنى بالوقاحة عن الكذب ..

وبعد خمسة عشر يوما ارسل لى عبد السلام ورقة الطلاق .. طلقنى بلا شروط ..

حتى مؤخر الصداق ، وكان خمسمائة جنيه ، دفعه بمجرد أن ذكرته به أمى .. كأنه يبيعنى بأى ثمن ..

طلقت ..

وانا فى التاسعة عشرة من عمرى .. حامل فى الشهر السابع ..

والخوف والرهبة يملآن قلبى ..

وأصبحت حرة ..

لا يقيدنى شىء الا هذا الحمل الثقيل الذى حمله فى بطنى .

واحترت فى الشهور الأولى ماذا أفعل بحريتى .. كنت التقى بهاشم كل يومين أو ثلاثة .. لقاء ساعة أو ساعتين .. وكنت أقضى الوقت فى حديث لا ينتهى مع أمى عن الطلاق ، وعن زواجى من هاشم ، والأمل الكبير الذى تبنيه على كذبتى عليها .. وكنت احمل بطنى واخرج لأتمشى فى شارع البارون ، أنا واخوتى ، استعدادا للولادة .. و .. والأيام تمر بطيئة

مملة .. وكنت اعلل هذا الملل بأنى حامل .. او بأنى فى شهور العدة . ولا استطيع ان انطلق خوفا من أن يكون زوجى — السابق — يراقبنى ، رغم انى كنت اعلم انه لا يراقبنى وانه لم يأت الى القاهرة منذ طلقنى ..

ولكن ...

انه ليس الملل ..

شىء آخر ..

انه الخوف ..

خوف احاول ان اتجاهله ... وكلما اقترب يوم الوضع اقترب منى الخوف ... ويقترب الخوف أكثر .. اكثر .. حتى اصبح هلعا .. هلع من أن اتحمل وحدى مسؤولية الطفل الذى سأضعه .. بلا زوج بجانبى .. كنت أحس كأنى سأضع طفلا يتيما .. وبدأت أحس بالحياة الطويلة تمتد أمام هذا الطفل ويعيش فيها وحده .. بلا أب .. ابوه بعيد عنه .. كأنه ميت .. بل ، من يدرى .. ربما لن يعرف أباه ...

وبدأ اطمئنانى الى أنى حملت من عبد السلام يهتز .. يهتز بعنف ... انى لست واثقة اليوم من أنه ابن عبد السلام .. وفى صدرى أمنية خبيثة بأن يكون ابنا لهاشم .. ان هاشم ، على الأقل ، بجانبى .. يستطيع أن يحمل معى مسؤولية هذا الطفل ، حتى لو لم يكن زوجى .. ولكن عبد السلام ذهب ..

وصحا ضميرى صحوة مفاجئة ..

انى أتعذب ...

يعصرنى عذاب الضمير .. ويصل بى العذاب الى حد ان أتمنى ان اعود لعبد السلام .. بل انى اتصلت به بالتليفون .. وحاولت أن اكون رقيقة معه .. وحدثته عن قرب يوم الوضع

لعلى أثير حنانه .. ولكنه كان جافا معى .. وايأسنى من عودتى اليه ..

واستسلمت ..

للخوف ..

للعذاب ..

والجأ الى هاشم .. انه كما هو .. لا شىء يجد عنيه .. ويقودنى في لحظات الى فراشه ، رغم انه يعلم انه لم يبق الا ايام ، لأرقد على فراش الوضع .. و ..

وانتقلت الى المستشفى ..

انى الد ..

واحشائى تتمزق .. كأن الجنين يحمل سكينا يشق به طريقا لنفسه الى الحياة .. واصرخ .. واضغط بكل انفاسى لأطرد هذا الكائن من جسدى .. واطلق عليه كل قواى .. واتألم .. يا ربى .. ارحمنى .. وخيل الى ان هذا الالم ليس طبيعيا .. لابد أن الله يعاقبنى .. يصب نقمته على ..

ولكن الالم لم يشل عقلى .. فى أشد لحظات الألم لا يزال عقلى يفكر .. ويتساءل .. ويتلهف على التعرف على الجنين .. والتعرف على ابيه ..

وفتحت عينى ..

وحملته الى الممرضة ..

هذا الشىء الذى عذبنى ..

بنت ..

ونظرت فى وجهها بعينين ملهوفتين ..

ومن النظرة الأولى عرفته ..

انه عبد السلام ..

زوجى ..

هل فرحت ؟ ..

ـــ لا ..

اغتظت ..

وعدت ابحث فى وجهها .. كلها عبد السلام .. لونه .. انفه .. شفتاه .. بل خيل الى انى لو فتحت فمها ، ستأجد فيه سنة عبد السلام الذهبية ..

وعدت ابحث فى اصابع يدها .. فى قدميها ..

لا شىء من هاشم ..

ولا منى ..

وحمدت الله ، دون أن أفرح بحمده ، ورفعت عينى فرأيت أمامى عبد السلام ، وقد جاء ليحضر ولادتى ، وقال لى وهو يحمل طفلته بين ذراعيه .. ولهجته جادة كأنه يهددنى ، رغم ابتسامته :

ـــ انتى خلاص بقيتى أم يا ميتو ..

والبنت لازم تتربى كويس .. ومش ممكن تتربى كويس الا لو كانت أمها كويسة ..

وابتسمت له ، كأنى اقول له .. يا سم ..

ولكنه كان لطيفا ..

حمل الى باقة من الورد .. ودفع أجر الطبيب ، ومصاريف المستشفى ..

وامى وخالاتى الخمس يحطن بى ..

وباقات الورد ..

وكنت متعبة .. عدت ونمت ..

وصحوت فى اليوم التالى ، وشعورى بانى بلا رجل يقف بجانبى فى هذه المناسبة ، يعذبنى ..

واتصلت بهاشم فى التليفون ، وقال منطلقا .. لا شيء يقلقه :

ـــ بنت ولا ولد ..

قلت فى يأس :

ـــ بنت ...

قال فى مرح :

ـــ حلوه زى أمها ؟ ...

قلت :

ـــ مش حاتيجى تشوفها ..

وتردد هاشم فى أن يعدنى بزيارته .. ولكنى اقنعته بأن يأتى لزيارتى فى الساعة العاشرة مساء ، وضمنت له الا يكون أحد معى .. وقبل محرجا .. كأنه يجاملنى مجاملة كبيرة ..

وادعيت النوم منذ الساعة الثامنة ..

وذهب الجميع حتى أمى ..

وجاء هاشم فى العاشرة ..

وأثار دخوله فى المستشفى همس المرضات .. خرجن ليرينه .. وهو يقترب منى متخذا هيئته الجادة التى يقابل بها مرضاه .. وبعد أن خرجت المرضة التى اوصلته حتى غرفتى .. استراح من هيئته الجادة .. وانحنى يقبلنى فوق خدى .. نظر الى ابنتى فى السرير الصغير الموضوع فى جانب من الغرفة .. نظرة واحدة .. كأنها لا تهمه فى شيء .. وقال فى مرح :

ـــ انتى أحلى ...

ثم التفت الى قائلا :

ـ سمتيها ايه ؟ ..

قلت :

ـ لسه .. ايه رايك ؟

قال :

ـ سميها على اسم مامتك ..

قلت :

ـ لا .. ذنبها ايه .. ده اسم ماما بلدى ..

كنت انانية الى حد ان ارفض اطلاق اسم امى على ابنتى .

وقال هاشم :

ـ سميها .. هدى .. على اسم بنت اختى ..

قلت :

ـ حاضر .. خلاص .. هدى ..

وعاد هاشم ونظر الى هدى نظرة اطول من الأولى .. كأنه يبحث فيها عن شيء .. ثم عاد الى بوجه ضاحك .. وقال وهو يجلس على المقعد الموضوع بجانب سريرى ، ويميل على بوجهه حتى تلامس شفتاه شفتى :

ـ انا كان لازم أجيب لك هدية .. انما انتى عارفة ان عمرى ما اشتريت حاجه .. ما عنديش وقت أنزل الف على الدكاكين .. ومن هنا ورايح لازم تعودى نفسك انك تشترى لى الهدايا اللى حاقدمها لك ..

ثم أخرج من جيبه خمسين جنيها ،وضعها فى يدى ..

وحاولت ان ارفض ..

ولكن رفضى لم يكن الا ترددا سريعا .

ونظرت الى أوراق النقد نظرة سريعة وانا احس كأنها التصقت بيدى .. احس انى اضعف من ان القيها من يدى ..

وقلت وصوتى محبوس :

ـ دول كتير قوى يا هاشم ..

وكانت الخمسين جنيها أكبر مبلغ اضعه فى يدى فعلا ، حتى هذا اليوم .. كان زوجى لا يعطينى فى يدى أكثر من عشرة جنيهات ، كمصروف خاص .

وقال هاشم :

ـ ما فيش حاجة كتيره عليكى .. كل اللى عندى بتاعك .

قلت :

ـ بس حاقول ايه لماما ..

قال وهو يضحك :

ـ خبيهم لغاية ما تشترى بيهم حاجه ..

والتوت أصابعى على النقود ..

والتوت كل حياتى ..

وتحررت بعد أن وضعت ابنتى ..

ندمت على طلاقى ، أصبح يأسا .. واليأس اراحنى ..

وابنتى لم تشغلنى .. تركتها كلها لأمى .. لم أكن أحتاج اليها الا لأتخايل بنفسى كأم ، أما مالضيوف .. أو عندما أضعها فى عربتها الصغيرة واذهب بها الى نادى مصر الجديدة ، وادفع أمامى العربة وأنا اتلفت حولى فى خيلاء كأنى اتباهى بثوب جديد ، أو تسريحة جديدة لشعرى .. لم احس بلهفة الأم .. ولا بجزع الأم .. ولا بوقار الأم واحترامها لنفسها .. كل ما كنت احس به هو انانية الأم .. كنت احس بأن هدى ابنتى أنا .. ملكى أنا .. ومهما تركتها لأمى ، وحملتها مسؤوليتها فقد كنت احرص بين حين وآخر على ان اشعرها بأن هدى ابنتى أنا .. وكنت أفتعل معها مشاجرات صغيرة حول أمور تخص ابنتى أنا ..

ربما لأنى كنت لا ازال صغيرة .. أصغر من ان اشعر بمسؤوليتى كأم .. وكانت ابنتى مجرد عروسة ألهو بها .. وربما لأن ايامها كان مستقبلى يشغلنى عن مستقبل هدى .. وحبى لنفسى يشغلنى عن حبها ..

وانطلقت ..

الى آخر ما أستطيعه من انطلاق ..

عدت كأنى فتاة لم تتزوج بعد .. عدت أصغر من سنى .. .. أنتقى ثيابى كثياب الفتيات .. البس البنطلون وأركب دراجة ألهو بها فى شوارع مصر الجديدة .. واتخذت صديقاتى كلهن من البنات .. نذهب الى حفلات السينما الصباحية ، ونأكل السندويتش فى محل البامبو بشارع سليمان باشا .. ولم أكن اسمع كلام امى وهى تذكرنى بأنى مطلقة ، وأن المطلقات لهن وضع خاص فى المجتمع .. كلام فاضى .. ان المطلقة قد تختلف عن الزوجة ، ولكنها لا تختلف عن البنت .. كلتاهما ليس لها زوج .. وما تستطيع المطلقة أن تفعله ، تستطيع البنت أيضا أن تفعله ..

كان الشىء الوحيد الذى يحد انطلاقى هو حبى لهاشم ..

كان هاشم هو الرجل الوحيد ..

وهو الشاغل الوحيد ..

أحادثه فى التليفون اكثر من مرة فى الصباح .. وأكثر من مرة فى المساء .. واستأذنه قبل أن اخرج .. وأقول له تصبح على خير قبل أن انام .. وأسمع كلامه .. الوحيد الذى اقول له ، حاضر .. حاضر .. حاضر .. وأعيش فى انتظار لقائه .. كل يومين أو ثلاثة .. ساعة أو ساعتين ..

ولكن هاشم لم يتغير ..

ربما التصقت بحياته اكثر .. ولكنه لم يعطني شيئا أكثر ، كل ما اعطاه اكثر هو نمرة تليفون شقيقته التي يقيم معها وسمح لي ان احادثه هناك بعد منتصف الليل ، بعد أن يعود من سهرته مع اصدقائه ، لأقول له .. تصبح على خير .. وفرحت بنمرة تليفون شقيقته .. وفرحت بصوتها عندما ترد في المرات التي لا يرد فيها هاشم .. بل انى اتعمد أن اتصل بها وانا أعلم أن هاشم ليس في البيت .. فقط لأسمع صوتها .. أو على الاصح لأقحم نفسي في بيتها .. وكنت أتعمد أن اقول لها اسمي صريحا .. امينة .. واضع في حديثي معها رقة وخفرا ، اكثر مما اضعه في حديثي مع هاشم .. ورغم الجفاء الذي كانت ترد به على .. جفاء مغلف بأدب ووقار .. فقد اعتبرت نفسي صديقتها .. بل انى فى مناسبات كثيرة عندما كانت تأتى سيرة هاشم بين صديقاتي او صديقات امي ، كنت ادعى كذبا انى صديقة أخته ..

ومع مرور الأيام ، لم يعد يكفيني ما آخذه من هاشم .. اريد أن القاه كل يوم ، واريد ان اتحدث اليه وعنه طول اليوم .. ولكنه دائما مشغول .. انه لا يزال يلقاني كل يومين .. بل اني اكتشفت انه يلقاني في أيام محددة .. السبت .. والاثنين .. والخميس .. دون أن نتفق على أن يكون لقاؤنا في ايام محددة .. فاذا حادثته في تليفون العيادة ، فهو دائما على عجل .. يلقى الى بهذه الكلمات القصيرة السريعة .. فاذا حادثته في البيت فهو ايضا على عجل ، يريد أن ينام او يريد ان يخرج .. ثم اكتشفت أنه يكره أن يطيل في حديث التليفون ، كأن كل من يحادثه في التليفون مريض من مرضاه يريد أن يعرف حالته بسرعة ، وينتهي ..

ثم انى لم اكن استطيع أن اتحدث عنه الا مع أمي .. وحديثي

عنه مع أمى ثلاثة ارباعه كذب .. لم اكن استطيع ان اقول لها اين نلتقى .. ولا ماذا نفعل عندما نلتقى .. ولا ماذا نقول .. كنت أؤلف لها قصصا خيالية عن حب برىء ساذج ، ومستقبل سعيد باسم ..

ثم ..

لم اعد استطيع ان احتفظ بسرى فى صدرى . ولا بينى وبين أمى ..!

قررت أن افشى سرى ..

همست به الى اقرب صديقاتى .. ثم الى صديقة أخرى .. وثالثة .. ورابعة .. وكن لا يصدقننى ... كأن هاشم شىء كبير ، لا استطيع ان اصل اليه .. فكنت أحادثه أمامهن فى التليفون ... حتى يصدقننى ..

ولم اكن ادرى عندما سأفشى سرى ، سأكتشف جانبا من حياة هاشم كان غائبا عنى ... سأكتشف أنى لست وحدى فى حياته ..

ان كل واحدة من صديقاتى حملت الى قصة من قصصه .. مغامرة من مغامراته .. واخدة تقسم أنه على علاقة بسيدة متزوجة .. وثانية تقسم أنه على علاقة بطالبة فى الجامعة .. وثالثة تقسم أنه يحب فتاة من نادى الجزيرة .. و ... و ..

وكنت لا اصدق ..

ان رجلا مثل هاشم لابد أن تحيط به الاشاعات .. انه اذا صافح فتاة وابتسم لها ، فلابد ان يطلق الناس وراءه حكاية .. ولكن ..

لماذا لا أصدق ؟ ...

ان السهولة التى تعرفت بها اليه ، والبساطة التى اخذنى بها ، توحى بأنه رجل مغامرات ..

وبدأت اغار ..

كأن عشرات الصراصير تزحف داخل قلبى ، وخلية من النحل تطن فى رأسى ..

وكنت أقول لهاشم ما أسمعه عنه ، فكان يضحك ضحكة كبيرة ، ويقول :

ــ ما تصدقيش .. انتى عايزه واحد زيى عايش لغاية دلوقت من غير جواز والناس ما تتكلمش عليه .. لو كان كلام الناس صحيح كان زمانى مع نص ستات البلد ..

قلت وانا لا أصدقه :

ــ طيب ما تتجوز علشان الناس تبطل كلام ..

وسحب ضحكته ، ونظر الى نظرة جادة حزينة ، وقال فى صوت جاف :

ــ لو كنت عايز أتجوز كنت اتجوزت ..

قلت كأنى اتحداه :

ــ ومش عايز ليه ؟ ..

ولم يرد على .. قام من جانبى .. والتقط كتابا من كتبه الطبية أخذ يقرأ فيه ، كعادته عندما يكون غاضبا منى .

وفضلت ان اسكت ..

لم اتكلم ..

والغيرة تقرص قلبى ، وتلف برأسى ...

وقد تعمدت يومها ، قبل ان اخرج من شقة هاشم ، أن اضع منفضة السجائر فى مكان معين ، حتى اذا عدت مرة ثانية

ووجدت مكانها قد تغير ، عرفت أنه كان فى الشقة .. وما دام كان فى الشقة ، فلابد أنه كان مع امرأة ...

وعدت ..

ووجدت منفضة السجائر قد تغير مكانها .

وقلت له وانا اضغط على اعصابى حتى لا انفجر

ــ انت كنت هنا يا هاشم ؟

ورد بسرعة :

ــ لا ..

قلت :

ــ ما جيتش هنا ابدا ، من يوم ما كنا مع بعض ..

قال فى هدوء :

ــ ابدا ..

قلت فى حدة :

ــ انت كذاب ..

ورفع حاجبيه فى دهشة ، كأنه يتعجب لجراتى عليه .. وسكت .. وعدت اصرخ :

ــ انا متأكدة انك كنت هنا ..

وقال فى برود :

ــ اتأكدتى ازاى ؟ ..

قلت :

ــ مش حاقول لك .. انما انا متأكدة ..

قال :

ــ ما دام مش حاتقولى اتأكدتى ازاى يبقى ما تسألنيش ..

قلت فى تحد :

ـــ طقطوقة السجاير انا حاطاها بايدى هنا .. تسمح تقول لى ايه اللى نقلها من مكانها .. نطت لوحدها ؟ ! ..

وابتسم ابتسامة كبيرة ، ثم اقترب منى واخذنى بين ذراعيه ، وقال :

ـــ انتى عبيطة ..

قلت وانا انظر اليه والغضب يملأ عينى الواسعتين :

ـــ عبيطه ليه ؟ ..

قال ضاحكا :

ـــ انتى نسيتى ان عم محمود البواب ببطلع ينضف الشقه كل يوم .. وضرورى لقى الطقطوقة مش فى مكانها .. رجعها لمكانها .. ثم انا قلت لك انى ساعات باجى هنا علشان استريح .. بس من يوم ما كنا مع بعض ما جيتش ..

قلت :

ـــ وطبعا بتيجى لوحدك ..

قال وهو يلتقط شفتى بشفتيه :

ـــ لا .. ساعات باجى معاكى ..

ولم اصل الى شىء ..

ولم استرح ..

اصبحت اذهب الى الشقة كأنى كلبة من كلاب الصيد .. اشم الوسائد لعلى اجد فيها رائحة امراة اخرى .. وابحث عن اعقاب السجائر لعلى اجد عقبا يحمل آثار شفاه .. وادخل المطبخ لعلى اجد بقايا كأس او فنجال قهوة .. ثم بدات افتح الأدراج الكثيرة ، التى لم يكن يهمنى ان افتحها .. وافتش .. وافتش .. ويتركنى هاشم افعل كل ذلك دون ان يعترض .. الى ان وجدت اخيرا شيئا ..

وجدت صورة امراة .. فى مثل سنى ..

تحمل طفلة فى مثل سن ابنتى .. وبحلقت فيها وهامى يقفز الى حلقى ، وقلت فى صوت مرتعش :

ــ مين دى يا هاشم ؟

وجاء ووقف وراء ظهرى ثم قال بلا مبالاة :

ــ دى واحده كنت أعرفها قبل ما اعرفك ..

واخذت ابحلق فى الصورة ..

انا اجمل منها ..

الف مرة ..

وابنتى أجمل من ابنتها ..

الف مرة ...

وعدت أقول لهاشم :

ــ وما قلتليش عليها ليه ؟

قال وهو يبتعد عنى :

ــ انتى عارفه انى ما احبش اتكلم عن حد من اللى عرفتهم ..

وبقيت ابحلق فى الصورة ..

وفى هدوء اخرجت من حقيبتى قلم الكحل ، وبدات أرسم فوق وجه المراة شنبا ، وذقنا .. ثم لغمطت وجه ابنتها بالسواد .. ثم القيت بها فى الدرج ..

ولم أهدا ..

الغيرة على هاشم تستبد بى .. والقصص التى ترويهــا البنات عنه لا تنتهى .. واجن عندما انصل به فى التليفون فلا اجده فى العيادة ، أو فى البيت .. لابد أنه مع امراة اخرى .

وفى يوم كنت فى شارع سليمان باشــا اشــترى بعض ما احتاج اليه ، ومررت من أمام العيادة .. وفجأة خيل الى ان

هاشم الآن مع امرأة .. من يدرى .. ربما لم تكن الغيرة وحدها هى التى شعرت بها ساعتها .. وانما احسست كأن من حقى أن أفرض عليه اكثر من حقوق اى امراة اخرى .. وايضا كنت فى شوق اليه .. فى شوق لأن التقى بأنفه الكبير ولو فى نظرة واحدة ..

ودون أن افكر صعدت الى العيادة ، واستقبلنى التومرجى المهذب ، واشار لى بيده الى غرفة انتظار السيدات ، فقلت له بحزم :

ـ انا مش عيانه .. انا قريبة الدكتور .. وعايزه اشوفه دقيقه واحده .. مسأله مهمه .. قول له أمينه ..

وقال التومرجى فى أدب وهو ينظر الى كأنه لا يصدقنى :

ـ اتفضلى انتظرى لغاية ما اديله خبر ..

قلت بحزم اكثر :

ـ لأ .. خش له دلوقتى .. هو عارف ..

وعاد التومرجى ينظر الى كأنه لا يصدقنى ، ثم دخل الى غرفة هاشم ، وعاد بعد لحظات يقول لى دون ان يفقد أدبه :

ـ الدكتور بيرجو سيادتك انك تنتظرى لما ييجى دورك ..

واحسست بدمائى ترتفع الى راسى ، ونار تلفح وجهى ، وقلت وانا ابتلع الاهانة :

ـ معلهش .. حابقى أتصل بيه فى التليفون ..

وخرجت ، وانا أحس بقطرات العرق تبلل ثيابى .. واتساءل .. ترى لو كنت زوجته ، هل كان يرفض مقابلتى .. وتجسم فى خيالى ساعتها وضعى بالنسبة لهاشم .. أحسست كأنى شىء يتسلل اليه فى الظلام .. وسأبقى دائما فى الظلام ... أحسست كأنى لا استطيع ان أصل اليه الا من الباب الخلفى .. وسأبقى

دائما اصل من الباب الخلفى .. وتمردت .. تمردت على هذا الوضع .. واحسست كأنى أحاول أن أنقذ نفسى .. بل وانتقم من هاشم الذى يرضى لى بهذا الوضع .. ولكن تمردى لم يستمر سوى لحظات ..

وعدت واتصلت به فى التليفون .. وسمعته يصرخ ، بمجرد أن سمع صوتى ، وقبل ان أتكلم :

ــ ازاى تسمحى لنفسك تيجى العياده .. انتى اتجننتى ..

وقلت وانا احاول ان أرفع صوتى على صوته :

ــ وازاى ما تقابلنيش ..

قال صارخا :

ــ انتى عارفه كويس أنى مش ممكن أقابلك فى العياده الا لو كننى عيانه .. ويوم ما حاتعيى لازم تستنى دورك ..

قلت وأنا أتراجع :

ــ ده أنا كنت عايزاك دقيقه واحده .

قال وهو لا يزال يصرخ :

ــ ولا نص دقيقه .. لو امى قامت من قبرها مش ممكن اقابلها فى العياده .. فاهمه .. العياده دى للعيانين بس ..

ثم ألقى سماعة التليفون فى وجهى .

وغضب ..

ولم أكن استطيع ان أحتمل غضبه .. حاولت .. احتملت يوما كلاما لم احادثه فى التليفون .. ولكنى لم احتمل يوما آخر .. ولم احتمل تصور أن أبقى غاضبة منه ..

واتصلت به فى اليوم التالى ..

ولكنه تدلل ..

مضى أسبوع وهو يتدلل .. لا يزال غاضبا ..

وبكيت له فى التليفون ..
وعاد الى لقائى ..
وعادت الأفواه الصغيرة تشرب .
ولكنى اغار عليه ..
اعصابى تعصرها الغيرة ..
وأحالتني الغيرة الى امراة .. نسيت دور الفتاة الذى كنت أعيش فيه عقب أن ولدت هدى .. انى امراة .. امراة تغار .. بكل ما فى المراة الغيور من عنف وجنون ..
واكتشفت ان الوسيلة الوحيدة لأرتارح من غيرتى هى ان املأ كل وقت هاشم .. الا اترك له دقيقة واحـدة تستطيع ان تعيش فيها امراة أخرى .. الا اترك منه نفسـا قادرا على أن يمتع به امراة أخرى ..
وكنت افعل المستحيل لألتقى بهاشم فى كل وقت يستطيع أن يلقانى فيه ..
ولكنى بدأت اصطدم بزوج أمى ..
انه يحاسبنى ..
انه يذكرنى فى كل دقيقة بأنى مطلقة ...
وهو يمنعنى من الخروج .. وأحيانا يدخل الى وأنا اتحدث فى التليفون ، ويشخط فى بلهجته العسكرية :
— كفايه بأه .. أنا عايز التليفون ...
وأمى تساعدنى أحيانا .. وفى اغلب الأحيان أحس انهـا تسلطه على حتى يحد من حريتى ..
ولكى اتخلص من زوج أمى ، بدأت أكثر من التردد على أبى ..
وكان أبى أيامها قد طلق زوجته الرابعة ، وتزوج الخامسة ..
امراة أصغر منه بحوالى عشرين عاما .. سمراء .. فقيرة ..

كانت تعمل مدرسة فى احدى المدارس الأهلية .. وأمى تقول ان أبى لم يتزوجها ، ولكنها كانت تعيش معه منذ عامين ، فى شقته الخاصة .. بعد ان طلق زوجته الرابعة ، جاءت لتعيش معه فى بيته .. بلا زواج ..

ولم اهتم كثيرا بكلام امى .. ولم اناقش فيه أبى .. ان حياة أبى لم تعد تصلح لأن يناقشها أحد .. انه يعيش لمتعته .. يشرب كل يوم زجاجة كونياك ، ويملأ كرشه بطعام دسم ، ويتزوج .. ويتكلم عن الجنس بصراحة ، ويطلق الكلمات الكبيرة ببساطة ومداعباته كلها — حتى لى — مداعبات جنسية جريئة .. و .. ويبيع كل عام خمسة افدنة من ارضه .. ولا عمل له ..

ورغم ذلك فهو انسان طيب .. ضعيف .. ويحبنى .. أنا ابنته الوحيدة .. يحبنى الى حد أن يحتفظ لى بغرفة فى بيته ، رغم انى لم اكن أقيم معه ..

حياته مختلفة تماما عن الحياة التى تعيشها أمى مع زوجها .. حياة ليس فيها تقاليد ، ولا روابط ، ولا مبادىء ، ولا كيان ، ولا طابع العائلة .. ولا أحد يستطيع أن ينقذه من هذه الحياة .. انه فى الخمسين من عمره ، ولا أمل فيه .. ولا أمل فى انقاذ بقية ارضه التى يبيع فيها ..

ولم أكن اتمنى أن أعيش حياة أبى .. كنت أحبه ، وأشفق عليه . ولكنى لا اتمنى أن أعيش حياته ..

ولكن ..

هاشم دفعنى الى هذه الحياة ..

ربما دون أن يقصد ..

بل وربما لم يكن يعلم شيئا عن حياة أبى .. ولكنى اندفعت الى هذه الحياة من أجله ..

بدات اتردد على أبى كثيرا ، كحجة اتخلص بها من رقابة زوج أمى .. وابقى معه ساعة ، أو اتناول معه طعام الغداء ، ثم اخرج الى لقاء هاشم .. دون ان يسألنى أبى الى اين أذهب .. ودون أن تفكر أمى فى أن تطمئن على بالتليفون .. فزوجها يحرم عليها ان تتحدث الى ابى الا فى المناسبات الرسمية .. كيوم زواجى .. ويوم طلاقى ..

ثم بدات أبيت عند ابى ، بحجة انه مشتاق الى ابنتى هدى .. وكنت احمل ابنتى ونقضى معه ليلة او ليلتين .. احاول خلالهما ان اكسب صداقة المراة التى تعيش معه .. سواء كانت زوجته أو لم تكن .. لم يكن يهمنى أن اعرف اى صنف من النساء هى .. لم ابحث فى اصلها وفصلها .. كان كل ما يهمنى ان اكسبها الى جانبى ، حتى تساعدنى فى حيلى ، وتتستر على جنونى .. ولم اكن ايامها أعلم انى كسبت الى جانبى ثعبانا ساما نفث السم فى حياتى كلها .. ثم أصبحت أذهب الى ابى وحدى .. اترك ابنتى عند أمى .. وأذهب لأنام عنده .. ولكنى لم أكن انام عنده .. كنت مع هاشم ..

وهاشم يأخذ كل هذا ببساطة ..

نقضى معا ليلة مجنونة ..

ثم يعود فى الصباح كما كان .. الدكتور هاشم .. الذى لا يشغل نفسه الا بمرضاه .. وليس فى عقله مكان الا لمرضاه ..

كنت اشعر انى استولى على حياته ...

وكنت اشعر فى الوقت نفسه ، بأنى أمزق حياتى .. بأنى اجرى فى طريق خطر .. وكنت احاول أن اقاوم .. بدات اقاوم .. ولكنها كانت مقاومة لحظات ، ثم تذوب ..

كنت قد بدات اتعود عليه ..

على هاشم ..

على هذا الجنون ..

وهو ايضا بدأ يتعود على ..

وتعودى يزيدنى ضعفا اليه ..

وتعوده يجعله يقبل على .. انه لن يجد فتاة مثلى .. فى سنى .. وفى جمالى .. ومن عائلة .. ومطلقة .. تعطيه كل هذا ..

و ..

وامى بدأت تيأس من ان اتزوج هاشم .. انها تسألنى كل يوم .. وتلح فى سؤالها .. وانا اصرخ فيها :

ــ يا ماما لازم تعرفى ان فيه ظروف تمنعه من انه يتقدم دلوقت .

وتقول امى :

ــ واحنا ذنبنا ايه فى الظروف دى .. الناس بدأت تتكلم .. ولازم نشوف لنا حل ..

والفت لها قصة .. قلت لها أن هاشم خطبه أبوه قبل أن يموت لابنة عمه ، ولذلك فهو لا يستطيع ان يتزوج الآن .. ولكنه يحاول ان يتخلص من هذه الخطبة .. انه لا يحب ابنة عمه .. ولا يريدها .. و .. و .. ويجب أن ننتظر .

ولكن امى ضاقت بالانتظار ..

وبدأت تبحث لى عن زوج ..

وانطلقت خالاتى الخمس يبحثن معها ...

وعندما تجتمع أمى وخالاتى للبحث عن عريس .. فلابد أن يجدنه ..

وأنا ساكتة ..

والواقع أن جزءا من عقلى كان ينبهنى الى مستقبلى .. كان يحذرنى من حبى لهاشم .. وكنت اتمنى أن ينتصر هذا الجزء علىّ ، وأن يملى على ارادته ..

وجاء العريس ..

مدحت ...

ضابط شاب ... فى الثلاثين من عمره ... وسيم ، قوى الشخصية ، تفوح منه رائحة الرجولة الطيبة الهادئة .. رآنى من بعيد على شاطىء ميامى ... وجاء يخطبنى ..

كل الذين خطبونى ، رأونى من بعيد ... لا أحد عرفنى من قريب .. وخطبنى ...

احسست انى سأحرم من هاشم ... ومن جنونى معه وقلت لامى :

ــ مش عايزه اتجوز دلوقتى .. انا ما بقاليش سنه مطلقه .. ومش عايزه أكرر غلطتى مع عبد السلام .. يعنى يعجبك اتجوز وانا باحب واحد تانى ..

وقالت أمى وعيناها تلمعان بذكائها :

ــ انتى مش بتقولى ان الدكتور بيحبك ؟

قلت فى اصرار :

ــ أيوه ..

قالت وذكاؤها يبتسم :

ــ خلاص ... لو كان بيحبك صحيح ... يبقى مش حايسيبك تتخطبى لواحد تانى ... حاييجى جرى ويخطبك ...

وابتسمت بينى وبين نفسى .. ابتسامة هزيلة حزينة ...

ان أمى لا تعرفُ هاشم ..

ورغم ذلك حاولت ..

ذهبت الى هاشم وابلغته انه تقدم لخطبتى احد الشبان ..

ونظر الى كأنه يفحصنى ..

ثم أطرق برأسه .. وخط حزين داكن يشق جبينه .. وقال :

— زعايزانى اعمل ايه ..

واحسست ساعتها بأنى انصب عليـه .. أحتال عليـه ..

وكلى اضطراب كأنى نشالة لا تزال تحت التمرين ترتعش يدها وهى تضعها فى جيب أول زبون .. وقلت كأنى أبرىء نفسى من تهمة النصب :

— أبدا .. عايزاك تسأل عليه ..

ورفع الى عينيه كأنه يتهمنى بالوقاحة ثم قال فى تهكم :

— حاضر .. حاسأل عليه ..

واقتربت منه ، وجلست على ركبتيه وقلت وأنا أقرب شفتى من شفتيه :

— انت زعلت ؟ ..

قال :

— لا . ابدا ..

وابتعد عن شفتى وقال وهو ينظر اليهما من بعيد :

— شفايفك دول ، بكره واحد تانى حايبوسهم ..

والقيت رأسى على كتفه ، وقلت والدموع تطفر من عينى :

— انت اللى عايز كده ..

قال :

— أنا مش عايز اتجوز .. انتى اللى عايزه تتجوزى ..

قلت :

— غصب عنى ..

قال وهو يتنهد :
— خايف ..
ولم اسأله لماذا لا يتزوجنى ، ما دام يغضبه أن أتزوج غيره .. كنت أعرف رأيه مقدما .. إنه لا يخدعنى .. لا يعدنى .. يستغنى بوقاحته وغروره عن الخداع والكذب ..
وقد سأل عن مدحت فعلا .. كان له صديق من ضباط الجيش سأله عنه .
وعلم مدحت أن الدكتور هاشم يسأل عنه .. فسأل أهلى .. .. فأنكر الجميع أنهم يعرفون الدكتور هاشم .. وسأل أكثر حتى التقط أثناء الكلام الكثير الذى يتردد عنى وعن هاشم ..
وتراجع فى خطبتى ..
ذهب ..
ولا زلت حتى اليوم أحس بالندم والحسرة يشقان صدرى كلما تذكرت مدحت .. كان رجلا .. وكان وسيما .. وكان طيبا . انه خير من أرادنى حتى اليوم .. وأرادنى زوجة ..
وبعد يومين ..
يومين فقط ..
كنت فى طريقى لزيارة أبى .. وخطر لى أن أذهب اليه عن طريق الزمالك .. ثم خطر لى أن أمر من أمام العمارة التى تضم شقة هاشم .. لا أدرى لماذا .. ربما كان هناك احساس فى قلبى يدفعنى الى المرور من أمامها .. وكانت الساعة الرابعة .. نفس الموعد الذى تعودت أن ألتقى فيه بهاشم ..
وأمام باب العمارة ..
وجدت سيارته ..
وارتعشت ..

ماذا يفعل هنا ؟ ..

ومع من ؟ ..

وأوقفت التاكسى .. وترددت .. والنار تلسعنى فى كل مكان منى .. فى عينى .. فى شفتى .. فى قلبى .. نار الشك .. الغيرة ..

وقفزت من التاكسى .. كأنى أهرب من النار ..

وصعدت ..

وضغطت على الجرس بيد ترتعش .. ودمائى كلها هاربة منى .. أحس بقشعريرة تسرى فوق جلدى ..

وفتح هاشم الباب .. بعد مدة .. مدة طويلة ..

مرتديا القميص والبنطلون ..

وقال وهو ينظر الى بوجه مكفهر ، ويسد الباب بقامته :

— ايه اللى جابك ؟ ..

قلت وأنا لا أزال أرتعش .. وصوتى يرتعش :

— عاوزة أخش ..

قال وهو لا يزال يسد الباب بقامته :

— مش معقول يا أمينة اللى بتعمليه ده و ..

وقاطعته وأنا أحس بعينيه جاحظتين :

— من فضلك خلينى أخش ..

ورأى هاشم سحب الجنون الأصفر متجمعة فوق وجهى ، والتفت الى أبواب الشقق المجاورة ، ثم كأنه خاف الفضيحة أزاح نفسه عن الباب وتركنى أدخل ..

وتلفت فى الصالة الخارجية ..

ثم جريت الى غرفة النوم .. كأنى أجرى الى النار ..

ورأيتها ..

كانت واقفة فى ركن الحجرة .. مرتدية ثيابها كلهـــا .. صغيرة ليست أصغر منى .. جميلة .. ليست أجمل منى .. وترتعش من الخوف ..

وصرخت فيها . .وهاشم ورائى :

ــ بتعملى ايه هنا ؟ ..

ولم ترد على .. لا تزال ترتعش .

وقال هاشم فى هدوء :

ــ ما تزعقيش . .وكلمينى انا ..

ولكنى عدت أصرخ فى الفتاة وانا انشب عينى فى وجهها :

ــ انتى مش عارفه انه بيحب واحده .. بيحبنى انا ..

وجذبنى هاشم من ذراعى جذبة قوية ليبعدنى عنها ، قائلا :

ــ قلتلك ما تزعقيش ..

وانتهزت الفتاة فرصة ابعادى عنها .. وجرت الى الباب .. خرجت ..

والتفت الى هاشم وانا أصرخ :

ــ انت مجرم .. انت سافل .. عايز ايه اكتر من كده .. أعمل لك ايه أكتر من كده ..

وسحابة حمراء تملأ عينى .. واعصابى كلها السنة من النار ..

واخذت أطوف فى الحجرة كالمجنونة ، وانا لا زلت اصرخ :

ــ انت مجرم .. انت سافل ..

ثم رفعت آنية الزهر ، وحطمتها على الأرض ..

ورفع هاشم كفه وصفعنى صفعة قوية .. أوقعتنى على الأرض .. بجانب الآنية المحطمة ..

وتعلقت بساقيه وهو واقف منتصب فوق جسدى الملقى تحت قدميه ، قلت وانا ابكى كل دموعى :

— ما تعملش فى تانى كده يا هاشم .. احلف انك مش حاتعمل فى كده تانى .. مش عايزاك تعرف واحده غيرى ابدا .. ابدا ..

وسقط بجانبى على الأرض ، واخذنى بين ذراعيه وقال كلمته التى بقولها دائما :

— اننى مجنونه ..

وبحثت عن شفتيه ، كأنى اريد أن أطمئن انهما لا زالتا لى .. والتقيت نفسى بينهما .. كل أعصابى .. كل نارى ..

وضعنا فى لحظة جنون ..

وقلت وانا مسترخية بجانبه ، واعصابى تتنهد :

— عملت كده ليه يا هاشم ..

قال وهو يدخن سيجارته :

— انتى السبب ..

قلت فى دهشة :

— انا ! ؟ ..

قال :

— مش معقول اعرف انك بتتخطبى وبعد كده عايزانى اقعد لوحدى .. كنتى عايزانى اعمل ايه .. اقعد اعيط .. ولا انتحر ..

وصدقته ..

وابتسمت فى راحة ..

وقلت انا وابتسامتى :

— ومين دى ؟ ..

قال :

ـــ راحدة ..
قلت :
لازم اعرف مين دى ..
قال وهو يدير وجهه الى الحائط :
ـــ راحده مافيش بينى وبينها حاجه ..
قلت :
ـــ واللى مافيش بينك وبينها حاجه ، جايه هنا تعمل ايه ؟
قال وهو يزفر أنفاسه فى ضيق :
ـــ كنت متضايق .. وهى كمان كانت متضايقه ..
ثم التفت الى وقال وهو يبتسم :
ـــ خلاص .. انسى كل حاجه ..
قلت :
ـــ يعنى مش حاتعرف حد تانى أبدا ..
قال :
ـــ ابدا ..
قلت وانا أبتسم له :
ـــ وانا كمان مش حاتخطب تانىابدا ..

وعندما عدت يومها الى البيت بكيت .. بللت الليل كله بدموعى .. لا ادرى لماذا .. ولكنى كنت احس بأنى ضعيفة .. ضعيفة .. اضعف مما كنت ..

وحافظت على وعدى ..

رفضت كل الخطاب الذين جاءت بهم امى وخالاتى .. كنت فى الأول اتهرب بأعذار ملفقة .. ثم بدأت اتحدى .. لا اريد أن أتزوج ..

واصرارى هذا فضح حبى لهاشم .. عرفته خالاتى الخمس

.. وعرفته كل سيدات العائلة .. وكلهن فوق راسي يحذرنني .. ويؤكدن لي ان هاشم لن يتزوجني .. ويعرضون في كل يوم خطيبا جديدا .. ويذكرنني بابنتي .. ومستقبلها ... وكلام الناس عن أمها ....

وانا اجن ..

والحياة تضيق بي .. والجميع ضدي .. يخنقون أنفاسي .. ويخنقون حريتي ..

أصبحت اكره كل شيء ، الا لحظات لقائي بهاشم ..

كرهت حتى ابنتي .. لم أعد اطيق بكاءها .. ولا اطيق الاهتمام بها .. وكنت أضربها .. بلا سبب كبير يستحق الضرب .. كانت مظلومة معي ..

وأعصابي تالفة ..

ثم ..

خطر لي خاطر مجنون ..

وجريت الى هاشم وقلت له وأنا أحاول ان افكر في هدوء .

— اسمع يا هاشم . انا حاقول اننا مخطوبين ..

وقال وهو ينظر في دهشة :

— تقولي لمين ؟ ..

قلت :

— للناس اللي بتجنني .. انتمش عارف بيعملوا في ايه ، كل ساعة يجيبولي سيرتك .. وكل ساعه عايزين يجوزوني .. لو قلت اننا مخطوبين ، على الأقل حايبطلوا يجيبولي عرسان ..

قال في برود :

— بس احنا مش مخطوبين ..

قلت :

ــ عارفه .. عارفه اننا مش مخطوبين .. انما حاقول كده ..

قال كأنه يفحص مريضا :

ــ بس ده مش حايعمل حاجة .. مش ممكن نقول ان احنا مخطوبين .. واحنا بنقابل بعض فى السر .. واهلك ما يعرفونيش ، ولا انا اعرفهم ..

قلت فى اصرار :

ــ حاقول اننا مخطوبين فى السر ..

قال :

ــ وبفتكرى الناس حاتصدق ..

قلت :

ــ ما يهمنيش الناس تصدق ، انما يهمنى انى اقول كده ، علشان ما حدش يكلمنى ..

قال :

ــ بس انا مش موافق .. واللى حايسألنى حاقول له اننا مش مخطوبين ولا حاجه .. واكتر من كده .. انا باقول اننا ما نعرفش بعض خالص ..

قلت :

ــ نقول اللى انت عايزه .. وانا اقول اللى انا عايزاه ..

وهز كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ــ يا مجنونه اعقلى .. انتى ما تقدريش تعيشى فى كذبه ..

ولكننى صممت ..

صممت على ان اعيش فى كذبة ..

كذبة كبيرة ..

اعتقدت أنى حللت مشكلتى عندما بدأت أذيع بين صديقاتى انى مخطوبة لهاشم فى السر .. وانه ينتظر ان يفسخ خطبته الى ابنة عمه ليعلن خطبتنا .. وانتشرت هذه الكذبة .. وكبرت .. الى حد انى انا نفسى بدأت اعيش فيها .. وبدأت اواجه الناس بلا خوف .. وبلا خجل .. واعلن علاقتى بهاشم صراحة .. وأيدت الكذبة بدبلة فضية اشتريتها ووضعتها فى اصبعى .. واترك الناس يعتقد ان الدبلة الفضية هى دبلة من البلاتين .. واترك عاملات الدكاكين فى شارع سليمان باشا وقصر النيـل ينظرن الى الدبلة ويقلن وابتسامة حسد كبيرة تملأ شفاههن :

ــ مبروك .. اتخطبتى ؟ ..

وأرد وأنا أسدل جفونى فوق عينى فى خفر :

ــ تقريبا ..

ويقلن :

ــ الدكتور هاشم .. مش كده ؟

واقول وأنا افتعل الدهشة :

ــ عرفتم منين ؟ ..

ويقلن :

ــ دى البلد كلها عارفه ..

وأبتسم .. واسكت .. وفى قلبى فرحة كبيرة . كأنى قد خطبت فعلا .

ولم اكن ادرى سر هذه الفرحة الكبيرة .. لم اكن ادرى سر هذا الجنون الذى دفعنى الى اختلاق هذه الكذبة .. دفعنى لأن ابنى من خيالى بيتا من القش أعيش فيه ، لا يلبث ان يحترق بعود ثقاب واحد .. ربما لأنى أيامها كنت احس بالنقص وانا أعطى نفسى لرجل لا يتزوجنى ولن يتزوجنى ، فأردت أن أعوض هذا

النقص بكذبة .. وربما لانى كنت ارى فى عيون الناس الذين يعرفون حكايتى مع هاشم ، نظرة تجرحنى ، فأردت أن أملأ عيون هؤلاء الناس بالتراب .. وربما لأنى فعلا كنت قد ضقت بمحاولات تزويجى .. والكلمات التى تثير أعصابى .. مش حا نفرح بيكى بأه يا ميتو .. و .. ما تشدى حيلك يا ميتو وتجيبى لنا عريس .. و .. عقبالك يا ميتو .. و .. و .. الكلمات التى تجننى وتشعرنى بنقصى ، فأردت ان اسكتها بهذه الكذبة .

المهم أن هذه الضجة الكبيرة التى أثرتها ، لم يصل منها الى هاشم سوى صدى خافت .. فهاشم لا يعيش فى المجتمع الذى أعيش فيه .. لا يذهب الى النادى .. ولا يتردد على دكاكين سليمان باشا وقصر النيل .. ولا يعيش على شاطىء ميامى فى الصيف . انه يعيش معظم وقته فى عيادته ، لا يرفع رأسه من فوق مريض الا ليحنيها فوق مريض آخر ... ومرضاه يحترمونه الى حد ان واحدا منهم لا يجرؤ أن يثير أمامه موضوعا يتعلق بحياته الخاصة .. وأصدقاؤه لا يسألونه لانهم يعرفون انه لن يتزوج .. لا انا .. ولا غيرى .. وفى المرات القليلة التى وصلت فيها الاشاعة الى اذنيه ، كان يهز كتفيه فى غرور ، ويردد الشعار الذى اطلقه على :

— دى مجنونه .. ومش أول ولا اخر مجنونه ..

ولكن الاشاعة وصلت الى أذنى اخته وجاء يومها الى لقائى ، وهو غاضب محتقن الوجه وقال فى حدة :

— اسمعى يا أمينه .. انتى لازم تبطلى حكاية انتا مخطوبين دى .. كفايه بأه ..

وقلت وانا اتحداه :

ـــ انا ما بقولش حاجه .. الناس هى اللى بتقول .. ما فيش حاجه بتستخبى .. عايزنى اسكت كلام الناس ازاى ؟ .

قال وهو ينظر الى فى زهق :

ـــ انا عارف انك انتى اللى مطلعه الاشاعه دى .. ولازم تكذبيها ..

قلت وانا اصرخ :

ـــ عايزنى أكذب واقول ايه .. اقول انا ماشيه معاك بس .. على الأقل لما الناس تقول اننا مخطوبين ارحم من لما تقول انى الميترس بتاعتك .. عشيقتك ..

قال وهو يتراجع كأنه اشفق على حالى :

ـــ انا ما يهمنيش الناس يا أمينه .. انت اللى تهمينى .. والكلام ده بيضرك اكتر ما بيضرنى انا .. انا على الأقل راجل .. ما يهمنيش .. انما انتى .. انا عايزك تواجهى الحقيقه .. وتواجهى الناس .. ما تضحكيش على نفسك .. ولا على الناس .. علشان تقدرى تعرفى اذا كنتى حاتستحملى والا لا .. علشان تقدرى تعرفى انتى ماشيه فين ورايحه فين ..

قلت :

ـــ واذا ما استحملتش الوضع اللى احنا فيه .. حاتعمل ايه .. حاتتجوزنى ..

قال وهو ينتفض من جانبى :

ـــ لا .. لو ما استحملتيش .. لازم تسيبينى ..

قلت وانا ابتسم ابتسامة مسكينة :

ـــ لو كنت أقدر اسيبك كنت سبتك من زمان ..

وانهت دموعى نقاشنا ..

وامى ..

لقد كانت تسمع كلام الناس ..

وتهز رأسها فى أسى .. ولا تعرف كيف ترد عليه .. أحيانا كانت تشاركنى فى كذبتى .. وتقول :

ــ انما لسه ما تقدمش رسمى ..

وأحيانا تقول :

ــ اسمل عيلته كلها واقفه فى وشه ..

وأحيانا كانت تثور وتصرخ :

ــ ده كلام فاضى .. ما حصلش .. انتم عايزين توقفوا سوق البنت ولا ايه ؟

ثم كانت تتوسل الى بكل دموعها .. بصراخها .. بابنتى .. بأختى الصغيرة منها ، التى قد يؤثر كلام الناس عنى . على مستقبلها .. تتوسل الى ان اقبل الزواج من واحد ممن تأتى بهم الى ، هى وخالاتى الخمس .. وان اترك هاشم ..

وكان توسلها يفيقنى من الكذبة الكبيرة التى أعيش فيها .. كنت أحس بالغشاوة ترتفع عن عينى لأرى امامى طريقا موحشا مقفرا . واقرر فى لحظة ان انسى هاشم .. ثم أعود فى لحظة اخرى . واتساءل .. لماذا لا اتزوج ، وأظل على علاقتى بهاشم .. ولكن .. هذه القرارات كانت لا تبقى فى راسى سوى لحظات .. ثم تعود الغشاوة على عينى .. وارى نفسى فى بيت القش الذى بنيته من أوهامى .. من كذبى .. حرة .. منطلقة مع هاشم .. والناس تتحدث عن خطبتى الموهومة اليه .. واعود واتحدى أمى ..

ثم ..

تدخل عبد السلام ..

زوجى السابق ، وابو ابنتى ..

وكان عبد السلام يأتى لزيارتنا كل اسبوع تقريبا ليرى ابنته .. وكان غالبا لا يجدنى فى البيت .. كان يأتى فى الصباح فلا يجدنى .. ويأتى فى المساء فلا يجدنى .. ولم اكن أهرب من عبد السلام .. ولكن كان هذا هو حالى .. لا اطيق أن أبقى فى البيت ، ولا من أجل ابنتى .. وبدأ عبد السلام يعترض .. انه يريد لابنته اما مثالية .. أما محترمة .. أما ترعى البنت وتبقى معها .. وعندما واجهنى باعتراضه ، ثرت فى وجهه قائلة :

ـ انت فاكر نفسك لسه جوزى ولا ايه .. ما لكش دعوى بى .. ما حدش له دعوى بى الا بابا وماما ..

ولكن عبد السلام لم يسكت ..

كان يرشو مربية ابنتى حتى يعلم منها أخبارى .. ونفخ اذنيه على الاشاعات التى تدور حولى والتى لم تكن قد وصلت الى السويس .. وسمع بحكاية الدكتور هاشم .. ثم حاول أن يناقشنى فيما سمعه .. وعدت أثور فى وجهه :

ـ انت مالك ومالى .. ايه البلاوى دى ..

وقال وهو يحاول ان يضبط أعصابه :

ـ ما تنسيش انك أم بنتى .. وحاافضل فى حياتك طول ما البنت عايشه .. والبنت لازم تتربى .. ولازم امها تبقى انسانه محترمه ... اذا ما عرفتيش تربيها أخدها أربيها انا ..

وخفت .. احسست كأنه يمد يده لينتزع قطعة من لحمى .. وصرخت :

ـ ما تقدرش .. ما تقدرش ..

وقال فى ثقة وتحد :

ـ اقدر .. وأنا مش حاكلمك بعد كده .. انما مش حاسكت .. اتفضلى وريني حاتربيها ازاى ..

وتركني يومها وأنا ارتعد ..

ولكنه لم يحاول ان يأخذ منى ابنتى .. كل ما فعله انه قطع عنى النفقة التى كان يدفعها لى ..

كان يدفع لى خمسة عشر جنيها فى الشهر .. وكنت فى حاجة الى هذه النقود .. فابى لا يدفع لى سوى خمسة جنيهات فى الشهر كمصروف خاص .. ويدفع لى نفقات كسوتى .. ولم يكن مستعدا الآن يدفع اكثر .. ولم اكن استطيع أن اطلب من زوج امى ان ينفق على ابنتى .. كفاه انه يتكفل بى ، ويؤوينى من أجل خاطر امى . ثم انى لم اكن أنفق الخمسة عشر جنيها كلها على ابنتى ، كنت أنفق جزءا كبيرا على نفسى .. على ثيابى .. وزينتى ..

واحترت ..

وخصصت لى امى خمسة جنيهـات بعد ان انقطعت عنى نفقة ابنتى .. أصبح لى دخل خاص يصل الى عشرة جنيهات ..

ولكنى لم اكتف ..

انى مغتاظة .. الغيظ يفرينى .. احسست كأن عبد السلام يريد أن يذلنى بهذه النقود .. يريد أن يخضعنى لارادته .. ولكن .. لا .. لن أخضع .. لن اذل ..

وقلت لهاشم ..

قلت له وسحب الغيظ تكسو وجهى :

— انا حارفع قضيه على أبو بنتى .. تصور انه قطع عنى نفقة البنت ..

وقال فى بساطة :

— يا شيخه بُلاش بهدلة .. ما فيش واحده كويسه تدخل المحاكم الشرعيه ..

قلت فى حدة :

ـــ امال اعمل ايه ؟ . .

قال فى نفس البساطة واللامبالاة :

ـــ ولا حاجه . . تلاقيه عايز يضـــايقك . . احسن طريقه انك تقنعيه بانك مش متضايقه . .

قلت ثائرة اتهمه بأنه لا يحس بمشكلتى :

ـــ لكن انا محتاجه للفلوس دى . .

قال وهو يبتسم :

ـــ خديهم منى . . انتى نسيتى انى مسئول عنك . .

وكنت اعرف انه سيعرض على هذا العرض . . بل انى لم افاتحه فى الموضوع الا لأتلقى منه هذا العرض . .

ولم اتكلم . .

لم ارفض . .

ولم اقبل . .

وعاد يقول لى فى بساطة كأنه يتفق معى على أن اكون ممرضة فى عيادته :

ـــ انا حاديكى خمسه وعشرين جنيه . . خمستاشر للبنت . . وعشره لك . . و . .

وقاطعته :

ـــ مش ممكن يا هاشم . . وانت ذنبك ايه ؟

قال :

ـــ ده يريحنى اكتر . . اقدر انظم نفسى بالشكل ده اكتر . . ويريحك انتى كمان . . وبنظم عيشتك . .

قلت :

ـــ لا . . مش عايزه . .

قال :

ــ بش احسن ما اشوفك منظمة قدامى فى المحاكم .. ما تنسيش انك بتاعتى .. وانا مسئول عنك ..

وأدرت عنه عينى ، وبقيت ساكتة ..

ووضع يده تحت ذقنى ، ورفع وجهى اليه وقال وهو يبتسم

ــ انتى بتاعة مين ؟

قلت فى صوت خفيض :

ــ بتاعتك ..

واخذت منه اول مرتب لى .. خمسة وعشرين جنيها ..

ولم تكن هذه اول نقود آخذها من هاشم .. فمنذ ان اعطانى خمسين جنيها كهدية يوم ولدت ابنتى .. وهو يعطينى هدايا كثيرة .. كلها نقود .. ودائما يكرر انه لا وقت عنده ليطوف بالدكاكين وانى يجب أن اشترى هديته بنفسى .. أعطانى مرة ثلاثين جنيها لاشترى خاتما .. واعطانى مرة عشرة جنيهات لأشترى ما شاء الله ذهبية .. واعطانى مرة خمسة جنيهات لأركب تاكسى .. و .. و .. انا ضعيفة أمام النقود .. لا زلت الى اليوم ضعيفة امامها .. لا استطيع أن اشد يدى عنها .. وكنت اقبل نقود هاشم على انها مرتب .. نفقة .

هل تساءلت نفسى لماذا اقبل هذه النقود .. نظير ماذا .. ماذا اعطيه بدلا منها ؟ ..

ابدا ..

فلم اكن احس انى أعطيه شيئا ..

كنت دائما احس انى آخذ منه ..

كنت اشعر بحاجتى اليه ، اكثر مما اشعر بحاجته الى .

رغم صور لى وهمى ان هذا المرتب الثابت الذى بدات

..صاه منه ، قد جعلنى كأنى زوجته .. ما الفرق بينى وبين الزوجات .. لا شيء .. الزوجة ، امراة تعيش مع رجل وينفق عليها .. وانا اعيش مع هاشم وينفق على .. ربما لم تكن حياتى كحياة الزوجات .. ولكن المبدا واحد .. الأساس واحد .. المنطق واحد ..

لم يخطر على بالى أيامها ، ان هذه النقود ستعودنى على حياة لها مطالب خاصة ، لا استطيع ان احققها الا عن هـذا الطريق .. طريق مد يدى الى الرجال .. لم اتصور انى ابيع بهذه النقود كرامتى .. لا .. ليس جسدى .. فجسدى قدمتـه لهاشم من زمان مجانا .. ولكنها كرامتى .. وعندما استنزف هاشم كرامتى ، لم تعد لى كرامة امام احد ..

كل هذا لم يخطر لى ..

بالعكس ..

لقد شعرت بقوة .. قوة كبيرة .. قوة استطيع ان استغنى بها عن اهلى كلهم وعن الناس كلهم .. لم أعد ضعيفة .. لم بها عن اهلى كلهم وعن الناس كلهم .. لم اعد ضعيفة .. لم اعد خائفة .. وانطلقت فى تصرفاتى .. اكثر جراة .. واكثر وقاحة ..

وشجعنى على احسـاسى بالقوة ان هاشـم لم يحاول ابدا ان يضع لهذه النقـود التى يعطيها لى ، معنى يمس كرامتى ، كان دائما مهذبا .. وكان يشعرنى دائما انى صاحبة حـق .. وكان كريما .. انه فى الواقع لا يقيم وزنا للنقود .. انه يكسب كثيرا .. وكل ما اخذه منه لا يحس به .. كأنه لا يتعب ليحصل على هذه النقود ..

وبدات انفق على نفسى وعلى ابنتى باسراف ..

ولاحظت امى ..

وكان يجب أن اقول لها شيئا ..

قلت لها انى اخذ هذه النقود من ابى ..

ونظرت الى امى كأنها لا تصدقنى ، وقالت وهى تمصمص شفتيها :

ــ من امتى ابوكى يا ست ميتو ، بيدى لحد فلوس .. ده بقى له سنين ما شفناش منه غير الخمسة جنيه اللى بيدفعهم لك ..

قلت فى براءة :

ــ ده بابا تغير خالص يا ماما .. مراته الجديده عملت منه انسان جديد .. وبتحبنى خالص .

وعادت امى تمصمص شفتيها ، وقالت وهى تتنهد :

ــ يمكن يا بنتى .. يمكن ..

ومنذ ان بدات اخذ مرتبى من هاشم ، اصبحت اخاف عليه اكثر .. اخاف ان يضيع منى ..

لقد اصبح هاشم حبى وحياتى ..

ولو ضاع منى هاشم ، فلن يضيع حبى وحده .. حياتى ايضا ..

وبدأت افرض نفسى عليه اكثر .. واحاول ان اخذ منه اكثر .. واغار الى حد الجنون .. كنت اذا لم اجده فى بيته او عيادته .. فى اى ساعة من ساعات النهار ، انطلق كالمجنونة واركب تاكسى .. واذهب الى شقته .. فاذا لم اجده هناك ، اخذت اطوف بالتاكسى فى شوارع القاهرة ابحث عن سيارته .. بل انى اصبحت اتعمد ان اسأله عن حياة اصدقائه .. واسأله اين تقع شقة كل منهم الخاصة ، لابحث عنه فيها .. او على الاصح ابحث عن سيارته امام بابها كلما اختفى عنى ..

وهاشم ايضا تغير منذ قرر لى هذا المرتب .. اصبح اكثر

اهمالا لى .. كأنه اصبح واثقا من حاجتى اليه .. اصبح واثقا انى أعيش فى جيبه .. بين اصابعه .. فبدا أكثر جفـاء كلما حادثنى فى التليفون .. بل انه تعود أن يرفع سماعة تليفونه الخصوصى فى العيادة ، حتى لا ازعجه .. واصبح لا يلقـانى الا اذا لم يجد شيئا يفعله .. لم يعد يفضل علىّ مرضاه فحسب .. انه يفضل اصدقاءه .. وكتبه .. واخته .. وعائلته .. فاذا ما التقينا ، كان دائما على عجل .. يأخذنى بسرعة .. بل اصبح يرفضنى، كلما عرضت عليه ان اقضى الليلة معه ، فى المرات التى ادعى فيها انى انام فى بيت أبى .

وربما لم يهملنى أيامها الى هذا الحد .. فقد كانت لا تزال لنا ليال جميلة .. بل انى سافرت معه الى الاسكندرية عـدة مرات ، لنقضى يومى الخميس والجمعة .. واقمنا معا فى غرفة واحدة فى فندق العجمى .. وكان يوقع لنا فى دفتر الفندق .. هاشم محمد عبد اللطيف وحرمة .. يحذف لقب « دكتور » ، ويضيف اسم « محمد » .. وانا « حرمه » .. وقد كنت أحس فعـلا فى تلك الأيام بانى حـرمة .. كنت أراه فى البيجـاما .. وكنت اراه وهو يدخل الحمام وكنت اراه وهو يحـلق ذقنـه .. وانام بين ذراعيه .. انفاسه تلفحنى ، وذراعه الثقيلة فـوق ظهرى . واصحو فى الليل واقضى لحظات وانا أتطلع الى وجهه النائم .. واضحك لعينيه المنتفختين .. انهما اكثر انتفاخا وهو نائم .. واضحك لأنفه الكبير المتربع فوق وجهه كتمثال نهضـة مصر .. ثم اوسد راسى على كتفه وانام .. كل عصب فى نائم مستريح شبعان .. واصحو والفرحة تملأ قلبى .. ونعيش فى قبلات كثيرة ، حلوة ، هادئة .. ثم اقوم لأمثل دور الزوجة .. الزوجة المثالية .. أعد له الحمام .. واغسل له أدوات الحلاقة

.. واقف بين ذراعيه وهو يرتدى ثيابه .. وأصب له الشاى ونحن نتناول الافطار فى شرفة حجرتنا .. ثم نخرج معا الى الشاطىء .. وأتباهى به أمام الناس .. وأتعمد ان أضع ذراعى فى ذراعه ، لألفت الناس الينا ، كأنى أصرخ فيـــهم .. هـــذا الرجل ملكى .. ملكى أنا .. وكان الرجل يتضايق كلما وضعت ذراعى فى ذراعه .. كنت احس به وهو يحاول أن يسحب منى ذراعه ، بحركة مهذبة حتى لا يجرحنى .. يفتعل انه يريد أن يشعل سيجارة .. او ينحنى ليعبث بالرمل ، فقط ليشد ذراعه من ذراعى . كأنه يريد ان يقول للناس .. هذه المراة ليست لى .. التقينا صدفة .. ولكنى كنت أعود واصر على أن اضع ذراعى فى ذراعه ..

كنا نعود الى القاهرة ..

ولا تكاد السيارة تتحرك بنا فى طريق العودة .. حتى يبدأ الحلم الجميل يطير منى .. واواجه الحقيقة .. اواجه وحدتى فى غرفتى .. واواجه ضياعى .. وحيرتى .. كانت الايام التى تعقب هذه الرحلات التى يأخذنى اليها هاشم ، اقسى وأمر من بقية الأيام .. أيام يتألم فيها جسدى وهو راقد فى الفـــراش وحده بعد أن تعود على الذراع الثقيلة .. ويتألم قلبى وأنا أكتشف انى لست زوجة هاشم .. لست سوى جريمة تزوير فى دفتر أحد فنادق الاسكندرية .. ويتألم فيها حيـــالى لأنه يصـــطدم بالجدران الفارغة التى تحيط بى .. يتخبط بينها كالعصـــفور الصغير . يحاول أن ينطلق الى هاشم ..

ويعود الخوف يستبد بى ..

الخوف من أن افقد هاشم يوما ..

افقد حبى .. وحياتى .

والخوف هو الذى يصور لى أن هاشم قد تغير .. وانه يملنى .. وانه لا يقبل على كما عودنى ..

والخوف يدمعنى الى شىء آخر ..

الى النهم ..

لم يعد يكفينى شىء .. اصبح كل شىء يفقد قيمته عندى بمجرد أن أطبق عليه يدى .. أصبحت كالاناء المثقوب كل ما أضعه فيه يضيع .. أفقده .. أفقد احساسى به ..

حتى النقود ..

لم تعد تكفينى الخمسة والعشرون جنيها التى اخذها من هاشم .. أريد أكثر .. كنت أحس فى كل شهر أنى سأفقد هاشم فى الشهر التالى .. فأحاول أن آخذ كل ما أستطيعه .. وتجرأت عليه .. ولم يكن هاشم يرفض أبدا أن يعطينى .. وظل يعطينى ببساطة ورقة .. ولكنى لم أطلب ببساطة .. كنت أتربص حتى انتقى اللحظة التى أطلب فيها .. وكنت أكذب عليه ، وألفق الأسباب .. واكتشفت أن انسب اللحظات التى يمكن أن أطلب فيها .. ونحن فى الفراش .. بعد أن يأخذنى .. وهو مسترخ .. مستريح .. سعيد فى هدوء .. سعيد برجولته .. سعيد بأنوثتى .. وقد اكتشفت فيما بعد .. فى حياتى الضائعة .. أن هذه ليست انسب اللحظات بالنسبة لكل رجل أريد منه شيئا .. لحظة غرور الرجل ، وتباهيه برجولته .

ووصل متوسط ما آخذه من هاشم الى خمسين جنيها فى الشهر ..

خمسة وعشرون جنيها ، مرتب ثابت ..

والباقى تناتيش ..

واسرفت فى الانفاق على نفسى .. خصوصا على ثيابى

.. وريسى .. وكان هذا الاسراف يعوضنى عن نقص أحس به ويضعضع من شخصيتى .. نقص أحس به فى عيون صديقاتى .. فى عيون كل الناس الذين يعرفون قصتى مع هاشم .. يعرفون أنى لست زوجته .. فقط عشيقته .. وأحس بألسنتهم تفرقع وراء ظهرى ، كلما مررت بهم .. كنت اريد أن اثير الحسد فى صدور هؤلاء الناس .. يحسدننى على ثيابى ، وترفى .. ما دمت لا استطيع أن اثير فيهم الحسد على مصيرى ..

وكنت أسعد فعلا عندما ألمح نظرات الحســد فى عيون صديقاتى وقريباتى ، كلما ظهرت أمامهن بثوب جديد ، أو حلية جديدة .. انهن يتحدثن عن جنونى .. يتحدثن عن الشرف .. عن المبادىء .. ولكن عيونهن تلعق حذائى حسدا ..

نعم ..

لقد أصبحت اكره الناس ..

كل الناس ..

حتى الذين يعتقدون انى مخطوبة لهاشم ..

وكراهيتى للناس تعقدنى أكثر .. وتزيدنى خوفا .. وأحاول أن أهرب من الخوف ، فأندفع اكثر .. اكثر بجاحة .. وأكثر وقاحة ..

ولم تسكت أمى وهى ترى اندفاعى ، وترى مظاهر الاسراف التى أعيش فيها .. وشدتنى من يدى الى غرفتى . واغلقت الباب وراءنا .. وجلست على السرير ، مكانها المفضـــل كلما ارادت أن تحل مشكلة من مشاكلها .. واجلستنى بجانبهـــا . وقالت فى حزم :

— نيتو .. انا مش حاقدر أسكت عليكى اكتر من كده ..

جوزى كل يوم يعمل لى هليله من تحت راسك .. وخلاص ما بقتش قادره ادافع عنك ولا عن تصرفاتك ..

قلت وانا اسخر منها بوقاحة :

ــ اللى خلاكى ساكته لغاية دلوقتى .. يخليكى ساكته على طول ..

قالت وهى تصفعنى بعينيها :

ــ انا ما كنتش ساكتة .. أنا كنت مصدقاكى .. انما خلاص دلوقتى مش قادره أصدق ..

قلت بلا مبالاة :

ــ مش قادره تصدقى ليه ؟

قالت وعيناها فى عينى :

ــ قولى لى .. بتجيبى الفلوس منين ؟

وببساطة وقحة قلت وعيناى ثابتتان :

ــ من هاشم ..

وفوجئت .. تقفز حاجباها فوق عينيها كأنهما جناحا عصفور مذعور . وقالت وهى تخبط على صدرها :

ــ يا خبر .. ده يبقى مال حرام يا بنتى ..

قلت وانا اضحك على سذاجتها :

ــ حرام ليه .. هو لما الواحد يحب واحده ويجيب لها هديه يبقى حرام ..

قالت ووجهها لا يزال محتقنا :

ــ بس دى مش هديه .. دى فلوس .. فلوس ..

قلت :

ــ الهديه يعنى فلوس .. لو اشترالى حتة شيكولاته يبقى

منه ادانى عشره صاغ .. وهو ما عندوش وقت ينزل يشترى حاجه . بيدينى الفلوس أشترى بيها انا ..

قالت فى اصرار :

ـــ دى اسمها فلوس حرام ..

قلت وانا ابتسم لها :

ـــ حرام ليه يا ماما .. كل البنات بياخدوا هدايا ..

قالت :

ـــ تسمحى تقولى لى بيديكى الفلوس دى كلها ليه ؟

قلت بسرعة :

ـــ علشان بيحبنى ..

ـــ لا يا شيخه . .عاشان بيحبك .. ولا علشـــان حاجه تانيه ..

قلت :

ـــ ما تقوليش كده يا ماما .. ما فيش حاجه تانيـــه .. صدقينى ..

قالت :

ـــ لا .. مش مصدقاكى ..

قلت :

ـــ ماما ده راجل غنى وبيحبنى .. اذا ادانى ميت جنيه .. زى ما جيب واحد تانى هديه بجنيه ..

وقالت وهى تركن راسها فوق كفها :

ـــ بيديكى كام الرجل الغنى ده ..

قلت وأنا أطوى الحقيقة تحت لسانى

ــ مش دايما .. بس بيدينى كتير ..

قالت :

ــ وبتوديهم فين ؟

قلت :

ــ باشترى بيهم الحاجات اللى بتشوفيها ..

قالت وهى تتنهد كأنها استسلمت لى :

ــ طيب بدل ما تشترى بيهم حاجات هايفه .. ويروحوا منك هدر .. اشترى حاجة تفضل لك .. حتة الماظ .. ولا بروش ..

وهكذا ..

وقفت منى أمى ــ مرة ثانية ــ موقفا سلبيا .. انقادت لى .. لم تحاول أن تعدل حياتى .. لم تحاول أن ترسم لى مبادىء أتعلق بها . وقبلت الوضع .. بل انى أصبحت أعطيها النقود التى أخذها من هاشم لتحفظها عندها .. أصبحت بنكا لى ، وبينى وبينها حساب جار .. وكانت أمى تفرح بهذه النقود . أكثر من فرحتى .. ربما ورثت حبى للنقود عنها .. بل انها أصبحت تشاركنى فى انتقاء الهدايا التى أطالب هاشم بثمنها .. فتحت عينى على أطماع أوسع من أطماعى الصغيرة .. وفى مناسبة عيد ميلادى الثانى والعشرين .. طافت بنفسها على محلات الجواهر .. وانتقت حلقا من الماس .. ثمنه مائتا جنيه .. ليقدمه هاشم هدية لى .. وتركت الباقى على .. وقد دفع هاشم المائتى جنيه فى لحظة من لحظات غروره برجولته ، وسعادته بأنوثتى ..

ولكن أمى كانت تحرص فى الوقت نفسه على اشعال خوفى .. زادتنى خوفا على خوف .. كانت تذكرنى كل صباح وكل

مساء بأنى لستتزوجة هاشم .. وكانت تروى لى قصص البنات اللاتى انقدن وراء عواطفهن وجنونهن .. ثم ضاع الرجل .. تزوج فجأة بنتا أخرى .. ومن يدرى .. ربما أصحو فى الصباح فأقرأ فى الصحف خبر زواج هاشم من أخرى ..

وينقبض قلبى لمجرد الفكرة ..

تتلوى اعصابى ..

واحس بنفسى كأنى معلقة فى الهواء ، وريح عاتية تطوحنى ..

واطلعت هاشم على مخاوفى .. كشفت له عن قلبى الذى عصره الخوف . وقلت له فى تردد وضعف :

— احنا مش ممكن نتجوز أبدا يا هاشم .. ؟

قال فى بساطة حازمة :

— لا ..

قلت وانا أنظر اليه فى لوعة :

— بس أنا ما اقدرش أعيش من غير امل ..

قال :

— يوم ما تفكرى فى الجواز .. يبقى لازم تفكرى فى واحد غيرى ..

قلت والدموع فى عينى :

— ما اقدرش أفكر فى واحد غيرك .. انا باحبك يا هاشم ..

قال وهو ثابت كأنه يناقش مسألة علمية :

— احنا مالوش مستقبل ..

قلت :

— وايه عرفنى انك مش حا تتجوز واحده تانيه ..

قال :

— مش حاتجوز ..

قلب ردموعي على خدي .. دموع الغيظ والخوف :

- واطمن ازاى ؟ ..

قال :

- انا عمري ما كذبت عليكي .. اطمني ..

ولم اطمئن ..

مخاوفي تزداد يوما بعد يوم ..

احس كأني في معركة هائلة مع الغد .. كل غد بالنسبة لي وحش يريد أن يفترسني .. وأتعلق بيومي حتى لا يقلبني الى غدي .. بل اتعلق بالساعة التي أعيش فيها حتى لا تلقيني الى الساعة التالية ..

وكنت أعلم اني لست الوحيدة التي تطمع في الزواج من الدكتور هاشم .. ولست الوحيدة التي تريده بلا زواج .. ان حوله عشرات البنات .. بنات جميلات .. وبنات من عائلات كبيرة .. وبنات ثريات .. وأنا وحدي اقاوم كل هؤلاء البنات .. أقاومهن في خيالي .. كل بنت اراها في النادي .. وكل بنت تنشر الصحف صورتها .. تخيل الى أنها تسعى للزواج من هاشم .. فأكرهها .. ازددت كرها لكل البنات .. الكراهية تجعل مني دون أن ادرى ، فتاة شريرة .. قاسية ..

وأحرص كل صباح .. وبمجرد ان افتح عيني .. على أن اقرأ صفحة الأخبار الاجتماعية في الصحف .. من يدرى .. لعله تزوج .. ثم لا أطمئن .. من يدرى لعل الصحف لم تعلم بخبر زواجه .. وأهرع الى التليفون ، واتصل به ، لأطمئن انه لا يزال لي .. يوما آخر !

الى أن كان يوم ..

وكنت أحادث هاشم في التليفون ، وقال لي انه لن يستطيع

ن يلقاني بعد الظهر ، لأنه مدعو الى الغداء عند عمه .. ثم سألنى .. ماذا سأفعل اليوم .. واجبته بأنى سأبقى في البيت .. وعاد يسألني .. مش نازله البلد .. واجبته بالنفى .. و ..

ولم تطمئنى لهجة حديثه ..

كان رقيقا أكثر من المعتاد ..

واحسست انه يتعمد التأكد من انى سأبقى في مصر الجديدة طول اليوم ..

وحاولت ان اتخلص من الوسواس الذى يلح على خيالى .. حاولت أن أطمئن .. واهدأ .. ولكنى لم استطع .. فى الساعة الثالثة قفزت ، وخرجت من البيت .. وركبت التاكسى الى الزمالك .. ومررت من أمام العمارة ، فلم أجد سيارته .. ولكن .. لعله أوقف سيارته فى مكان بعيد عن العمارة ، حتى لا أكتشف وجوده فى الشقة .. ودرت بالتاكسى حول العمارة .. وفى جميع الشوارع المؤدية اليها .. ولم أكتشف شيئا .. ثم هدانى تفكيرى الى أن أمر أمام العيادة .. وهناك .. وجدت سيارته .. وبسرعة .. أمرت السائق ان يعود الى شقة الزمالك .. والجنون يفتك بعقلى .. والنار تحرق عينى ..

ونزلت من التاكسى ، وانا اكاد أنكفىء على وجهى .. ولم انتظر المصعد .. جريت على السلالم الى ثالث دور .. والقيت كل ثقلى على جرس الباب .. لم أرفع أصبعى عنه .. ولكن احدا لا يفتح .. فأخذت اخبط على الباب بكفى ، حتى التهبت كفى .. ثم خلعت فردة حذائى واخذت اضرب بكعبها فوق الباب .. وانا اصرخ :

— افتح يا هاشم .. افتح .. أنا عارفه انك جوه ..

لم يهمنى ساعتها شىء الا أن يفتح لى الباب .. لم تهمنى

.صبحه التي اثيرها في انعمارة .. ولا صوت عم محمود البواب وهو يصبح من اسفل السلم :

— ده ري ايه .. مين اللى بيزعق ..

ونجاة فتح الباب .. وقبض هاشـــم على يدى بقـــوة . وجذبنى الى داخل الشقة ، وهو يقول فى صوت خافت كالضجيج :

— يا مجنونة .. انتى عايزه تعملى لى فضـــيحه .. دى اخلاق بنت ناس دى ..

وقبل أن يضربنى .. نزعت نفسى منه .. كانت لى لحظتها قوة تهد الجبال .. قوة جنونى .. واندفعت الى داخل الشقة .. ورأيتها ..

انها نفس البنت ..

البنت التى سبق ان ضبطتها معه ..

وكنت قد عرفت اسمها .. مرفت ..

وقبل ان يلحق بى هاشم ، كنت قد انشبت اظافرى الطويلة فى وجهها .. رسمت على خديها ، وعلى عنقها خطوطا طويلة ينبثق منها الدم .. ثم امسكتها من شعرها .. واوقعتها على الأرض .. ووقعت فوقها ...

ولحق بى هاشم .. جذبنى من شعرى فى قسوة ، ورفعنى من فوق مرفت ثم القى بى فوق السرير .. وانا لا ازال انظر الى مرفت بعينى المجنونتين ، واصرخ :

— يا وسخه .. يا واطيه .. لسه بتجيله .. مش عارفه انه متجوزنى .. يا .. يا ..

كلمات كثيرة لم اكن أعرف انى اختزنها تحت لسانى .. كلمات افقدتنى كل رقتى .. كل جمالى .. كل انوثتى ..

وفرت مرفت ..

خرجت ..
ورفع هاشم يده ، فصرخت فيه :
— ما تضربنيش .. انت مالكش حق تضربنى .. انت اللى غلطان ..
ولكنه انهال بيده على خدى ..
بلا رحمة ..
بلا شفقة ..
وصرخت ودموعى تنطلق :
— أتجوزنى .. اتجوزنى .. لازم تتجوزنى دلوقتى حالا ..
وصرخ وهو يرفع يده مرة ثانية :
— عايزانى اتجوز واحده مجنونه ..
وعدت أصرخ :
— لازم تتجوزنى .. انا ما اقبلش اكون زى اى بنت بتعرفها .. واللا علشان بتدينى فلوس ..
وانزل يده فجأة قبل ان يصفعنى صفعة أخرى ..
وأدار ظهره لى وسكت .. وهو يزفر أنفاسه ..
ومرت لحظات لا يبددها الا نشيجى ..
وتكومت فى السرير ، وانا أنظر اليـــه من خلال دموعى .. فى ترقب .. وغيظ .. وكل شىء فى ينزف .. حبى .. كرامتى .. انفاسى .. كيانى .. ايامى .. كل شىء ينزف .. والنزيف الأحمر يرتسم أمام عينى ..
ثم التفت الى وقال فى لهجة جادة وصوت عميق حزين . كأنى جرحته :
— أنا ما باديكيش فلوس يا أمينة ، لانك زى أى بنت .. مافيش بنت أعرفها باديها فلوس ولا حتى باشترى لها هديه ..

انا باديكي لانى باحبك .. ولانك محتاجه للفلوس .. ولان معايا فلوس .. ويوم ما حاتسبينى هافضل برضه اديكى فلوس . طول ما انتى محتاجه ، وطول ما انا معايا ..

واحسست ساعتها انه لا يعنى ما يقول .. كل ما هنالك انه يدافع عن كرامتى .. لا يريد ان يحس بانه يشترى امراة بنقوده .. واكتشفت ساعتها ان هذه النقود ، لا تشيننى انا ، بل تشينه هو .. تجرح كبرياءه وغروره .. كرجل يعتقد فى نفسه انه محبوب من كل نساء الارض ..

وقلت وانا متكومة فوق السرير وشعرى واقع فوق عينى :

— لو كنت بتحبنى ، كان بدل ما تدينى فلوس ، تتجوزنى .. لازم تتجوزنى يا هاشم .. لازم .. لازم ..

وقال فى هدوء :

— انتى عارفه انى مش حاتجوز .. واحسن نسيب بعض ..

ونظرت اليه بعينين مذعورتين ، وقلت فى صوت يخرج من حلقى ولا يحرك لسانى :

— تسيبنى بعد ده كله يا هاشم ؟

ثم انكفأت على وجهى ابكى ..

الدموع تهز جسدى كله ، كأنى اشدها الى عينى ، من اطراف اصابع قدمى ..

وقال هاشم :

— مش كده يا امينه .. خلينا نتكلم بعقل ..

ولكنى ابكى ..

ابكى كل دموعى ..

وجاء هاشم وجلس بجانبى .. يحاول ان يسكت بكائى .. يحاول ان يجعلنى ارد عليه .. وبدا يمسح بيده على شعرى

.. ثم يطوف بها فوق كتفى .. وانا لا اكف عن البكاء .. مستسلمة ليده التى تتمشى فوق ظهرى .. ثم انحنى يقبلنى فوق خدى .. وهو يقول :

— كفايه يا أمينه .. كفايه يا حبيبتى .. انا آسف ..

ولم اكن اريده فى هذه اللحظة .. لم تتفتح مسام جسدى ظمأى اليه .. ولكن تملكنى احساس آخر .. كنت أريد أن أطمئن الى ان مرفت لم تأخذ منه شيئا .. شيئا مما تعودت أن آخذه منه .. كنت اريد ان اتأكد انها تركته لى سليما .. لم تمتصه وتلقى الى ببقاياه ..

واستدرت اليه ، والقيت جسدى كله فى احضانه ، وانا لا زلت ابكى هامسة :

— هاشم .. اخص عليك يا هاشم ..

وانحنى الى بشفتيه ..

ويده تنشط فوق ازرار ثوبى ..

وانا فى انتظار ان اتأكد ..

وهمست وانفاسه تلفح عنقى ، وشفتاه المجنونتان تطوفان بوجهى ، وذراعاه تعصران جسدى العارى :

— حاتسيبينى يا هاشم ..

وقال وانفاسه اللاهثة تحرق كلماته :

— ابدا .. عمرى .. ما اقدرش ..

واطمأننت ..

لم تأخذ منه مرفت شيئا ..

ولكنى عدت الى البيت وراسى يغلى .. ولم اكن حاقدة على هاشم قدر حقدى على مرفت .. كنت اريد ان انتقم منها .. أريد ان أحطمها .. اخنقها .. وكنت فى خلال الشهور الطويلة منذ

ضبطتها أول مرة ، قد عرفت اسمها كله .. عرفت أخبارها .. وعرفت رقم تليفونها وعنوانها ..

وادرت رقم تليفونها ..

وردت على أمها .. عرفتها من لهجتها .. كل الامهات لهن لهجة واحدة عندما يرددن على التليفون .. وقلت لها :

ــ أنا حرم الدكتور هاشم عبد اللطيف ..

وقالت في أدب :

ــ تشرفنا يا فندم ...

قلت في جراة وهدوء :

ــ رجعت ؟

قالت وفي لهجتها استطلاع :

ــ لا والله .. لسه ..

قلت :

ــ طيب .. لما ترجع ، حتلاقي على وشها خرابيش .. انا اللي خربشتها .. لاني ضبطتها مع جوزي ..

واعدت السماعة بسرعة ..

واسترحت ...

ابتسمت .. اهنىء نفسي على ذكائي .. وشري .. وانتقامي .. ثم ضاعت لذة احساسي بالانتقام عندما اكتشفت أم عرفت بعد أيام ان الدكتور هاشم عبد اللطيف ليس متزوجا ..

وبقى أمامي هاشم ..

اني لم اعد احتمل ..

لم أعد احتمل حياتي معه ..

ولكني لن اتركه ..

انه حبي .. وحياتي .. فكيف اتركه ..

نعم ..
لن اتركه ..
ولكنى سأخونه
ما الذى دفعنى الى خيانة هاشم ؟ ..
دوافع كثيرة .. ليس اهمها انه يخوننى ..

ربما كان اهمها انشغاله عنى بعمله .. وهذا الفراغ الكبير الذى يحيط بى والذى لا اجد ما اشغله به ، سوى استعراض نفسى فى النادى ، وفى شوارع القاهرة ودكاكينها ... لم تكن اى هواية تصبرنى على الانتظار الطويل الى أن التقى بهاشم .. لم تكن لى هواية سوى جسدى ..

ثم الخوف ..

الخوف من ان أفقد هاشم يوما ، كان يجعلنى اتلفت حولى ، لأنتقى الرجل الذى يعوضه عندما افقده ..

ثم انى أريد ان اتزوج .. ومن يدرى ربما التقى برجل احسن من هاشم يتزوجنى ..

ثم انى رغم ما فعلته ، ورغم طغيان شخصيته على شخصيتى ، ورغم حاجتى اليه .. كنت بينى وبين نفسى متمردة عليه .. اتمنى اليوم الذى أتخلص فيه من حبه .. ومن سيطرته .. بل انى كنت اصحو احيانا من النوم واقرر الا اتصل به .. كنت اثير عليه نفسى .. لماذا أجرى وراءه .. لماذا لا اتركه يجرى ورائى .. لماذا أبدأ انا بالتحدث اليه فى التليفون ، لماذا لا انتظر الى أن يتلهف على ويتصل بى هو .. لماذا .. لماذا .. وكل القرارات التى اتخذها وانا متمردة عليه ، لا تبقى سوى لحظات .. ثم أعود اليه .. لا تستطيع يدى أن تقاوم التليفون .. ولا يستطيع جسدى أن يقاوم اندفاعى اليه ..

ثم لأنه يخونني ..

انه يخونني وهو يقسم انه يحبني .. فلماذا لا اخونه انا ايضا وابقى على حبه ..

وقد بدأت بخيانات بريئة ..

سافرنا أيامها الى الاسكندرية لنقضى الصيف .. وكان هاشم لا يأتى الاسكندرية الا فى أيام الخميس والجمعة .. وانا وحدى هناك بقية الاسبوع .. أقضى يومى على شاطىء ميامى .. واترك ابنتى مع الخادمة تحت الشمسية .. ثم اقوم باستعراض نفسى . وكنت اتفنن فى استعراض نفسى .. أحيانا اتمشى وانا بالمايوه ، وشعرى مطلق ، وفى قدمى حذاء بكعب عال .. واحيانا ارتدى بنطلون « بلوجينز » وقميص رجالى مشمر الأكمام ، كأنى لا زلت فى التاسعة عشرة .. ثم اجرى الى البيت ، وابدل البنطلون بفستان .. كل يوم ثوب جديد .. يجنن .. ثم اجلس فى كابين صديقتى مها .. سيدة مطلقة فى مثل سنى ، وكل صديقاتها مطلقات ، او على وشك الطلاق .. ودائما يحيط بهن مجموعة من الشبان .. الملح شباب الشاطىء .. المعهم فى اجتذاب اهتمام البنات .. بينهم شاب اسمه مصطفى .. فى الثامنة والعشرين من عمره .. دمه خفيف .. وكانت تحبه احدى سيدات الشلة .. ولكنه كان يخصنى بكل اهتمامه .. ويلحقنى فى البحر .. ويملأ الساعات التى اقضيها معه بالضحك .. واخيرا .. رضيت أن أخرج معه .. ولكنى ما كدت اركب بجانبه فى سيارته حتى بدأت افكر فى هاشم .. احسست ان هاشم جالس بينى وبين مصطفى .. لا استطيع ان انزع صورته من خيالى .. لا استطيع ان اوقف عقلى عن التفكير فيه .. بل خيل الى انى اشم رائحته .. رائحة هاشم ..

وقال لي مصطفى وهو يقود سيارته في الطريق الى ابي قير

ــ تعرفي تسوقي ؟ ..

قلت وانا هائمة وراء هاشم :

ــ لا ..

قال وهو يبتسم ابتسامة طفل :

ــ تعالى أعلمك السواقه ..

واستخفته .. هذه لعبة عيال .. لعبة قديمه .. سيدعوني لاقترب منه .. ثم يدى على عجلة القيادة ويلف ذراعه ورائي .. ثم يتحسس كتفي .. ثم يضغطني اليه ضغطة خفيفة .. ثم ينتهز فرصة ويقبلني على خدى .. و .. و .. ماذا يظنني هذا الطفل ؟ مبتدئة ؟ !

وقلت في زهق :

ــ لا .. مش عايزه اتعلم السواقه .. ومن فضلك رجعني .. انا اتأخرت ..

وقال في سخافة :

ــ وده معقول .. ده احنا لسه ما وصلناش ابو قير ..

واصر على ان يسمر في طريقه ..

ولم اعترض .. من زهقي .. بقيت بجانبه ، وقد بدا لي الفرق كبيرا بينه وبين هاشم .. الشخصية الفجة التي لم تنضج بعد .. والشخصية القوية المجربة الثابتة .. شخصية هاشم ..

وعندما عاد هاشم في نهاية الأسبوع والتقينا في الشقة التي كان يستأجرها في محطة سابا باشا ، قلت له كأني اغيظه :

ــ تعرف ان فيه واحد عايز يخطبني !

قال فى برود :

ــ مين ؟

قلت :

ــ واحد اسمه مصطفى ..

قال :

ــ مصطفى ايه ..

قلت وانا ازداد دلالا :

ــ مصطفى سامح ..

وهز كتفيه وقال فى بساطة :

ــ ما اعرفوش ..

وهذا هو كل شيء .. لم يحاول أن يسألنى أكثر .. بل لم يحاول أن يسألنى فى الأسبوع التالى عن أخبار هذا الشاب الذى جاء يخطبنى .. كأنه نسيه .. كأنه لا يهمه أن بقيت له أو تزوجت .. او كأنه كان واثقا أنى سأبقى له حتى لو تزوجت ..

وغاظنى اهماله ..

غاظنى غروره ..

وخرجت مع مصطفى مرة ثانية .. وثالثة .. ثم زهقت من مصطفى وخرجت مع أسامة .. ثم مع مجدى .. ثم مع أحمد .. كلها مغامرات بريئة .. احمد فقط هو الذى استطاع ان يقبلنى فوق شفتى .. فرق كبير بين قبلته وقبلة هاشم .. قبلة أحس بها فوق شفتى .. وقبلة أحس بها تسرى فى جسدى كله ..

وكنت أسرد كل هذه الأسماء لهاشم .. وأسرد مع كل منها نصف الحقيقة .. واحيانا ربع الحقيقة .. اقول عن واحد منهم انى

قابلته مى كابين صديقتى .. واقول عن الآخر انه صـــديق لابن خالتى .. واقول عن الثالث انه ابن طنط خديجة .. ولم أكن مضطرة أن اقول شيئا لهاشم .. ولكنى كنت اقول له .. كنت أحس انى ابرىء ذمتى أمامه .. أحس كأنى أخفف من خيانتى له .. كأنى أرضى ضميرى وحبى ..

وهاشم يسمع هذه الحكايات ، وينظر فى عينى كأنه يعرف سرى .. ثم لا يجيب .. أو يرد ردا باردا ..

بل انى سألته يوما ، كأنى اريد ان أثيره :

— تقولى يا هاشم .. لما الواحده تتجوز واحد .. تعمل ايه ؟

وكان لهذا السؤال أصل من الواقع .. فقد كنت اتمنى جدا لو تزوجنى شاب اسمه شريف .. يسكن امامنا فى سيدى بشر .. وامه صديقة لأمى .. واخته صديقة لى .. غنى .. مهذب .. نال بكالوريوس التجارة .. ووسيم ..

واجابنى هاشم فى هدوئه الذى يثيرنى :

— نقنعه بأنها بنت كويسه وتصلح للزواج ..

وثرت فى وجهه صائحة :

— يعنى تصدك انى أنا مش كويسه وما انفعش للجواز ..

قال وهو ينظر الى فى دهشة :

— انا ما قلتش كده ..

قلت وانا انتفض من جانبه :

— امال ما بتتجوزنيش ليه ؟ .

ونظر الى كأنه يلومنى لأنى أطمع فى الزواج منه .. وقال :

— أنا حاجه تانيه ..

وعدت يومها الى البيت لأبكى .. خيل الى انى فعلا لا اصلح للزواج ، وان هذا ليس رأى هاشم وحده ، بل رأى جميع

الرجال .. بدليل أن احدا ممن خرجت معهم لم يفـاتحنى فى الزواج ..

وانتهى موسم الاسكندرية دون ان اخرج منه بشيء ، سوى عشر نمر التليفونات ، وبعض نمر السيارات ..

ولا شيء أكثر .. لم يستطع احد ان ينسينى حبى لهاشـم او يخفف منه .. ولم يستطع احد ان يحررنى من حاجى اليه ..

وبدأت فى القاهرة اكرر نفس ما كنت افعله فى الاسكندرية .. احادث الشبان فى التليفون ثم اخرج معهم .. واضيف الى القائمة شبانا جددا .. بل أضفت اليهم ابن عمى .. وكان ابن عمى اقربهم الى قلبى .. كان انسانا شاذا ، بوهيميا .. يملك سيارة قديمة مهكعة ، بينه وبينها الفة عجيبة ، ويحبها كأنها كلبة . ولا يستطيع احد غيره أن يقودها او يفهم اسرارها .. وكان يسافر بها الى البحر الاحمر مع شـلة من الاولاد والبنات .. وذهبت معه اكثر من مرة .. ذهبت باذن من امى ، فهو ابن عمى .. ولا يمكن لأحد أن يعترض على رؤيتى مع ابن عمى .. ولكنى لم أرحم ابن عمى .. استطعت أن اشد قلبه .. وأعطيته أكثر مما أعطيت باقى الشبان .. ليس كل شيء .. فقط تركته يقبلنى أكثر ويحبنى أكثر .. وكنت اطمع فى الزواج منه .. بنيت فى خيالى حياة كاملة معه .. وفرحت عندما اكتشفت أن اسمى لن يتغير بعد الزواج منه .. امينة سالم .. وسأصبح بعد الزواج .. مدام سالم .. يا فرحتى ! كأنى لا زلت طفلة ! ..

وقلت كل ذلك لهاشم .. قلت له أنى اتمنى لو تزوجنى ابن عمى .. وقلت له انى ذهبت معه فى رحلات البحر الأحمر .. مع شلة كبيرة .. ولم اقل له الباقى .. لم اقل انى أتركه يقبلنى .. او انى أرقد على شاطيء البحر بالمايوه وهو راقد بجانبى .

وراسي على كتفه .. طول النهار .. وإن كل افراد الشلة التي تسافر معنا ، تتركنا وحدنا ، وتفهم ما بيننا .. لم اقل له كل ذلك .. انى لا اقول الا ربع الحقيقة ..

وهاشم ينظر الى هذه النظرة الثابتة التي لا ادرى منها ان كان يصدقنى أم لا .. ويبتسم هذه الابتسامة ، التي لا أدرى ان كان يسخر بها منى ، أم يشفق بها على ..

كل ما لاحظته ان هاشم بدأ يروى لى قصصا عن بنات .. بنت جاءت الى عيادته .. وبنت دعى معها الى سميراميس .. وبنت أميركية .. وبنت .. وبنت .. ولعله كان يقول ربع الحقيقة .. فلم يكن يقول لى انه بينه وبين واحدة من البنات شيء .. وكنت .. وهو يروى لى هذه القصص احاول أن اقلده في بروده ، وفى قلة اكتراثه ، ولكنى لم اكن استطيع .. كنت أحتمل مرة .. وانفجر في المرة الثانية .. واتهمه بأنه يخوننى .. ولأنى اخونه .. كنت واثقة انه يخوننى .. فأجن .. وأدور بالتاكسى ابحث عنه كلما غاب عنى ..

ولم يتزوجنى ابن عمى .. ذهب .. قبل وظيفة في الاسكندرية .. ولم يعد ...

ثم ..

حملت ..

حملت من هاشم ..

ليس هناك شك في هذه المرة في أنى حملت منه ..

ولم تكن المرة الأولى التي احمل فيها منه ..

حملت مرة .. منذ سنة .. ولكنى استطعت أن اتخلص من حملى في الشهر الأول .. وقعت صدفة من فوق السرير .. واصطدم بطنى بحاجزه .. وبقيت بعدها أسبوعا في السرير ..

وحاولت هذه المرة أن أقع من فوق السرير .. من فوق الأدراج .. لعبت الحبل .. استحممت بما مغلى ..
ولا فائدة ..
انى لا زلت حاملا ..
ومضى شهران وأنا أخفى سرى فى بطنى ..
ثم ..
قلت لهاشم ..
ورفع الى عينين مذعورتين ، ثم تمالك أعصابه بسرعة ، وقال وهو يبتسم لى :
— بسيطة .. كيرتاج ! ..
وقلت بحدة :
— طبعا .. انت حايهمك ايه ... هو انت اللى حاتموت ..
قال فى هدوء :
— انتى عارفه انها عمليه ما بتموتش حد ، ما دام دكتور كويس اللى بيعملها ..
قلت :
— لا .. مش حاعملها .. اتفضل اتصرف ..
قال وسحابة من الكدر تطوف بعينيه المنتفختين :
— زى ما انتى عايزه ..
قلت والدم يرتفع الى راسى :
— أنا عايزه نتجوز ..
قال :
— ونخلف بعد خمسة اشهر .. مش كده ..
قلت :
— احسن ما اموت ..

قال :

ـــ تلتلك مش حاتموتى .. وما تفكريش فى نفسك بس .. فكرى فى اللى حاتخلفيه ..

عدنا نتناقش ..

نقاشا طويلا ملأ كل ساعات قضيتها معه خلال الاسبوع كله .. وهو مصر على رايه .. يغلق فى وجهى كل الأبواب الا باب الطبيب الذى يجهضنى ..

الى أن قلت وانا ارتعد ودموعى فوق خدى :

ـــ طيب تيجى معايا عند الدكتور ..

قال وهو يمسك بيدى ويضغط عليهـــا ونظرة اشفاق تطل من عينيه :

ـــ مش ممكن يا أمية .. مافيش راجل بيروح مع الست فى حاله زى دى .. حتى ولو كان جوزها .. ما تبقيش صغيره ..

قلت ودموعى ترتعش فوق أهدابى :

ـــ انا خايفه يا هاشم ..

قال وهو يضمنى الى صدره فى حنان :

ـــ ما تخافيش .. لو ما كنتش مطمن عليكى ، ما كانش ممكن اسيبك تعملى العمليه ..

واحسست ساعتها انى لا أريد أن ارفع راسى من على صدره .. اريد ان اختبىء فيـــه .. اريد أن ابقى هنا .. لاهدا .. لأستريح .. لاطمئن .. لأهرب ..

وبكيت ..

وبعد يومين ذهبت الى طبيب يهودى تقع عيادته فى اول شارع سليمان باشا .. وذهبت وحدى .. ولم اكن اعرف هذا الطبيب من قبل .. ولا هاشم كان يعرفه شخصيا .. بل ان

هاشم لم يرشحه لى .. رفض أن يرشح لى احد أصدقائه الأطباء .. وتركنى أختار هذا الطبيب بعد أن سمعت اسمه يتردد كثيرا فى أوساط المطلقات ، كطبيب متخصص فى عمليات الاجهاض .. كل ـ فعله هاشم هو أن دفع لى اجر العملية مقدما .. ودفع بسخاء ..

ودخلت عيادة الطبيب ، ودمائى هاربة منى .. وكل ما فى داخلى يرتعش .. قلبى .. معدتى . ركبتاى ... خيل الى انى داخلة الى سلخانة .. هنا ، سأذبح .. واستقبلتنى الممرضة بنظرات وقحة ثابتة .. كأنها تبدى رأيها علنا فى صنف النساء اللاتى يترددن عليها .. واشارت لى بيدها الى غرفة الانتظار دون أن تتكلم .. دون ان تبتسم .. كأنى لا أستحق منها كلمة . ولا ابتسامة .. وتركتنى وحدى .. تركتنى طويلا ، رغم انه لم يكن فى العيادة غيرى .. ودقات الساعة خبطات فوق رأسى وأعصابى .. ثم لمحت من باب غرفة الانتظار سيدة خارجة من غرفة الطبيب .. مستندة على ذراع الممرضة .. وجهها أصفر .. لا . ليس أصفر .. أبيض .. لون الفراغ .. لون الموت .. وعيناها مطفأتان .. وشفتاها باهتتان جافتان ، ترتعشان ، كأنها تتنفس بهما .. والقتها الممرضة على مقعد عريض .. وتركتها .. كأنها القت شيئا فى صندوق الزبالة .. ثم نظرت الى نظرة صارمة وقحة .. وانصرفت .. والذعر يملأ عينى .. انظر الى السيدة التى أمامى ، ويخيل الى انى أنظر الى مرآة .. ارى نفسى هكذا .. نصف ميتة .. وتملكنى خاطر جارف بأن اهرب .. أهرب من هذه السلخانة .. أهرب من الذبح .. ولكنى كنت مشدودة الى وجه هذه السيدة الملقاة أمامى كأنها نصف ميتة .. مشدودة بعينى واعصابى .. كأن هناك نداء خافيا ينطلق منها

ويدعونى اليه .. نداء لا استطيع ان اقاومه .. كقدرى .. كمصيرى ..

وجاءت المرضة واشارت الى قائلة بالفرنسية :

— تستحى ..

ونشبثت بمقعدى . . لا .. لن اسمح .. لن اذبح ..

ظلت المرضة واقفة امامى تسلط على نظراتها القوية الوقحة ، كأنها تسلبنى ارادتى ..

وقمت اليها .. مسلوبة الارادة ..

ومشيت وراءها ، أحاول أن الحق بها لأستند عليها ، قبل أن أقع .. ركبتاى لا تتحملانى .. وأمعائى تنقلب حتى خيل الى أنى سألفظ الجنين قبل أن أصل الى الطبيب ..

واستقبلنى الطبيب ..

رجل فى الخمسين .. أملس الوجه .. كل شىء فيه املس .. لزج .. نظراته أوقح من نظرات ممرضته .. واخذ يسلط على هذه النظرات فى جراة كأنه يفكر فى الاعتداء على .. كأنه يشتهينى ..

وقال وهو يشير الى سرير الكشف :

— تفضلى .

وتوقفت .. حاولت أن اتكلم .. قلت له انى زوجة .. وانى ام لأبنة فى الثالثة من عمرها .. وانى حامل .. وانى اتفقت مع زوجى على أن اتخلص من الجنين لأننا .. و .. و .. حكاية طويلة كنت قد اعددتها قبل أن اصل اليه .. ولكنه لم يكن يستمع الى .. كأنه سمع الكثير من هذه الحكايات ، ويعلم انها كلها كاذبة .. انشغل عنى فى اعداد بعض أدواته .. ثم جذبتنى المرضة الى سرير الكشف .. وساعدتنى فى خلع ثيابى .. ثم

تقدم ليكشف على .. كان يكشف على فى وقاحة .. يتحسسنى كأنه يتلذذ بى .. كأنه ينتقى القطعة التى يأكلها أولا .. ثم ابتعد عنى وهو يقول :

ــ بكره الساعة حداشر .. وتعالى من غير افطار ..

وخرجت من عيادته كالفرخة الدائخة التى نجت صدفة من الذبح .. وقضيت نهارى وليلى خائفة مذعورة .. اقرر فى دقيقة الا اذهب الى الطبيب ، وفى الدقيقة التــالية أعدل عن قرارى .. وفكرت أن أطلع أمى على مصيبتى ، لتأتى معى .. حتى لا تتركنى اذبح وحدى .. ولكنى خفت من أمى .. فكرت أن استعين بزوجة أبى ، وكانت أيامها لا تزال صديقتى ، ولكنى خجلت منها .. وتحدثت الى هاشم بالتليفون ليقوى قلبى .. ويشد أزرى .. حدثته بدموعى لعله يشفق على .. ولكنه كان رقيقا .. حنونا .. حدثنى طويلا ، على غير عادته .. ولكنه لم يشفق على .. كل ما فعله أن شرح لى العملية من النــاحية العلمية ، ليثبت لى انها ليست خطرا .

وذهبت فى اليوم التالى ..

وحدى أيضا ..

وحدى .. هاربة منى .. وقد رأيت نفسى فى المرآة قبل أن اخرج من البيت .. ولم أكن أعتقد انى يمكن ان أكون صفراء الى هذا الحد ..

وبكيت فى غرفة الانتظار .. بكيت فى صمت .. فهذا الطفل كنت أريده .. انه طفل الرجل الذى احببته وتمنيته .. الرجل الوحيد الذى اردت طوال حياتى أن يكون ابا لطفلى .. ورغم ذلك فانى أقتله .. اقتل هذا الطفل .. لأن ليس من حقى أن أجعله فى بطنى .. وليس من حقى ان أكون أما له ..

والتقبت بنظرات الطبيب الوقحة ..

وعندما أعطانى حقنة البنج ، خيل الى مرة ثانية ، انه يريد أن يفقدنى وعيى ليعتدى على .. ولا أدرى لماذا تملكنى هـــذا الخاطر .. ولكنه خاطر ملأ خيالى كله .. وذعرت .. خيـــل الى انى اريد أن اصرخ لأنادى هاشم ..

ولا أدرى هل صرخت أم لا ..

غبت عن الوعى ..

ولم اعد أدرى ما يحدث لى ..

وافقت وأنا راقدة على سرير العمليات .. ثم جاءت الممرضة والبستنى ثيابى .. وساعدتنى على الوقوف .. وسحبتنى الى الغرفة الخارجية .. والقتنى على نفس المقعد الذى القت عليه المرأة الاخرى .. وتركتنى .. وسكين يشق بطنى .. الم حاد ..

وبقيت على هذا المقعد ، وأنا أتصور نفسى فى شكل المرأة الأخرى .. مسكينة .. كأنى بقايا آدمية القيت فى صـــندوق الزبالة . .وعقلى صاح ، وجسدى مخـــدر ، ولا أحس فيـــه الا الألم ..

كم بقيت ..

ساعة .. ساعتين .. ثم بدأ الألم يخف .. وبدأت استرد قواى . واستطعت أن أقوم من صندوق الزبالة .. وخرجت .. لم يودعنى أحد الى باب العيادة .. ووقفت أمام باب المصعد مستندة الى حاجز حتى لا أقع .. هزيلة .. ضعيفة .. ارى كل شىء من خلال ضباب ..

وما كدت اصل الى الشارع حتى رأيت هاشم فى سيارته منتظرا أمام الباب .. وخيل الى انى أخرف .. أنى احلم ..

واهتزت رموشي بعنف لتزيح من أمام عيني الضباب .. ولكنه هاشم ..

ونزل من سيارته بسرعة .. وتقدم مني .. وامسك بذراعي كأنه يخاف على أن أقع ، وكان يخيل الى انى ســأقع فعلا .. سأقع من الفرحة .. فرحة المفاجأة ..

وهمس هاشم في أذني :

ـ الحمد لله على السلامة ..

وابتسمت ..

وقادني هاشم الى سيارته .. واجلسني .. ثم لف حول العربة بسرعة ، كأنه سائق مهذب .. وجلس بجانبي وهو يقول :

ــ مش قلت لك انها بسيطة ..

وعدت ابتسم له .. وقد أصبح احساسي بالتعب تدللا عليه اكثر منه تعبا ..

وعاد هاشم يقول :

ــ داوقتي تروحي البيت ، تنامي شويه .. وبالليل تقدري تروحي سينما ..

وقلت في صوت خافت :

ــ لا .. بلاش توديني البيت احسن ماما تلاحظ حاجه .. وديني بيت بابا .

واوصلني هاشم الى بيت أبي .. وكان رقيقا حنونا طوال الطريق .. جعلني اضحك .. وقد كان شيء في يضحك ضحكة كبيرة منذ رأيته في انتظاري .. خيل الى ساعتها أني تأكدت من حبه .. انه يحبني .. مهما تظاهر بالبرود .. ومهما سلط على غروره .. ومهما انشغل عني .. فهو يحبني .. ونسيت في احساسي بحبه كل ما تحملته .. نسيت الجنين الذى قتلته

منذ لحظات .. بل خيل الى أن هذا الجنين ربط بيننا أكثر .. قد جمعنا الى الأبد .. كأنى والدته .. كأنى لم اقتله .. احسست فعلا باحساس الأم ، عقب أن تضع مولودها ، وتنظر الى زوجها فى امتنان كأنها تشكره لأنه منحها الأمومة .. خيل الى انى أنظر الى هاشـــم نفس النظرة .. نظـــرة الامتنان .. وخيل لى أنه ينظر الى كما ينظر الى زوجته .. نظرة تقدير وشكر .. تقدير لأمومتى ، وشكر لأنى جعلته ابا ..

ولم تكن هذه المرة الأخيرة التى اجهضت نفسى فيها .. اجهضت نفسى كثيرا .. أربع مرات .. خمسا .. لا أدرى . لقد اصبحت عمليات الاجهاض بالنسبة لى ، كخلع الضرس .. واصبحت نظرات الطبيب اليهودى الى نظرات ترحيب بعد أن اصبحت زبونة مستديمة .. ولكن هذه المرة الأولى هى التى لا أزال اذكرها .. وهى المرة الوحيدة التى انتظرنى فيها هاشم ، وابدى لى كل هذا الحنان ، واثار فى كل هذه المشاعر الحلوة ..

وقد عشت شهورا فى هذه المشاعر ..

حاولت خلالها أن أكون محترمة .. اقلعت عن محادثة الشبان فى التليفون والخروج معهم .. وتجددت آمالى فى الزواج من هاشم .. تجددت أكبر واعنف ..

ولكن هاشم لم يتغير ..

عاد كما كان ..

عاد يملأ حياتى بالفراغ الكبير .. ويثير فى الغـــيرة .. ويهملنى ، لالالحقه .. ويهملنى اكثر لالالحقه أكثر .. ولا يريد أن يتزوج .. بل لا يريد أن يقول سببا معقولا يمنعه عن الزواج .. فقط ، لا يريد .. ويخيرنى بين أن أبقى له بلا زواج ، أو اتركه واتزوج .

ولم اكن استطيع ان اتركه ..
ابدا لن اتركه ..
والح عليه فى الزواج ..
ويغضب ..
يخاصمنى ..

ولكنى لا أستطيع أن أحتمل غضبه وخصامه ، اكثر من يومين .. او ثلاثة على الاكثر .. ثم أعود اليه ..
واعود الح عليه ..
استجديه أن يتزوجنى ..

وامى فوق رأسى .. تثير فى الخوف من أن يتزوج هاشم غيرى .. وكل نقوده التى اودعها معها ، لا تسكت لسانها ..

ثم فكرت أن أستعين بأخته ..

لم اكن قد رأيت أخته من قبل .. ولكنى كنت احادثها فى التليفون .. وكنت ادعى صداقتها فى احاديثى مع الناس .. ومع مرور الأيام ، وكثرة لقائنا خلال التليفون ، أصبح بيننا فعلا نوع من الصداقة .. صداقة تليفون .. كنت اسألها عن الأولاد .. وكانت تسألنى عن ماما وبابا وغم أنها لا تعرفهما .. مجرد مجاملة ..

واعتمدت على هذه الصداقة ، وحادثتها فى التليفون دون أن أخبر هاشم ، وفى وقت كنت أعلم فيه انه فى العيادة ، وقلت لها بعد ان وضعت فى صوتى رنة حزن عميق :

ــ اقدر اشوفك يا مديحه هانم ..

وسكتت برهة كأنها تفكر ، ثم قالت كأنها تحاول أن تخفف عنى :

ــ عايزه تشوفينى لوحدى ولا مع أبيه هاشم ؟

قلت :

ــ لا .. لوحدك .. لو سمحتى .

قالت وهى تضحك ضحكة صغيرة تواسينى بها :

ــ لازم حاتشكيلى من أخويا ..

قلت بعد أن ضغطت على عبنى حتى انطلقت دموعى :

ــ انتى ما تعرفيش عمل فى ايه .. دى شكوى كبيره .. ومش لاقيه حد أروح له الا انتى .. ما اقدرش أروح لماما .. ما اقدرش أروح لواحده من خالاتى .. ما فيش قدامى الا انتى ..

وقالت مديحة وأنا أحس بلهفتها على :

ــ طيب ما تعيطيش يا أمينه .. بكره زى دلوقتى تشرفينى .. ونقعد على راحتنا ونتكلم سوى .. أنا كل واحده بتعرف اخويا بتصعب على .. وانتى استحملتيه مده طويله .. أنا عارفه استحملتيه ازاى .. بكره تحكيلى على كل حاجه ..

وقضيت الليل انتقى الثوب الذى سأذهب به اليها .. واعد الكلمات التى سأقولها لها .. كلمة كلمة .. بل أعد ابتسامتى .. ودموعى .. وكل ما أحتاج اليه الأصل الى قلبها ..

وذهبت الى المعادى ، بعد أن تعمدت أن أنتقى لنفسى ثوبا حشمة ، وتعمدت أن أخفف من زينتى قدر امكانى ..

وعائلة هاشم ليست أكبر من عائلتنا .. بالعكس .. عائلتنا أكبر وأعرق ، حتى لو كانت عائلة هاشم أغنى .. ورغم ذلك فقد شعرت برهبة غريبة وأنا أدخل بيته .. خيل الى انى أسير فى حلم انتظرته طوال عمرى .. وخيل الى أنى قزمة فى عالم مسحور .. أحسست بشخصيتى تضعف ، تضيع بين هذه الأبهاء الواسعة .. وهذا الهدوء .. وآنيات الورد .. وقطع الأثاث الضخمة .. والأوبيسون .. خيل لى انى فى مغارة رهيبة

لاكتشاف كنز الدكتور هاشم .. وليس معنى هذا أن بيت هاشم أفخم بيت دخلته .. لا .. لكنها شخصية هاشم .. الشخصية التى تسيطر على وتتملكنى .. هى التى اشعرتنى بالرهبة ..

وقادنى السفرجى النوبى المهذب الى صالون جانبى .. وجلست وانا ادير عينى فوق الجدران ، واتلصص بهما من خلال الباب .. ولم انتظر طويلا .. جاءت مديحة تحمل بين شفتيها ابتسامة كبيرة ، وتحمل فى يدها علبة من زجاج البكاراه مملوءة بالشيكولاتة ..

وقبلتنى فوق خدى قائلة :

ــ اهلا وسهلا ..

ثم ابتعدت عنى قليلا ، ثم اخذت تنظر الى من خلال ابتسامتها الكبيرة ، ثم قالت :

ــ لا ، ده انتى حلوه قوى .. أول مره أخويا يبقى ذوقه كويس ..

وارخيت عينى فى خفر ..

وجلسنا احدانا بجانب الأخرى ، على أريكة واحدة .. وقدمت لى الشيكولاتة .. اخذت واحدة ، وانا أرفع عينى اليها لأملأها منها .. انها اصغر مما كنت أعتقد .. هاشم كان يقول لى انها فى الرابعة والثلاثين .. ولكنها تبدو اقل من الثلاثين .. انيقة فى وقار .. وأكثر مرحا مما يعبر عنها صوتها فى التليفون ..

وتبادلنا كلاما كثيرا ، استطاعت به مديحة أن تريح أعصابى ، وتكسب ثقتى واطمئنانى .. ثم بدأت أروى لها حكايتى مع أخيها .. قلت لها كيف عرفته .. لم اقل لها انى ادعيت المرض لأذهب اليه .. قلت لها انى كنت مريضة فعلا عندما التقيت به .. وقلت لها كيف تركت زوجى من أجله ، رغم انى كنت حاملا .. وقلت

لها كيف احتملت الاشاعات التى ثارت من حولنا .. وقلت لها كيف احتمل سخط أمى وأبى وعائلتى .. وكيف أعرض مستقبل ابنتى كله للخطر من أجله .. وأفضت طويلا فى الحديث عن ابنتى .. فهى أيضا لها ابنة .. وقد يرق قلبها لى .. ثم قلت لها انى منذ ثلاث سنوات وأنا رفض كل خاطب يتقدم الى .. فى انتظار أن يتقدم هاشم ... و ... دموعى أعصرها مع كلماتى ..

واستمعت الى فى هدوء وصبر .. لم تقاطعنى .. الى ان قالت وأصابعها تعبث بعضها فى بعض لتخفى غضبها :

— والله مش عارفه أقول لك ايه يا أمينه ..

ثم سكتت قليلا واستطردت قائلة :

— هو وعدك بالجواز ؟

ونظرت اليها كأنى ألومها . وقلت :

— تقريبا .. ولكن حتى لو ما كنش وعدنى بالجواز .. كان بيحبنى .. ولغاية دلوقتى مفهمنى انه بيحبنى .. وهو عارف آخرة الحب ايه ؟ .

وعادت تقول :

— انتى عايزه رأيى ..

قلت فى مسكنة :

— أيوه ..

قالت وهى تزفر كأنها ضاقت بفظائع أخيها :

— سيبيه .. سيبى أخويا .. غلطتك انك فضلت معاه لغاية دلوقتى .. ما كانش حد ممكن يستحمله كل ده الا انتى ..

قلت لها وأنا أشهق ، وقد فوجئت برأيها .. رأى قاس يسد كل الأبواب :

— اسيبه ازاى بس ..

قالت بسرعة :

ــ ما اعرفش تسيبيه ازاى .. انما اللى اعرفه ان اخويا مش حايتجوز .. دى ماما قعدت تتحايل عليه انه يتجوز من يوم ما تخرج وبقى دكتور .. عرضت عليه أحسن بنات البلد .. ما فيش فايده .. وقبل ما تموت بتلات اشهر بس ، رضى انه يتجوز علشان يفرحها .. خطبنا له بنت مدهشة .. جمال .. وعيله .. وثقافه .. واخلاق .. واعلنا الخطبه فعلا .. والبنت حبته .. وماتت المرحومه ماما .. ماتت فرحانة .. وبعد ما ماتت بثلاثة شهور بس .. يدوبك بعد الاربعين .. اتلكك على سبب هايف وفسخ الخطبه ، وكسر قلب البنت .. ده حرام عليه .. حرام ومن يومها .. ما فيش فايده يتجوز .. وما اعتقدش انه ينفع فى الجواز .. اخويا فيه حاجات كتير كويسه الا حكاية الجواز دى ..

وبكيت ..

لم افتعل البكاء ..

ولكن بكيت فعلا .. وبكل دموعى ...

ومديحة تربت على كتفى .. وتضغط على يدى .. وتمسح على شعرى .. وهى تقول :

ــ انا باقولك الحقيقــه يا امينه .. مش عايزه اضــحك عليكى .. لازم تسيبيه .. انسيه .. كل حاجه بتتنسى ..

وتنهدت تنهيدة عميقة ، وقالت فى صوت خافت :

ــ كل واحده فى حياتها حاجة اضطرت تنساها ..

ولم استطع ان اناقشها طويلا ..

انها كأخيها .. تصدمك بالحقيقة .. بلا رحمة ..

واخذتنى الى الحمام لاغسل وجهى بعد بكائى الطويل ..

ونظرت الى الجدران القيشانى .. وادوات الزينة الأنيقة الملقاة فوق الـتوالـيت .. كأنى أودع كل شىء أراه .. وخرجت ..

خرجت وانا اكره مديحة ..

اكرهها واحقد عليها ..

انها تستطيع أن تقول لى ببساطة .. انسيه .. لأنها ليست هى التى ستتحمل الم النسيان .. انها لم تفكر فى انى قد لا استطيع ان اتحمل هذا الالم .. قد لا انساه .. والا لكانت انتقت لى نصيحة اخرى غير النسيان .. ولوقفت بجانبى حتى تجبر اخاها على زواجى ..

ولكن ..

انسيه ..

هكذا ببساطة ..

انى اكرهها ..

واكره هاشم أيضا ..

وعقلى يغلى طول الطريق ..

الى ان وصلت الى البيت .. واندفعت نحو أمى قائلة كأنى اصرخ :

ــ ماما .. أنا خلاص حاسيب هاشم .. شوفى لى واحد اتجوزه ..

وقالت امى والفرحة تزغرد على وجهها :

ــ بركة يا بنتى .. خلاص .. من بكره يجيلك العريس .. اهى خالتك نعيمه جايبه عريس بالدنيا كلها .. اسـمه حسن عبد الكريم .. مهندس .. وابن باشا من بتوع زمان ..

ولم ارد عليها ..

دخلت غرفتي وارتميت على فراشي وعيناى معلقتان في السقف ..

قررت أن أنسى هاشم ..

وكنت مخلصة في محاولة نسيانه ..

صدقوني ..

كنت مخلصة فعلا ..

وكل هذه النار التي احرقت حياتي ، شبت الأني حاولت نسيانه .. كل يوم من أيامي التي مرت بعد ذلك ، لويته بيدي ، لأصنع منه آلة حادة اقطع بها ما بيني وبين هاشم .. ولم أكن ادري اني اقطع في نفسي .. في قلبي .. في عقلي ..

ما هو النسيان ..

هو أن استبدل بقلبي قلبا جديدا .

وأن استبدل بعقلي عقلا جديدا ..

وأن استبدل بجسدي جسدا جديدا ..

كنت اعتقد ان هذا هو النسيان .. وكنت اعتقد ان هذا ممكن .. ولكن .. لا .. ليس هذا هو النسيان .. ولا يمكن أن نعثر على قلب جديد ، ولا عقل جديد ، ولا جسد جديد .. القلب واحد ، والعقل واحد ، والجسد واحد .. الى أن نموت ..

والنسيان هو ان تحتمل جرح قلبك الى أن يندمل .. وتحتمل جرح عقلك الى أن يجف .. وتحتمل جرح جسدك الى أن يلتئم .. أن تحتمل العذاب الهائل المريع ، شهرا .. شهرين .. سنة .. سنتين .. الى أن يجف العذاب .. وحتى بعد أن يجف العذاب ، سيترك وراءه أثرا مشوها ، كالشرخ فوق لوح الزجاج .. وتعيش طول عمرك بقلب مشروخ ، وعقل مشروخ ، وجسد مشروخ ..

ليس هناك انسان استطاع ان ينسى .. ابدا .. كل

ما يستطيعه الانسان هو أن يزيح ذكرياته من أمام عينيه ، ويضعها فى مؤخرة رأسه .. وعملية الازاحة هذه هى العملية الصعبة .. هى العذاب الأكبر .. عذاب لا يستطيع كل انسان أن يحتمله ..

ولم احتمله أنا ..

وكنت أعتقد أنى أستطيع احتماله .

كنت أعتقد أنى يكفى ان اتخذ قرارا بأن أهجر هاشم ثم أتزوج .. وينتهى كل شىء .. أفيق من هذه الحياة القلقة المهوشة ، لأعيش فى استقرار وهدوء .. كما تعيش ابنة عمى مع زوجها واولادها .. وكما تعيش ابنة خالتى .. انى لست أقل منهما .. أنا أجمل منهما وأذكى ، وأولى منهما بسعادتهما .. كنت أقول لنفسى هذا الكلام .. ثم أعود وأذكر نفسى بالمرات السابقة التى حاولت أن أنسى فيها هاشم وفشلت .. وأقول لنفسى .. يا بت مش حاتقدرى .. ده انتى واقعة لشوشتك .. مش ممكن حاتسيبيه ، ولا حاتنسيه .. ولكى اشد ارادتى ، وأعود أحاول أن اقنع نفسى بأنى لم اكن جادة فى المرات السابقة .. كنت لا أزال أعيش فى بعض الأمل .. ولكننى الآن فقدت كل الأمل .. واليأس من هاشم سيعيننى على هجره ونسيانه ..

ومر يوم ولم اتصل به ..

ولم يحاول أن يتصل بى .. ليس من عادته أن يتصل بى اذا لم اتصل به ..

وحاولت أن أشغل نفسى فى هذا اليوم بكل شىء يبعدنى عن التليفون .. التصقت بأمى حتى تحمينى من نفسى .. ولعبت الكتشينة مع اخوتى .. وذهبت معهم الى السينما فى حفلة الساعة الثالثة .. ثم خرجت مع أمى فى المساء لزيارة احدى خالاتى ..

ونمت ..

نمت وكل عقلى وكل قلبى مع هاشم .. ترى ماذا فعل فى هذا اليوم .. هل اشتاق الى .. هل تنبه الى انى لم أحادثه فى التليفون .. هل قالت له أخته انى ذهبت الى زيارتها .. هل ذهب الى لقاء فتاة أخرى .. لعله حمد الله لانى اخليت له الطريق فالتقى بمرفت دون أن يخشى ملاحقتى .. والغيره تعصف بى .. وتخف الغيرة حينا لتنقلب الى شوق .. والحنين اليه يعرصنى فى قلبى ، ويشد من جسدى ..

وقمت فى اليوم التالى .. والفراغ يمتد أمامى .. الملل .. والزهق .. والخطوات البطيئة المتكاسلة .. ولكننى لن اتصل بهاشم .. مستحيل .. ان ارادتى قوية .. وقرارى نهائى .. ولكن .. لعل من حقه ان يعلم بهذا القرار .. انى لا أستطيع أن اهجره هكذا ، دون كلمة وداع .. ثم أنه صاحب حق على .. اربع سنوات من عمرى ليست شيئا هينا حتى أسحبها منه بلا كلمة .. ر ..

ورفعت سماعة التليفون واتصلت به ، وسمعت صوته منطلقا طبيعيا كأنه لم يشعر بأنه مر يوم دون أن اتصل به .. وقال :

— كنتى فين .. ما تكلمتيش امبارح ليه ؟ ..

قلت فى وقار وقلبى يخفق لصوته :

— وحشتك ؟ ..

قال :

— طبعا ..

قلت وأنا اضع رنة تحد فى صوتى :

— يظهر حاوحشك على طول ..

قال وقد هدأ انطلاق صوته :

ــ قصدك ايه ؟ ..

قلت :

ــ خلاص .. حاتخطب ..

وسكت ..

سكت برهة طويلة ..

وقلت وكأني شامتة فيه :

ــ زعلت ..

قال وفى صوته حشرجة طفيفة :

ــ ابدا .. بس اتفاجئت ..

قلت متهكمة :

ــ على كل حال انا عملت زى أختك ما وصتنى ..

قال فى أسى :

ــ أختى لها حق .. وانتى لك حق ..

وسكت قليلا ثم قال .

ــ ومين الخطيب المره دى ..

قلت كأنى اغيظه :

ــ واحد كويس قوى ..

قال :

ــ اسمه ايه ؟ ..

قلت :

ــ ما اقدرش أقول لك ..

قال :

ــ ما دام كويس .. مش عايزه تقولى اسمه ليه ..

قلت :

ــ مش دلوقتى .. يمكن اقول لك بعدين .. المهم انى مش حاقدر اشوفك بعد كده ..

قال وهو يتنهد :

ــ برضه أحسن ..

واغتظت .. كنت أريده أن يطلب لقائى ولو لآخر مرة .. كنت اريده أن يتوسل الى .. أن يبكى .. أن يشعرنى بأنه لا يستطيع أن يستغنى عنى .. لا يستطيع أن يعيش بدونى .. وربما كنت ذهبت اليه .. بل قطعا كنت سأذهب اليه لو طلب لقائى ، فقد كانت كل قطعة منى تحن اليه .. ولكنه لم يفعل .. تركنى لقرارى ..

واعدت سماعة التليفون وانا نادمة .. نادمة لأنى حادثته ..

وانقضى اليوم أثقل من سابقه .. وجاءت خالتى سعدية لتحدثنى عن العريس الجديد .. عريس لقطة .. وهو فعلا لقطة .. ولكنى كنت أستمع الى حديثها فى برود .. ليس هناك أمل يحرك دمائى ، أو يثير لهفتى .. كنت يائسة .. اكتشفت أنى يئست من نفسى منذ قررت أن أيأس من هاشم ..

وجاء العريس ..

حسن ..

شاب فى الرابعة والثلاثين .. أسمر .. حلو التقاطيع ، يحمل فوق وجهه شاربا كثا كبيرا ، اكبر من سنه .. ربما اقتبسه من الانجليز عندما كان يتلقى علومه فى انجلترا .. وضحكت لشاربه عندما رايته لأول مرة .. ولمحت الفرحة فى عينيه عندما رآنى كأنه لم يكن ينتظر ان يجدنى جميلة الى هذا الحد .. انه من الناس الذين لا يرون صدرى الصغير ، ولا ظهرى الممسوح ؛

ولا يعتقدون أن عينى الواسعتين جاحظتان ، او ان بشرتى البيضاء صفراء ..

وجلست أمامه وانا أدعى خفر العروس وهدوءها ..

وهو ثابت الشخصية .. جرىء .. لم يرتبك .. ولم يتلعثم .. رغم فرحته بى التى تبدو فى عينيه .. ولم تنقض لحظات حتى ملك الحديث كله .. واثار ضحكات امى .. وقهقة زوجها .. وفى خلال حديثه كنت المح عينيه يتفحصانى .. يسقطان على ساقى .. ويرتفعان الى صدرى .. ويتوقفان عند شفتى .. وربما جراءته لم تجرحنى ..

وتحمس له زوج أمى الى حد ان أصر على ان يدعوه ليلتها الى العشاء .. وفتح له زجاجة ويسكى .. وزوج أمى لا يفتح زجاجة ويسكى الا فى المناسبات العزيزة ..

وامتلأ الليل بالضحكات التى أثارتها نكات حسن وتعليقاته ..

وعندما هم بالانصراف امسك بيدى وضغط عليها ضغطة واضحة جريئة ، ورفع الى عينيه الفرحتين بى ، ثم انحنى يقبل يدى ..

وسرت قبلته حتى كوعى ..

لا أكثر ..

وسحبت منه يدى ، وانا انظر اليه وأبتسم فى خفر .. لا زلت أمثل دور العروس ..

وبعد أن خرج ، سألتنى أمى والفرحة تزغرد على وجنتيها :

— ايه رايك باه ؟ ..

قلت بلا مبالاة :

— باين عليه جُدع كويس ..

وصاح زوج أمى :

ــ كويس بس .. ده لقطه .. علم ومركز وعيله .. عمرك ما حتلاقى أحسن منه ..

وابتسمت لزوج امى كانى اطمئنة .. ودخلت غرفتى افكر فى حسن .. ووجدت نفسى أقارن بينه وبين هاشم .. انه لا يقل عن هاشم .. لا فى المركز ولا فى العيلة .. ربما يقل عنه فى شهرته .. هاشم كطبيب اشهر من حسن كمهندس ويختلف عنه فى الشخصية .. كلاهما له شخصية تبرز فى أى مجتمع .. ولكن شخصية هاشم أثقل فى وزنها من شخصية حسن . .وكلاهما وسيم .. ربما لو كان أنفه حسن أكبر قليلا ، لاصبح فى وسامة هاشم ..

ولكنى وجدت نفسى بعد قليل افكر فى حسن من وجهة نظر هاشم .. لم يعد المهم هو رايى فى حسن ، بل رأى هاشم فيه .. وأخذت أتصور ماذا يمكن أن يقول هاشم عن حسن .. عن شكله .. عن مركزه .. عن عائلته .. وهل يمكن ان يغار منه .. ثم اخذت انساق وراء احلام كأحلام الأطفال .. تصورت نفسى أتعشى فى سميراميس مع حسن ، وهاشم جالس فى مائدة مواجهة ينظر الينا فى غيظ ونكد .. وانا اميل على حسن واضع رأسى بجانب رأسه ، ونضحك .. ثم أنظر من طرف عينى الى هاشم لأشرب من غيظه ومن نكده .. ثم تستطرد بى الأحلام .. فأتصور أن هاشم أيضا معه آمراة أخرى .. وأتصور حالى .. هل أستطيع أن أبتسم ساخرة .. هل أستطيع أن أهز كتفى بلا مبالاة .. لا .. لن أستطيع .. ربما قمت وانصرفت بمجرد أن أراه مع أخرى .. ربما صرخت .. ربما هجمت عليها وأنشبت اظافرى فى وجهها .. وأحسست بقلبى يرتعش لمجرد هذا

التصور .. أحسست بدمائى تثور .. رأسى يلتهب .. عيناى تشقان ظلام الغرفة لاتأكد أن ما أتصوره هو مجرد تصـــور .. وانى لم ار هاشم .. فى سميراميس مع أخرى ..

وانتهيت الى انى اصبحت أفكر فى هاشم وحده .. نسيت حسن .. وبدات قول لنفسى كلاما يضعفنى .. لماذا قررت ان اهجر هاشم الآن .. لماذا لا انتظر الى ان تعلن خطوبتى رسميا ثم أهجره .. قد لا تعلن الخطبة .. قد يحدث اى شىء .. فلماذا لا احتفظ بهاشم حتى اخر يوم . .انى فى حاجة اليه .. وانا اشعر وهو معى بأنى قوية .. استطيع على الأقل أن اتمعن فى الرجل الذى سأتزوجه ، ولا ارتمى عليه لمجرد الخلاص من هاشم ..

وتملكنى هذا الضعف ..

وكنت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ..

والبيت كله نائم ...

وتسللت على أطراف أصابعى الى التليفون ، وعدت به الى غرفتى ، وادرت رقم هاشم .. فى البيت .. وسمعت صوته .. انه يضع التليفون دائما بجانبه عندما يكون فى البيت .. انه طبيب ..

وقلت فى صوت هامس ، رغم انه لم يكن هناك داع للهمس :

— ازيك ..

وقال وهو يقلدنى فى همس :

— ازيك انتى ..

وهمست :

— انت فاضى بكره الساعه أربعه ؟

وهمس :

ـــ آه ..

وهمست :

ـــ طيب حاشوفك بكره .. تصبح على خير ..

وضعت سماعة التليفون ، وقمت اتسلل واعدت التليفون الى مكانه ..

ولم اندم ..

استرحت ..

ونمت ...

وذهبت اليه فى اليوم التالى .. وكنت اشعر بأنى قوية وانا ذاهبة اليه .. قوية فى شخصيتى ، وفى اعتزازى بنفسى .. قوة استمدها من حسن .. فلم يعد هاشم هو الرجل الوحيد فى حياتى .. لم أعد فى حاجة اليه لأتزوج .. انى استطيع ان اتزوج غيره بسهولة ..

وكان فى انتظارى ..

فتح لى الباب .. ووقف ينظر الى ، كأن كل حبه تجدد فى لحظة واحدة .. ولا ادرى لماذا شعرت ساعتها بأنه مهتز .. فيه شىء مهتز .. وابتسمت له ابتسامة قوية كأنى اشفق عليه .. اتعطف عليه ...

والقى نظرة سريعة على اصابع يدى ، كأنه يبحث فيها عن شىء ... فلم يجد فيها سوى دبلته الفضية .. واتسعت ابتسامته .. ثم اخذنى بين ذراعيه .. وضمنى اليه فى حنان عجيب لم اشعر به منه من قبل .. كأنه يستريح فى صدرى .. ثم أبعدنى عنه وابتسامته لا تزال تملأ همه .. وقال :

ـــ انتى صحيح اتخطبتى ..

وهززت رأسى وقلت :

ـــ تقريبا ..

قال وهو ينظر فى عينى كأنه يبحث عن الحقيقة :

ـــ تقريبا يعنى ايه ..

قلت وأنا أبتسم فى تدلل :

ـــ يعنى كان عندنا امبارح لغاية نص الليل ..

وادار لى ظهره ، وقد انهار وجهه حتى خيل الى ان انفه سيقع من مكانه ، وتقدم من المكتبة الصغيرة والتقط كتابا ، اخذ يقلب فيه كعادته عندما يغضب ..

وقلت فى لهجة قوية :

ـــ هاشم .. ما تعملش كده .. لازم تشجعنى على انى اتخطب .. واتجوز .. انت عارف انى مش ممكن اعيش بالشكل ده على طول ..

قال وهو يحاول أن يسترد بروده وغروره :

ـــ يعنى عايزانى أعمل ايه ؟ ..

قلت :

ـــ عايزاك تبقى لطيف معايا ..

قال :

ـــ لو كنتى عايزانى اشجعك على الجواز يبقى لازم ماكنش لطيف معاكى .. لازم اخليكى تكرهينى ..

قلت وأنا اقترب منه :

ـــ انت عارف ان عمرى ما حاكرهك .. ولو حاولت تخلينى اكرهك، حاتعلق بيك زياده .. لو كنت عايزنى اتجوز بصحيح خليك لطيف معايا لغاية ما اتجوز .. لغاية ما اقدر استغنى عنك ..

قال وهو يلقى الكتاب من يده وينظر فى عينى :

ـ واقدر اكون لطيف ازاى وانتى كنتى قاعده مع واحد تانى لغاية نص الليل ..

وقاطعته وانا التصق به :

ـ بتغير على للدرجه دى يا هاشم ..

قال وهو يشيح بوجهه عنى :

ـ مش غيره .. مبدأ .. مبادىء يا أمينه .. لازم تعرفى ان مش ممكن تكونى لرجلين فى وقت واحد .. .. الجوازه اللى فاتت ، استحملناها لأنك كنت متجوزه غصب عنك ، ولأنك اتجوزتى قبل ما تشوفينى . انما الدور ده بتتجوزى بارادتك .. ما لكيش عذر .. ولا لى عذر ..

قلت وانا أطوق عنقه بذراعى :

ـ عذرى انى لازم اتجوز وعذرك انك مش عايز تتجوز ..

ورفع يديه ليزيح ذراعى من حول عنقه .. وهو يقول :

ـ ده مش عذر .. ده موضوع تانى .. ده ..

وقبل ان يتم ، اسكته بشفتى ..

ذابت بقية كلماته فوق لسانى ..

وذبت فى قبلته .. ذبت .. كأنى لم اقبله منذ مائة سنة .. وكل قطعة منى تتمسح فيه .. وجسدى الذى شققه العطش يشرب ..

ولكن هاشم تغير

ليس عنيفا ..

لا يضربنى ..

اخذنى برفق واحترام .. كأنى شىء كبير محترم .. وفى عينيه نظرة ضعيفة مبتهلة .. كأنه يودعنى .. أو كأنه يأخذ

شيئا لم يعد من حقه .. او كأنى اصبحت اقـوى منه لمجرد أن رجلا آخر تقدم ليخطبنى ..

انى لا أريده هكذا ..

لا أريد ان اكون اقوى منه .

لا اريد ان اكون محترمة ...

اريده عنيفا كما تعودته ... يضربنى .. يمزقنى .. يلوى خصلات شعرى بين اصابعه ... وفى عينيه هــذه النظرة التى تخيفنى . كأنه سيخنقنى .. سيشرب دمى .. ســيأكلنى .. و ..

وانشبت اظافرى فى كتفه العارى .. بكل حدتها .. فصرخ ... وضربنى ..

ورغم ذلك .. فبعد أن انتهت هذه اللحظات عدت اتمتع باحساسى بالقوة .. قوتى عليه .. وتمتعت بنظرته الضعيفة وهو يسألنى فى لهفة :

ــ حاقدر أشوفك تانى ؟ ..

وقلت وانا ابتسم ابتسامة واثقة فيها خيلاء :

ــ مش عارفه لسه ..

وخرجت وانا ادب الارض بكعب حذائى العالى فى خيلاء كأنى فتحت عكا .. كأنى امبراطورة زمانى ..

وقد عدت اليه ..

عدت مرات كثيرة ، وانا اتعلل بأن خطبتى الى حسن لم تعلن بعد .. ويوم تعلن لن اذهب اليه .. سأقطع ما بينى وبينه ..

وحسن يتردد على البيت كل يوم ، يحمل شاربه الكث تحت انفه ، ويحمل فى يديه هدية .. ولكنه يأتى وحده .. المفروض ان تأتى معه امه ، أو ابوه ، أو احدى اخوته البنات ، حتى نبدأ

فى اتخـــاذ اجراءات الخطبة .. أبوه ســـافر .. أخته دخلت المستشفى ..

ولم أصدق كل هذه التعللات ..

ولخفت ...

خفت أن يكون قد سمع شيئا عن حكايتى مع هاشـــم .. ومنذ ان جاء ورأيته لأول مرة ، وانا أسائل نفسى هذا السؤال .. هل يعرف شيئا .. وطمأنتنى مواظبته على التردد على البيت ، واستمراره فى مشروع الخطبـــة .. ولكنى عدت أخـــاف .. والخوف يضعفنى أمام هاشم ..

الى ان كان يوم ..

وجاء حسن كعادته .. وبعد أن جلس مع العائلة كلها بعض الوقت ، نظر الى نظرة طويلة ، وعلى شفتيه ابتسامة باهتة . ثم التفت الى أمى قائلا :

ــ اقدر أقعد انا وميتو لوحدنا شويه ؟ ..

والتفتت أمى الى زوجها ، ثم ترددت قليلا ، وقالت :

ــ وماله يابنى .. ده حقك ..

وكانت أمى حريصة حتى هذا اليوم على ألا تتركنا وحدنا أبدا ، حتى تدخل فى وهم حسن اننا عائلة محافظة .. ولكنها اضطرت أمام نظرة حسن الجادة ، أن تذعن لطلبه ..

والتفت الى حسن وقال :

ــ تحبى نقف فى الفرانده شويه ؟

وهززت راسى بالموافقة ، وخـــرجت الى الشرفة وقـــلبى يرتجف ، واستندت على حاجزها ، أطل على الشـارع ، وجاء حسن ورائى ووقف بجانبى .. واشعل سيجارة .. وصمت قليلا .. ثم قال ودخان سيجارته يتخلل شعرات شاربه الكث :

ـــ انا حاكلمك بصراحه يا ميتو .. مش حا اخبى عنك حاجه .. واللى يخلينى اكلمك بصراحه ، انى فعلا اتمنى اليوم اللى نتجوز فيه .. أنا حاسس من دلوقتى انى باحبك .. وباحبك قوى كمان ..

ورفعت اليه عينى الواسعتين ، ثم خفضتهما ، دون ان اتكلم .. لم أجد شيئا اقوله ..

واستطرد حسن قائلا :

ـــ انا امى واخواتى ، معارضين فى جوازنا ..

ورفعت رأسى اليه فى لفتة عنيفة ، كأنى ضقت بخوفى وارتجافة قلبى ، وقلت والدماء تتجمع فى رأسى :

ـــ أنا كنت حاسة بكده .. واحب اقول لك من دلوقتى اننا مش ممكن نتجوز الا اذا كانوا اهلك موافقين .. وييجوا يخطبونى كلهم ..

وقال كأنه يعتذر لى :

ـــ ارجوكى يا ميتــو .. استحملى كلامى للآخر .. لازم نتكلم بصراحه .. ومن غير زعل .. أنا حاسس انك تقــدرى تفهمينى اكتر ما أهلى يقدروا يفهمونى ..

وعدت أطل من فوق حاجز الشرفة ، وقلت :

ـــ اتفضل اتكلم ..

قال :

ـــ اننى عارفة الأمهات ، وعقليــة الأمهات .. امى كانت الأول بتعارض لأنك سبق اتجوزت ولأنك مخلفة .. وطبعا هى فاهمه ان ابنها صغير وما يصحش انه يتجوز واحده مطلقه .

واحسست انه يشتمنى ، ولكنى بقيت صامتة .

وعاد يقول :

ـــ وطبعا ده كلام فاضى .. وانا عارف انى اقدر اقنع امى .. وعارف أن أمى مستعدة تضحى بكل آراءها علشان سعادتى .. انما فيه موضوع تانى ..

وعدت أرفع راسى اليه ، وعاد قلبى يرتجف ، وقلت وانا أحاول أن أضع على شفتى ابتسامة ساخرة :

ـــ خير ..

وقال وهو يدير عينيه عنى :

ـــ سمعت انك تعرفى .. او كنت تعرفى الدكتور هاشم عبد اللطيف .. وفضلت تعرفيه مده طويله ..

وسقط قلبى فى قدمى ..

وبقيت كما انا ، اطل من فوق حاجز الشرفة ، دون أن التفت اليه ، وقلت وانا احس بشوكة فى زورى :

ـــ سمعت من مين ؟

قال كأنه يواسينى :

ـــ من اخواتى البنات .. والحقيقة ناس كتير عارفين الحكايه دى ..

والتفت اليه والدموع تنبثق من عينى ، وقلت :

ـــ انت عايز الحق .. ايوه كنت أعرفه .. قعدت سنتين اعرفه .. وكان مفروض نتجوز .. ومتجوزناش .. وسبته .. وما كانش ممكن انى اقبل أتخطب لك الا اذا كنت سبته ..

وغلبتنى دموعى ..

بكيت من الغيظ .. بكيت من خوف الفشل ..

ونظر الى حسن فى حنان ، وقال كأنه يريد أن ينتهى من الموضوع حتى اخره :

ـــ اقدر أعرف ما تجوزتوش ليه ؟ ..

قلت بسرعة :

ــ لأنه سافل .. زى اى واحد بيعرف بنت ولا بيتجوزهاش ..

قال فى هدوء :

ــ كنتى بتحبيه ؟ ..

قلت بحدة وانا انظر اليه فى غضب :

ــ طبعا كنت باحبه .. امال كنت حا اعرفه ليه ..

قال وهو لا يزال هادئا :

ــ ولسه بتحبيه ؟ ..

قلت وانا ازداد حدة :

ــ لا .. لو كنت لسه باحبه كان زمانى لسه معاه .. قلتلك سبته .. وكفايه يا حسن .. كفايه .. انت مالكش حق تحقق معايا .. انا مش واحده خانتك ولا ضحكت عليك .. احنا لسه ما تجوزناش علشان تعذبنى بكلامك .. انا قلت لك على كل حاجه ، وبعد كده انت حر ..

وهممت ان اتركه .. ولكنه أمسك بيدى فى رفق ، وقال :

ــ انا آسف يا ميتو .. انما كان لازم اقولك كل اللى فى قلبى .. انا ترددت كتير قبل ما افاتحك فى الموضـــوع ده .. بقالى سبعة أيام ما بنمش .. وانا مقدر صراحتك .. ماتقدريش تعرفى اد ايه انا سعيد لانك اعترفت لى بكل حاجه .. الاعتراف لوحده معناه انك احسن بنت فى مصر .. معناه انك ست الستات كلهم ، واشرفهم .. وانتى عارفه انى عشت فى انجلترا .. مانيش مقفول ولا شيخ طريقه .. وعارف ان كل بنت ضرورى فى حياتها راجل قبل جوزها .. ومش عيب .. انما انا عايزك تسيبينى افكر يومين .. فيه حاجه لازم اتخلص منها قبل ما آخد قرارى .. و ..

وقاطعته قائلة فى حدة :

ـــ فكر زى ما انت عايز ..

وهممت ان ادخل الى الغرفة .. ولكننى تذكرت زوج أمى .. فتوقفت وقلت له ، وانا أمسح دموعى :

ـــ حانقول لماما وجوزها ايه !

قال :

ـــ حا اقول لهم انى لسه باقنع أمى ..

قلت :

ـــ من فضلك ما تقلهمش حاجة .. روح دلوقتى حالا .. ومش ضرورى ترجع ..

وقال وهو يبتسم ابتسامة حزينة :

ـــ حاضر ..

ثم دخلنا معا الى الغرفة .. وامى تبحلق فى وجهى لتقرأ فوقه ما تبادلناه من حديث ..

وصافح حسن امى وزوجها وقبل اخوتى الصغار .. وخرج معتذرا بأنه على موعد .. وصاح زوج امى ورائى بلهجته العسكرية :

ـــ قالك ايه ؟

قلت وأنا ادخل غرفتى :

ـــ بعدين ماما تقولك ..

ودخلت غرفتى ..

ولحقت بى أمى ..

وقلت لها ما قاله لى حسن .. قلت لها ان امه واخوته معارضين فى زواجه منى ، لانى مطلقة .. ولان عندى ابنة .. ولانى اعرف هاشم ..

دقت أمي على صدرها ، وقالت :

ــ طار الرجل ..

ثم التفتت الى بكل عينيها قائلة :

ــ وقلتى له ايه على سى هاشم بتاعك اللى مهبب عيشتنا ، وخارب بيتنا .

قلت وانا انظر الى السقف :

ــ قلت له انى كنت أعرفه وسبته ..

وعادت تدق على صدرها قائلة :

ــ وده اسمه كلام ده .. كان لازمته ايه تقولى له انك كنت تعرفى هاشم .. اذا كانت الناس فاضحاكى ، مش ضرورى تفضحى نفسك ..

قلت وانا لا زلت أنظر الى السقف :

ــ كده احسن ..

وصرخت والدموع تنطلق من عينيها :

ــ ولا أحسن ولا حاجه .. أعمل ايه بس ياربى .. يا رب حرام .. حرام .. حرام تميل بخت البنت بالشكل ده ..

ثم خرجت تمسح دموعها ..

وانا لا زلت أنظر فى السقف ..

هل كان الأفضل لى أن انكر علاقتى بهاشم .. واصر على الانكار .. لعله كان يصـــدقنى ، ويكذب كل الناس .. أم كان الأفضل هو ما فعلته .. هو أن اعترف .. انى لم أعـــترف بلا تفكير ، بل فكرت بسرعة .. فى لحظة خاطفة كان عقلى قد تحرك واتخذ قرارا بالاعتراف .. وكنت معتمدة على أن الاعتراف قد يقنع حسن بأن علاقتى بهاشم كانت بريئة ، نظيفة ، بدليل أنى أعترف بهـــا .

هل صدق حسن براءتي ..

هل يعود ..

لا ادري ..

ولكني ببينت ساعتها أني بعت مستقبلي كله لهاشم .. اني لم اعد استطيع ان اتزوج .. لا يكفي أن أكون جميلة ، وان تكون أمي وخالاتي الخمس حتى استطيع أن أتزوج في اى وقت أشاء .. وامتلأت بالحقد .. الحقد على هاشم .. لقد بعته مستقبلي وربما مستقبل ابنتي ، وهو لم يبعني شيئا سوى هذه اللحظات القصيرة ، وهذه النقود التي يعطيها لي ..

وشعرت كأني أفيق .. افيق الى الهوة السحيقة التي ترديت فيها .. وتصورت نفسي كأني انشب اظافري في جدار املس لاتسلقه واصعد الى وجه الدنيا .. الى النور .. الى المستقبل ..

لا ..

لن اعرف هاشم بعد اليوم ..

كفاني ..

ورغم ذلك . اتصلت به في التليفون صباح اليوم التالي .. كان اليوم فارغا ، وانتظاري القرار الذي سيتخذه حسن يقتلني .. فاضطررت أن أحادث هاشم .. كأني اريد أن أطمئن الى أنه لا يزال حيا حتى اقتله .. ولم أقل له ما جرى بيني وبين حسن بالأمس .. خفت ان يشمت في .. أن يفـرح .. اكتفيت أن احادثه حديثا باردا .. ولم أحدد معه موعد لقاء .. كنت قـد صممت الا اذهب اليه ..

ومر يوم ولم أسمع شيئا عن حسن ..

واليوم الثاني ..

وفي اليوم الثالث اتصل بي في التليفون ..

كان رقيقا مهذبا وفى صوته رنة ألم .. وحدثنى عما سمعه من الناس ؛ وكذبت له كل ما سمعه .. انت عارف كلام الناس يا حسن .. يعنى هم كانوا معانا يا حسن .. الناس ما يصدقوا يلاقوا حكاية يتكلموا فيها يا حسن .. أصل علشان هاشم مشهور الكلام كتر حوالى يا حسن ..

وحسن يبذل كل جهده ليصدقنى .. وليخرج من حيرته ..

واستمر حسن يحادثنى فى التليفون كل يوم .. أحيانا مرتين وثلاث مرات فى اليوم .. انه يحبنى .. لا شك أنه يحبنى .. وأمى واقفة بجانبى تتلقى منى نشرة الأخبار .. ويطمئن قلبها حينا .. وتبأس حينا ..

وطوال هذه المدة لم أذهب الى لقاء هاشم ..

كنت خائفة على نفسى من لقـــائه .. خائفة أن يطير منى حسن .. ولم يكن حسن وحده يكفى ليشغلنى عن هاشم .. ابدا .. انى لا زلت أفكر فى هاشم كل يوم .. كل دقيقة .. وقلبى وجسدى يتمزقان لهفة عليه .. ولكن المعركة كانت تعيننى على الابتعاد عنه .. المعركة التى أخوضها لاسترد حسن .. واســـترد ثقتى فى نفسى .. فى ذكائى .. فى جمالى .. فى قدرتى على التحكم فى مستقبلى ..

وعاد حسن ..

عاد يخطبنى .. وضغط على أمه واخوته البنات ، حتى جئن معه ...

وحددنا موعد اعلان الخطبة فى الأسبوع التالى ..

وامتلأ وجه أمى بالفرحة .. وزغردت خالاتى الخمس .. وقهقه زوج أمى قهقهته العسكرية .. وخيل الى أن شارب حسن ما هو الا رذاذ ضحكة كبيرة تجمدت فوق شفتيه ..

واستعدت ثقتى فى نفسى ..

كل ثقتى ..

ثقتى بأن مستقبلى بين يدى .. ملك ذكائى .. أستطيع أن انصرف فيه كيف اشاء .. مهما فعلت .. مهما قال الناس عنى ..

وفى نفس اليوم الذى جاء فيه حسن وامه ليخطبانى ، وبعد أن انصرفا اتصلت بهاشم فى التليفون ..

وذهبت الى لقائه فى اليوم التالى ..

ترى .. لو لم يعد حسن ليخطبنى ، هل كنت أعود الى لقاء هاشم ؟

لا أدرى ..

ولكن يخيل الى انه لو كان حسن قد صمم على العدول عن الخطبة ، لكان ألقى على درسا ينبهنى الى خطورة الطريق الذى اسير فيه .. ولامتلأت حقدا على هاشم الذى أضاع مستقبلى . وهجرته .. ولكن .. لأن حسن عاد ، فقد ازددت استهتارا .. وازددت اندفاعا فى جراتى .. وفى خطيئتى ..

المهم ..

ذهبت الى هاشم ، وأنا لا زلت أتحجج بينى وبين نفسى بأن الخطبة لم تعلن بعد ، وأنا يوم تعلن ، فسأكف عن هاشم .. بضعة أيام أخرى .. ثم ينتهى هاشم من حياتى ..

واستقبلنى هاشم ، ونظرة ضعيفة مسكينة تطل من عينيه المنتفختين .. كان يتألم .. ويقاوم حتى لا يبدو عليه الألم .. كان يعرف أنه لم يعد الرجل الوحيد فى حياتى .. هناك آخر ..

وشعرت بالسعادة ، وسرت القوة فى شخصيتى ، وأنا ارى النظره الضعيفة تطل من عينيه ..

يبدو اننى لا استطيع أن اكون سعيدة ولا قوية ، الا اذا كنت لرجلين فى وقت واحد ..

وقال هاشم وهو يتنهد :

ــ احنا مش لازم نشوف بعض بعد كده ..

قلت فى استهتار ساخر :

ــ ما تخافش كلها يومين ومش حاشوفك أبدا .. يا ترى حاتقدر تعيش من غيرى يا هاشم ؟

وهز كتفيه والألم مرتسم فوق شفتيه :

ــ مش عارف حاعيش ازاى .. انما متأكد انى مش حاموت ..

وضحكت :

ــ بعد الشر عليك من الموت ..

وقضيت ساعة معه أو ساعتين .. وانا اميرة .. انا المسيطرة .. انا القوية ..

وكل يوم القاء ..

آخذ منه كل ما يستطيع ، واكثر مما يريد .. كأنى اريد أن اعتصره حتى لا أترك فيه شيئا بعدى ..

الى أن أعلنت خطبتى ..

أقمنا حفلة عائلية صغيرة .. بدوت فيها جميلة .. جميلة .. أجمل مما تعودت أن أبدو .. ربما كان سر جمالى يومها هو فرحتى بنفسى ..

والتوب « البروكار » الذى كنت أرتديه ، اشتراه لى هاشم عندما سافر الى دمشق فى العام الماضى .. والحلق الماسى الطويل الذى يتدلى من أذنى اشتراه لى هاشم فى عيد ميلادى .. والخاتم ذو اللؤلؤة الواحدة اشتراه لى أيضا هاشم ...

وثيابى الداخلية كلها .. قطعة ، قطعة .. اشتريتها من نقود هاشم .. وكنت أحس بكل ذلك .. أحس بأن هاشم معى فى حفلة خطوبتى .. بل أحسست أن حسن لم يخطبنى وحدى ، بل خطبنى أنا وهاشم .. مع بعض .. أو .. على بعض ..

وضحكت لهذا الاحساس ..

واخذنا حسن بعد الحفلة الصغيرة الى الهيلتون لنسهر هناك ، ومعنا أمى وزوجها .. واعتذر أبى وزوجته ، لأنهما لا يحبان السهر فى المحال العامة ..

ودعانى حسن فى اليوم التالى لنسهر سويا .. فى ملهى قاصد خير ، وحاولت أمى أن تعارض .. حاولت أن تبدو سيدة محافظة على التقاليد لا تسمح لابنتها أن تخرج وحدها مع رجل الا بعد عقد القران ، حتى لو كان خطيبها .. ولكن امى لم تستطع ان تصر على رأيها ، فهى تعلم أن حسن يعلم عن ماضى الكثير .. وهمس حسن فى أذنى :

ــ احنا لازم نظهر مع بعض كتير ، علشان الناس تنسى الحكايه القديمه ..

وخرجت معه ، ومعنا صديق له وزوجته ..

وحسن انسان مرح .. يرقص .. ويشرب .. ويضحك كثيرا .. وضحكته تهز شاربه هزات سريعة ، فتجعلك تضحك معه .. وهو جرىء فى كلماته .. جرىء فى لمسات يده .. ان يده لا تكف عنى .. أجدها فوق يدى .. ثم أجدها فوق فخذى .. ثم اجدها على كتفى .. وأجدها تعبث بشعرى .. واجدها تمسح على ظهرى وهو يرقص معى .. لا استطيع ان اتخلص منها .. انى اقضى السهرة كلها ، أزيح يده عنى ..

وعندما أوصلنى بسيارته بعد قضاء السهرة ، مال على

نيقبلنى .. لم يكن يريد قبلة هادئة .. قبلة على خدى .. أو على يدى .. كان يريد قبلة كبيرة .. وفوجئت به فوق شفتى .. لا يريد أن يتخلى عنهما .. وأنفاسه تهب على كنفخ النـــار .. واعصابه كلها مشدودة حولى .. واضـــطررت أن أكون عنيفة لازيحه عنى .. وانا أكاد أصرخ :

ــ مش كده يا حسن .. ما تبقاش مجنون ..

وفتحت باب السيارة ، ونزلت بسرعة ، كأنى اهرب .. وابتسمت له .. كأنى أرطب أعصابه بابتسامتى ..

وكل ذلك لم يغضبنى من حسن ..

لم أكن أحبه .. قطعا انى لا احبه .. ولكنى كنت أستطيع أن أحتمله ... ولكن ما لم أحتمله منه هو انه لم يستطع ان ينسى هاشم .. كان يذكرنى به دائما .. كان يقطع ضحكته العالية ويهمس فى أذنى .. النهارده شفت الدكتور بتاعك .. ثم يندمج فى حديث مع أصدقائه ويعود الى هامسا .. كنتى بتروحى معاه فين .. ثم يشرب من كأسه ويعود يهمس .. فيه واحده قالت لى النهارده اذك مش ممكن تنسى هاشم .. انه مسيطر عليكى .. ساكنك من جوه .. و .. و ..

وقد ذكرت له كل ما استطيع أن أذكره عن علاقتى بهاشم .. وأصر دائما على أنها كانت علاقة بريئة .. وكنت أجيب على بعض أسئلته السخيفة .. واتجاهل البعض الآخر .. ولـــكنه لا يكف عن الحديث عن هاشم ..

وكان حسن يتركنى ، وبمجرد أن يتركنى اجد نفسى افكر فى هاشم .. إفكر فيه بكل قطعة منى .. كان حسن يتركنى لهاشم ..

ومنذ أن أعلنت خطوبتى وقد امتنعت عن لقاء هاشم .. حادثته

فى التليفون مرة أو مرتين .. وذكرت له الأماكن التى أسهر فيها مع خطيبى ، فقط لأغيظه .. ولم أطلب منه شيئا .. ولا هو طلب منى شيئا ، فقط قال فى هدوء وألم :

ــ ارجوكى يا امينه تبقى تقوليلى حاتسهرى فين ، علشان ما اسهرش فى نفس المكان ، ونحرج بعض ..

وقلت وقلبى ملهوف عليه :

ــ حاضر ..

ولكنى لم اكن أحادثه فى التليفون كل يوم حتى أقول له أين اسهر هذا المساء .. كنت اريد أن اعود نفسى على الحــرمان من صوته كما حرمت من لقائه ، وربما كنت أستطيع .. كان يمكن أن أقلل من هذه المحادثات التليفونية الى أن تنقطع .. لو أن حسن ساعدنى .. ولكن حسن لم يساعدنى .. بالعكس .. انه يذكرنى دائما به .. بهاشم .. يذكرنى بأنى لازلت أحبه .. بأنى لا زلت فى حاجة اليه .. يذكرنى به وانا معه .. ثم يتركنى له بعد أن يوصلنى الى البيت ..

ولم استطع أن أقاوم طويلا ..

ذهبت الى هاشم ..

دبلة الخطوبة .. فى اصبعى !

اتصلت به فى التليفون ، وقلت :

ــ عايزاك ضرورى ..

قال :

ــ خير ..

قلت :

ــ ما قدرش اقول لك فى التليفون .

قال :

ـ أحسن بلاش نتقابل يا امينه ..

قلت فى حدة :

ـ انت فاكر أنا عايزه أقابلك علشـــان حاجه .. ابدا .. لولا انها مسألة مهمة ما كانش ممكن افكر انى اشوفك ..

واستسلم ..

ولقينى زوجته متجهم .. وبوزه شبرين .. كأنه يضع نفسه فى حالة يستطيع بها أن يدافع عن نفسه ..

لا داعى للتفاصيل ..

لقد استمرت علاقتى بهاشم وأنا مخطوبة لحسن .. واستمر هاشم يدفع لى مرتبى الشهرى .. والتناتيش .. وربما رضى هاشم أن تستمر علاقتنا لانى اقنعته بأنه لو تركنى الآن فسأتعلق به اكثر ، ولن احتمل أن أعيش بعيدا عنه .. ولكنى اكتشفت يومها شيئا جديدا فى هاشم .. اكتشفت انه يخافنى .. او على الأصح يخاف الفضيحة .. وقد كان يعتبرنى مجنونة .. ويخاف ان ينطلق جنونى اذا عاندنى ، فأتسبب له فى فضيحة تهز مركزه واحترامه .. لذلك رضى أن يستسلم لى الى ان يوصـــلنى الى باب زوجى ، كما كان يقول ..

وكنت فعلا أمنى نفسى بأن اقطع علاقتى به بعد أن أدخل بيت زوجى .. بعد كتب الكتاب .. وقد فشلت فى ان أقطع علاقتى به بعد اعلان الخطبة .. ولكن ما هى الخطبة .. انهـــا مجرد كلام .. انها شىء لا يربطنى بحسن .. انها مجرد فترة تفاهم .. بل انى الى الآن لا اعتبر انى اخون حسن .. انى لم اصبح زوجته بعد حتى احاسب على خيانته .. اما بعد كتب الكتاب فسأصبح زوجته ، ويومها يستطيع ان يحاسبنى الناس ، واستطيع ان احاسب نفسى اذا خنته ..

واقنعت نفسى بهذا الكلام .. واصبحت أخرج مع خطيبى حسن .. وأتسلل لألتقى بهاشم .. عشرات الحيل كنت ابتدعها لألتقى به .. وكل حيلى تجوز على حسن .. وكلاهما ــ حسن وهاشم ــ سعيدان بى .. كل منهما يأخذ نصيبه .. وآخذ منه نصيبى .. وأنا قوية .. أشعر بشخصيتى كاملة ثابتة .. قوية على حسن بهاشم .. وقوية على هاشم بحسن .. وسعيدة بقوتى .. كنت أيامها فى منتهى السعادة .. سعادة سوداء .. سعادة مدنسة .. ولكنها سعادة ..

وقد حدث فى هذه الأثناء حادث صغير أعتقد انه كان له فى حياتى اثر كبير .

كنت فى زيارة ابى ، وأستقبلتنى زوجته مرحة اكثر مما تعودتها .. ترتدى قميص نوم فوقه روب دى شامبر ، مشغولين بالدانتيل .. وابتسامة كبيرة تقفز فوق شفتيها وتطل من عينيها .. وسألتها وانا دهشة لحالها :

ــ مالك يا فايزه .. ايه اللى مفرحك كده ؟ ..

ونظرت الى والفرحة تلمع فوق خديها :

ــ اقول لك ولا تقولبش ..

قلت وانا لازلت غارقة فى العجب :

ــ قولى ..

قالت كأنها تزغرد :

ــ اصلى امبارح اتجوزت ابوكى ..

وخبطت على صدرى وانا اضحك قائلة :

ــ انتم كنتم لسه ما تجوزتوش ..

قالت وهى تعوم فى ضحكة رنانة :

ــ لا .. أصلى انا اتجوزت ابوكى حته حته ..

قلت فى دهشة :

ـــ حته حته ازاى ؟ ..

قالت كأنها تروى قصة عمرها :

ـــ شوفى يا ستى .. بأه انا عرفت ابوكى وهو مجوز البلوة الى كان متجوزها .. وقعدت معاه سنتين من غير جواز .. وبعدين كتبنا ورقه واحده .. ورقه عرفيه .. وفضل ابوكى شـــايل الورقه معاه .. وطبعـــا ما سكتش بعد كمان سنه .. خليته طلق مراته .. وكتب الورقه التانيه .. اديتها لأبويا ، وجبت قعدت مع أبوكى .. يعنى اتجوزنا جواز عرفى .. وبرضه ما سكتش .. فاتت كما ســـنتين .. وامبارح بس كتب على شرعى .. هو انا كنت أقل من مين .. ده ضفر رجلى بعمر الستات اللى اتجوزهم كلهم .. ما عدا مامتك طبعا .

ونظرت الى زوجة ابى وأنا مبهورة ، كأنها فتحت لى عالما جديدا مستورا . لم اسمع عنه من قبل .. وبسرعة وجـــدت نفسى أفكر فى هاشم .. لم يخطر على بالى من قبل أن أتزوج هاشم حته حتة .. حتة .. وكنت أسمع عن الزواج العرفى .. ولكنى كنت اسمع عنـــه كما اسمع عن الحشيش ، وعن الأفيون .. اشياء موجودة ولكنها ليست موجودة فى حيـــاتى .. فقط أسمع بها .. ولكنى اكتشفت ان الزواج العرفى يمكن أن يوجد فى حياتى .. انه موجود فعلا وابى قد تزوج عرفيا .. واكتشفت ايضا أن الزواج العرفى قد يبدأ بورقة واحدة .. ثم ورقتين .. ثم زواج شرعى .. حتة حتة ..

وعدت أنظر الى زوجة ابى ، مبهورة الأنفاس .. كأنى أنظر الى ساحرة .. الى سيدة عظيمة .. شاطرة وامتلأت عيناى الواسعتان بالحسد .. حسدتها على شطارتها .. وعلى ذكائها ..

ترى . لو كنت حاولت أن اتزوج هاشم بورقة واحدة .. ثم ورقتين .. هل كان قد انتهى بى الامر الى ان اصبح زوجته الشرعية !

من يدرى ..

واخذت استزيد زوجة ابى من التفاصيل .. عصرت منها كل ما تعرفه عن الزواج العرفى ، وعن الطريقة التى اتبعتها لتقنع ابى بها .. وتركتها وقد اصبحت مثلى الأعلى بين النساء .. وكان هذا المثل الأعلى كفيلا بأن يدمر ما بقى منى ..

ولم أحاول بعدها مباشرة أن اقنع هاشم بالزواج العرفى .. صحيح انى كنت اتمنى أن اتزوجه أكثر من أى شىء فى الدنيا .. فلم يكن زواجى به هو مجرد نظرة الى المستقبل ، بل كان أيضا تصحيحا للماضى الذى عشت فيه .. كان زواجى به براءتى من كل خطاياى .. يغسل قلبى وجسدى .. ولكنى رغم ذلك ، لم احاول فى مبدأ الأمر ان افتح له موضوع الزواج العرفى . انما كنت أحاول أن اكتفى بنصيبى .. أكتفى بحسن .. وأحمد الله .. ولكنى لم أستطع أن انزع فكرة الزواج العرفى من رأسى .. كنت اقضى ساعات طويلة وأنا أتصور أن هاشم كان من الممكن ن يتزوجنى زواجا عرفيا .. على الأقل بورقة واحدة ، يحتفظ بها معه .. فهو لن يخسر شيئا بهذه الورقة .. ويستطيع أن يمزقها فى اى وقت يشاء .. ويستطيع أن ينكر زواجه بى أمام الناس اذا أراد .. ولكنها تحمل لفظ الزواج .. انها على الأقل ترضى كبريائى .. ترفعنى عن مستوى البنات اللاتى يعرفهن هاشم .. ويمكن بعد ذلك أن تصبح الورقة ورقتين .. ثم تصبح زواجا شرعيا .. بعد أن يكون هاشم قد

تعود على نوع من الحياة الزوجية .. واطمأن الى .. وشفى من غروره .. تماما كما فعلت زوجة ابى ..

وكنت احاول أن أطرد هذه الأفكار من راسى ..

ولكنها تعود الى ..

وفى كل يوم ارى افكارى اوضح من اليوم السابق .. وفى كل يوم أقسو فى لوم نفسى لأنى لم اعرض على هاشم فكرة الزواج العرفى قبل ان اعلن خطبتى على حسن .. وأندم على العمر الطويل الذى فات وأنا جاهلة ، مغمضة العينين ، لا أدرى أن هناك طريقا للزواج اسمه الزواج العرفى ..

وهذا الاحساس دفعنى دون ان أدرى الى التهاون فى اتخاذ الحيل التى تعودت أن ألجأ اليها حتى لا اثير شك حسن فى كلما ذهبت الى لقاء هاشم .. فاندفعت فى لقائه ، أكثر جراة .. وتهاونت حتى فى ملاحظة نظرات الشك التى بدت تطل من عينى حسن .. واسئلته الكثيرة السخيفة التى يوجهها لى .. ثم لم احاول ان اكتشف سر تغير معاملة حسن لى .. لقد اصبح يعاملنى كأنى عشيقته لا خطيبته .. ويقبلنى قبلات وقحة .. ويطالبنى بأشياء لا يمكن لرجل يحترم خطيبته أن يطالب بها .. بل انه عرض على ذات ليلة ونحن عائدان من سهرتنا ، أن يصحبنى الى شقة أحد أصدقائه .. وغضبت يومها .. ثرت .. وكدت اصفعه على وجهه .. ونزلت من السيارة ، وتركته يجرى ورائى ، ويقبل يدى وهو يعتذر لى ويؤكد أنه لم يكن يقصد شيئا ..

الى أن كان يوم ..

وكنت مع هاشم فى شقته فى الزمالك .. وكنت قد قلت

لحسن انى ذاهبة الى زيارة ابى .. واطمأننت الى انه سينام بعد الغداء كعادته ..

ثم تركت هاشم ..

وما كدت أخرج من باب العمارة حتى وجدته أمامى ..

حسن ..

فى سيارته ..

وقفت انظر اليه ودمائى تنسحب منى .. وقشعريرة تسرى فى بدنى .. وهو يطل من نافذة السيارة ، ويبتسم ابتسامة تسيل من تحت شاربه الكث .. كأنه فرح لأنه ضبطنى .. كأنه يتباهى على بذكائه ..

ولا أدرى هل فكرت ساعتها أم لم أفكر .. ولكنى وجدت نفسى اندفع الى سيارته ، وافتح بابها ، واجلس بجانبه ثم قلت فى برود :

— من فضلك وصلنى البيت .

ونظر الى فى دهشة ، واهتزت ابتسامته تحت شاربه ؛ كأنه فوجىء بتصرفى .. ثم قاد سيارته فى صمت ..

واستمر الصمت بيننا فترة طويلة الى ان وصلنا من الزمالك الى شارع رمسيس .. ثم التفت الى وقال ، وشاربه مسدل فوق شفتيه وعلامات الجد تكسو جبينه :

— اسمعى يا ميتو .. انا ..

وقاطعته قبل ان يتم ، وانا لا انظر اليه :

— احنا لازم نسيب بعض يا حسن .. انا لسه باحب هاشم .. وهو مستعد يتجوزنى ..

وارتفع حاجباه ، وقال وقد انقلب موقفه من الهجوم الى الدفاع :

ـ ازاى ده .. هى المسائل سهله بالشكل ده يا مينو ..
قلت :
ـ كل حاجة صريحه سهله .. وانا باكلمك بصراحه ..
قال وقد بدأ بنهار :
ـ واشمعنى عايز يتجوزك دلوقتى ..
قلت فى سرعة وبرود :
ـ لأنه ما استحملش ان واحد تانى يتجوزنى ..
قال والألم ينضح من عينيه :
ـ يعنى انا كنت لعبه فى ايديكى .. لعبت دورى .. ورميتينى .. مش كده ..
قلت وقد بدأت اشفق عليه :
ـ أبدا يا حسن .. أنا ما كنتش فاكره ان هاشم بيحبنى للدرجه دى .. ما كنتش منتظره ابدا انه حايفكر يتجوزنى ..
قال وكأنه على وشك أن يبكى :
ـ بس أنا حبيتك أنا كمان يا ميتو .. وفكرت أتجوزك قبل ما يفكر ..

وفكرت لحظتها أن أعدل عن خطتى .. ان افيق من جنونى .. ان اقبل حب حسن .. وان اسأله الصفح .. ولكن كان من المستحيل أن أعدل .. كنت منساقة فى خطتى بدافع مجهول .. كأنى القى نفسى فى البحر .. فى النار .. وقلت :
ـ أنا آسفة يا حسن .. مش عارفه أقولك ايه .. بس كده أحسن ..

ولعل ما حدث كان هو الأحسن فعلا .. لعل حسن لم يكن ليصفح عنى أبدا بعد أن رآنى خارجة من العمارة .. من شقة عشيقى .. وربما كان خوفى من الا يصفح عنى حسن . هو الذى

دفعنى الى التمسك بخطتى .. بكذبتى .. رغم الحاج حسن .. رغم توسله .. رغم دموعه التى بللت شاربه ..

وقد كان حسن نبيلا ..

لم يقل شيئا لاهنى ..

كل ما قاله اننا لم نتفاهم ، واننى انا التى طلبت فسخ الخطبة .. وانسحب .. رفض أن يسترد هداياه .. بل رفض أن يسترد الدبلة .. دبلة من ماس ..

ولطمت ساعتها أمى ..

وحاولت أن اكرر عليها قصة هاشم وانه قرر أن يتزوجنى .. ولكنها لم تصدقنى .. انها تبكى .. تبكى كل دموعها ، وتدعو على هاشم ، وسنين هاشم ..

المهم هو زوج أمى ..

لقد صرخ فى وجهى :

— على الطلاق بالتلاته ماانتى قاعده فى بيتى .. انتى جرستينا وخليتى راسنا فى التراب .. انتى فاكره انى مش عارفك وعارف بتعملى ايه .. انتى طالعه لابوكى .. منحله .. بايظه .. انتى ما يصحش تقعدى فى عيله .. انتى تقعدى فى الشارع .. فى كباريه .. انا عندى بنات خايف عليهم .. وخايف على سمعتهم .. اطلعى بره بيتى .. بره ..

وصرخت أمى ..

وارتمت على صدره تستعطفه بدموعها :

— اهدى بس يا خويا .. مش كده .. حرام عليك دى مالهاش حد غيرك .. دى بنتك .. انت ربيتها وهى لسه عندها تلات سنين .. علشان خاطرى .. ابوس رجلك ..

وعاد يصرخ :

ــ انا حلفت بالطلاق .. فاهمه يعنى ايه الطلاق .. وعلى الطلاق بالتلاته ما انى شايفه بنتك دى بعد النهارده .. لو شفتيها تبقى طالقه . طالقه .. حرام عليكى خافى على بنتك الصغيره .. خافى على بنتنا .. وسمعتنا ..

ولم أعد احتمل .. لم ابك .. لم اتوسل .. لقد ركبنى ساعتها شيطان اهوج .. وصرخت فى وجه زوج أمى :

ــ انت فاكر انى ماليش اب . انا كنت قاعده هنا علشان ماما مش علشان محتاجه لك .. انا رايحه لبابا ..

وحملت ابنتى .. فى قسوة كأنى أحمل حقيبة ثيابى ..

وخرجت ..

وتعلقت أمى بأذيالى ، ودموعها تجرى على خديها ، وتقع تحت أقدامى :

ــ استنى يا مينو .. استنى ..

وقلت كأنى أكيد منها :

ــ لا يا ماما .. مش ممكن اسيبك تطلقى علشانى ..

قالت وهى تحاول أن تمد يدها الى ابنتى هدى :

ــ طبب سيبى هدى .. الدنيا ليل يمكن تاخد برد ..

قلت وانا أنزع نفسى منها ، وابعد ابنتى عن يديها :

ــ لا .. دى بنتى ..

وخرجت ..

طردت ..

وذهبت الى بيت ابى ..

واستقبلنى ابى فى صمت حزين ، فقد كان زوج أمى قد اتصل به ، وابلغه انه لم يعد يستطيع ان يحمل مسؤوليتى بعد ان فسخت خطبتى لحسن .. وقال له كل ما يعرفه عنى ..

وكانت لي غرفة في بيت ابى كما ذكرت ، وكنت أذهب اليه واقضى في بيته أياما .. ولكنى في هـذا اليـوم لم أشـعر انى ذهبت الى بيت أبى .. شـعرت انى دخلت الى بيت غريب .. ليس هذا بيتى .. لأن ليس فيه أمى .. وأنا غريبة هنا ..

ووضعت ابنتى مى فراشى ..

وانكفأت بجانبها أبكى ..

بكيت الليل كله ..

ولم أعد من ليلتها الى بيت أمى .. وأصبحت لا أراها الا سرا .. كأننا عاشقان .. خوفا من أن يعلم زوجها بلقائنا فيوقع عليها يمين الطلاق .. كنا نتقابل في بيت خالة من خالاتى .. وأحيانا نتفق على اللقاء عند الخياطة .. وأحيانا فى دكان من دكاكين شارع قصر النيل ..

ودخلت من يومها فى حياة جديدة ..

وقد هرعت الى هاشم فى اليوم التالى ، وقلت له والدموع تملأ عينى :

ــ أنا فسخت خطبتى .. سبت خطيبى ..

وامتلأ وجهه بالذعر ، وقال وكأنه بلع حصاة :

ــ ليه ؟ ..

قلت :

ــ علشانك ..

قال وهو يبتعد عنى ويشوح بذراعيه :

ــ علشانى أنا .. ليه أنا عملت ايه .. أنا قلت لك سيبيه ..

قلت وأنا أنشج فى بكائى :

ــ شافنى وأنا خارجه من عندك ..

ونظر الى وكأنه يتهمنى بالكذب :

ـــ وعرف الشقه منين ..
قلت :
ـــ مش عارفه .. يمكن كان بيراقبنى ..
وصرخ :
ـــ انتى السبب .. انا قلت لك مش لازم نشوف بعض بعد ما تخطبتى ..
قلت وأنا أحتد فى بكائى :
ـــ انا ضيعت حياتى كلها علشانك يا هاشم .. حياتى كلها ضاعت .. مش بس سبت خطيبى .. وجوز أمى طردنى من البيت ..
ثم ارتميت على الأريكة ابكى بكاء صارخا .. واشد شعرى بأصابعى .. أشد بقسوة .. لعل الألم الذى اشعر به من شد شعرى ، يخفف من الألم الذى اشعر به فى صدرى ..
وجاء وجلس بجانبى واخذ يربت على ظهرى بيد ثقيلة ليس فيها حنان .. وقال فى صوت جاف :
ـــ ما تعيطيش يا امينه .. العياط مش حايحل حاجه ..
وعندما رفعت راسى اليه ، رأيت وجهه مكتسيا بالألم ، وشفتيه مقلوبتين ، كأنه قرفان من حياته .. ومنى ..
والقيت نفسى من فوق الأريكة ، وسجدت تحت قدميه ، وتعلقت بركبته ، ورفعت اليه عينى المخضلتين بالدموع ، وقلت فى توسل :
ـــ احنا لازم نتجوز يا هاشم .. لازم .. لازم ..
وأدار رأسه عنى ، وقال وهو يتنهد :
ـــ ما حدش بيتجوز بالطريقة دى يا امينه ..
قلت على الفور :

ـــ نتجوز جواز عرفى ..

ونظر الى فى دهشة كأنه فوجىء باقتراحى ، وقال :

ـــ ما فيش حاجه اسمها جواز عرفى ، وجواز شرعى .. يا جواز ، يا مش جواز ..

قلت كأنى لم أسمع كلامه :

ـــ نكتب ورقه واحده .. وخليهـا معـاك .. بس نتجوز .. اى جواز ..

وازاحنى من تحت قدمية ، وقام واقفا ، وقال محتدا :

ـــ ايه اللى ورقه واحده .. ورقتين .. جايبه الكلام ده منين .. ما فيش حد عيله تفكر التفكير ده أبدا ..

قلت :

ـــ طيب تعـال نقف فى البلكونه .. ونرفع راسنا لربنا .. وتقول انك اتجوزتنى ..

وصرخ :

ـــ انتى حاتجنينى .. الجواز مش كلمـه .. ولا ورقه .. الجواز بيت وعيله ، وأولاد .. وأنا مش عايز لا بيت ولا عيله ولا اولاد . ولازم تواجهى الحقيقه .. لازم تعرفى ان احنا مش متجوزين ، ومش حانتجوز .. وما تضحكيش على نفسـك .. واجهى الحقيقه علشان تعرفى تتصرفى ..

وبقيت صامتة ..

كل شىء فى داخلى صمت فجاة ، حتى دموعى ..

وقلت وانا ساهمة :

ـــ طيب بلاش .. بلاش يا هاشم .. حاافضل معاك من غير جواز .. حاواجه الحقيقه ..

ولم أكن صادقة فيما قلت ..

ولكننى فجأة ، اكتشفت انى تعجلت .. كان يجب ان انتظر مناسبة أخرى لاحاول ان اقنعة بالزواج .. والزواج العرفى .. وتركته ..

عدت الى بيت أبى ..

وفى بيت ابى حياة تختلف تماما عن الحياة فى بيت أمى .. حياة منهارة ، ضائعة ، مفكوكة .. ليس لها تقاليد ، ولا صواميل تربط كل قطعة منها بالأخرى .. وكان أبى يخرج فى الصباح .. ويعود فى المســاء .. ويجلس مع زوجته ، ومعى وأحيانا يدعو معنا أحد اصدقائه .. ويشرب زجاجة كاملة من الكونياك .. ويداعب زوجته مداعبات جريئة صريحة .. امامى .. وامام صديقه .. وأحيـانا يداعبنى أنا أيضـا نفس المداعبات .. ثم بدأ يداعب ابنتى أيضا بنفس انجراة .. ويأكل كثيرا من اللحم .. ثم ينام ، ويرتفع شخيره حتى الصباح .. ليخرج من البيت ، بعد ان يترك انا عشرين قرشا لنشترى بها العيش والخضار ، اما اللحم فكان يشتريه بنفسه ويحمله معه عندما يعود فى المساء .. واجلس انا وزوجته طوال النهار ليس لنا عمل الا انتظار ابى .. قد تذهب زوجته الى زيارة جيرانها فى العمارة .. وابقى أنا أتحدث فى التليفون .. وأشغل نفسى بابنتى هدى .. او أنزل البلد ، لأطوف بالدكاكين وأشترى ما يروق لى ..

وكان ابى يرانى اشترى كثيرا .. كل يوم ادخل بقطعـة قماش ، أو حذاء ، او حلية .. فلا يسألنى ابدا من اين احصل على النقود التى أشترى بها .. هل كان يعرف .. لا أدرى .. هل كان من الغفلة بحيث لا يخطر على باله أن يسألنى .. لا ادرى أيضا .. ولكن زوجته لم تكن غافلة ، ولا طيبة .. انها تواجهنى والسؤال الكبير يطل من عينيها .. واضطررت ان أعترف لها ..

قلت لها انى اعرف الدكتور هاشم .. وضحكت ضحكة باردة وأنا اقول لها :

ــ اللى بيبى وبينــه ، زى اللى كان بينــك وبين بابا قبــل ما تتجوزوا ..

وضحكت ضحكة صارخة كهدير الشلال .. وقالت فى مياعة :

ــ عقبالكو زينا .. ونبقى كلنا فى الهوا سوا ..

والأيام تمر .. وعقلى يطن كخلية النحل وأنا افكر فى الطريقة التى اتزوج بها هاشم حتة حتة .. وكنت أستعرض كل ما ضحيت به من أجله ، فأجد أن لا سبيل أمامى الا الاستمرار فى المجازفة .. أصبحت كالمقامر الذى خسر معظم ماله ، ولم يبق الا القليل ، فيضطر أن يجازف به لعله يسترد ما خسره ..

وقررت ان ابدأ بأن اقنع هاشم بأنى فتاة فاضلة .. عاقلة .. لست مجنونة كما يعتقد .. فأصبحت لا أخرج من البيت الا نادرا ، وبعد أن استأذنه .. وامتنعت فعلا عن التسلى فى التليفون .. وكان هاشم ــ بعد أن انتقلت الى بيت أبى ــ يستطيع ان يكلمنى فى التليفــون فى اى وقت .. فأبى غائب طول النهار .. حتى لو كان أبى فى البيت ، فهو لم يتعود الرد على التليفون ، وكان يتركنى أنا أو زوجته نرد عليه .. ولكن هاشم لم يكن ابدا يطلبنى فى التليفون ، كنت أنا التى أطلبه .. لم يكن يطلبنى الا بعــد ان الح عليه ، وأتظاهر بالغضب .. ويعتذر لى بأنه مشــغول .. وبأنى فاضيه .. وفى المرات التى طلبنى فيهــا بالتليفون فرحت .. فرحت فرحة كبيرة كأنه جاء يخطبنى ..

ولم أكن أريد من هاشم شيئا خلال هذه الفترة الا ان يخلص

لى .. ان اخلاصه لى هو الأمل الوحيد فى أن يتزوجنى يوما ما .. ولو بورقة واحدة .

ومرت ثلاثة أسابيع منذ فسخت خطبتى الى حسن ..

ثم ..

تكررت المأساة ..

بحثت عن هاشم فلم اجده فى العيادة ، ولا فى البيت ولا فى مطعم الجريون ، ولا فى أى مكان يذهب اليه .. ولم يقل لى التومرجى انه ذهب لعيادة مريض ..

وذهبت الى الشقة والجنون يزحف على عقلى ..

ووجدت سيارته أمام العمارة ، لم يحاول اخفاءها ..

وصعدت ودمائى تتجمع فى عينى .. وقلبى يدق كأنه يمزق نفسه .. وضغطت على الجرس بيد باردة .. ولم يترك لى هاشم فرصة لأثير فضيحة فى العمارة .. فتح لى الباب بسرعة .. وتركنى أدخل .. واغلق الباب ورائى .. ثم وقف امامى وهو بالقميص والبنطلون وفى عينيه نظرات متحدية متحفزة .. كأنه صمم على قتلى ، لو حاولت ان ادخل لأبحث عن الفتاة التى معه ..

ووقفت أمامه أرتعش ..

ثم صرخت ..

صرخت صرخات كثيرة كأنى أطلق النار من صدرى .. واشد شعرى .. وأخبط الأرض بقدمى ..

ثم وقعت على أقرب مقعد ، وأنا أبكى واقول كأنى اصرخ :

— حرام عليك يا هاشم .. حرام عليك .. حرام تعمل فى ده كله ..

وهو واقف امامى ، صامت .. يحمى بجسده المرأة الأخرى التى فى الداخل ..

وفجأة جرت دموعى ..

ورفعت اليه رأسى ، وقلت والجنون يطل من عينى :

ــ انت ما تستاهلش .. انت سافل .

ثم انتفضت واقفة .

وخرجت ..

ورزعت الباب ورائى ..

وعدت الى البيت .. وبقايا دموعى متجمدة فوق خدى .. وبقايا صراخى تجرح حلقى ..

ورفعت سماعة التليفون وانا لا زلت الهث ، واتصلت بحسن ، وقلت له بمجرد ان سمعت صوته :

ــ حسن .. أنا مستعده أرجع لك ، واعمل فى اللى انت عايزه .. كل اللى انت عايزه .. بس رجعنى يا حسن .. أرجوك .. انا خلاص .. تبت .. حرمت ..

وقال حسن فى لهفة :

ــ طيب اهدى يا ميتو .. حصل ايه ..

وقلت وقد عادت دموعى المتجمدة تذوب :

ــ قوللى الأول انك مستعد ترجعنى ..

قال فى حنان ملهوف :

ــ طبعا مستعد .. انتى عارفه يا ميتو انى باحبك ..

قلت :

ــ طيب فوت على بعد ساعة .. استنانى قدام باب عمارتنا ..

وقال :

ــ حاضر .. بعد ساعه حاكون عندك ..

وكان حسن طوال هذه الذترة التى أعقبت فسخ خطوبتنا لا يزال الانسان النبيل .. لا يزال يرفض ان يسترد هداياه .. او يسترد الدبلة .. وكان يحدثنى فى التليفون .. ويقول لى كلاما رقيقا حنونا .. ويؤكد أنه يحبنى .. وانه لا يستطيع ان يصدق اننا دسخنا خطبتنا ..

كنت متأكدة ان حسن انسان نبيل ..

وبدات أستعد للقائه .. ووجهى فى المرآة أصفر فى لون الموت .. وعيناى شقت فيهما دموعى خطوطا حمراء .. ومعدتى تتقلص .. وقلبى يتلوى .. وصدرى ينقبض كأنى أحمل فوقه الف كيلو .. ان الم الغيرة .. الم الفشل .. ليس مجرد الم نفسى انه الم جسمانى أيضا .. كأن فى داخلى آلات تعذيب تنطلق لتكوى كل قطعة من جسدى ..

ودخلت الحمام ، ووقفت تحت الدش مدة طويلة لعلى اغسل عن جسدى العذاب .. لعلى استرد بعض شبابى .. بعض نضارتى .. ثم سكبت على جسدى نصف زجاجة كلونيا .. ونصف علبة بودرة « تلك » لعلى انتعش ..

وخرجت أتزين أمام مرآتى ...

ولعلى بالغت فى وضع الكحل .. وبالغت فى صبغ جفونى باللون الأخضر .. وبالغت فى وضع « الريمل » على رموشى .. حتى بدا كل رمش كأنه سهم منطلق فى الهواء .. ولعلى ايضا بالغت فى صبغ شفتى بالروج .. لقد كنت ساعتها عصبية .. فاقدة الثقة فى جمالى .. فبالغت .. وكلما بالغت ازدادت عصبيتى ، وتهاوت ثقتى فى نفسى .. فبالغت اكثر ..

وقد رايت اثر هذه المبالغة فى عينى حسن عندما نظـر الى وهو جالس أمام عجلة القيادة فى سيارته .. نظر الى كأنه يرى أمامه ، مجنونة ..

وجلست بجانبه صامتة .. وقلبى لا يزال يتلوى ..

وقال والسيارة تتحرك بنا :

ــ تحبى نروح فين ..

قلت وأنا لا أنظر اليه :

ــ زى ما انت عايز .. خدنى فى حته نقعد نتكلم فيها ..

قال وصوته يرتعش قليلا :

ــ تحبى نروح نقعد فى بيت ..

قلت بلا مبالاة :

ــ بيت مين ؟

قال :

ــ بيتى .. قصدى يعنى .. شقة ..

ــ انت عندك شقه ؟ ..

قال :

ــ كانت عنـدى من زمان .. وناوى أبيعها .. من يوم ما تخطبنا وأنا بادور على حد يشتريها .. صدقينى ..

وقلت والابتسامة الساهمة على شفتى :

ــ مصدقاك ..

وقاد سيارته فى اتجاه شارع سليمان باشا .. وعاد يقول فى تردد :

ــ تحبى نروح هناك ؟ .. علشان تشوفيها .. وانتى اللى تبيعيها .. تبيعى كل حاجة كانت فى حياتى قبل ما اقابلك ..

ونظرت اليه كأننى أختبره ؛ ثم قلت :

ــ زى ما انت عايز ..

وذهبنا الى شقته ..

كل الشقق التى من هذا النوع لها ريح واحد .. قد تختلف فى اثاثها .. قد تختلف فى نظافتها . قــد تختلف فى اهتمـــام صاحبها بها .. ولكن كلها لها ريح واحد .. هذا الريح الحزين الصامت .. كأن على جدرانها بقايا دموع ..

ودخلت بلا مبـــالاة .. وتطلعت حـــولى فى صمت .. لم يرتجف فى شىء .. كانت الصـــدمة التى صدمنى بها هاشم قد سحبت كل احساسى ..

وجلست على مقعد دون أن انظر الى حسن ..

وجاء وجلس قبالتى على مقعد آخر .. وامسك بيدى وقال وشاربه الكث يرتفع فوق ابتسامة حنان :

ــ احكى يا ميتو .. احكى لى على كل حاجه ..

وتعلقت عيناى بشاربه الكث ، كأنى أعد شعراته .. وقلت وأنا ساهمة :

ــ أنا سبت هاشم خلاص .. عمرى ما حارجع له تانى .. عمرى .. ضحك على مره تانيه ..

واخذت اروى قصتى لحسن .. رويتها كلها .. ما عـــدا أن هاشم يدفع لى مرتبا شهريا .. وكنت أتكلم ســـاعتها كأنى أتكلم مع نفسى .. كأنى أراجع كل يوم من أيام عمرى الضائع .. وحسن لا يزال يمسك بيدى .. وفى عينيه نظرة رثاء كبيرة .. يشوبها غيظ .. غيظ من هاشم ..

وقلت له ودموعى على خدى :

ـ أنا كنت باحبه .. انما اللى عمله يخلينى أتوب عن حبه .. يخلينى أكرهه .. أنا باكرهه .. باكرهه موت .. لو كان بايدى كنت تطعت قلبى اللى حبه .. كنت قطعت من جسمى كل حته حط ايده عليها ..

وقال حسن وهو يضغط على يدى :

ـ لا يا ميتو .. مش ممكن يكون ده حب .. اللى خلاكى تعملى ده كله انك اتعودت عليه .. وكنتى دايما بترجعى له لأنك اتعودت عليه ، مش لأنك بتحبيه .. والعادة اصعب من الحب .. انتى ممكن تستحملى الم الحب .. انما مش ممكن تستحملى الم انك تسيبى حاجه اتعودت عليها .. زى السكير اللى يحاول يبطل شرب .. زى الحشاش اللى يحاول يبطل الحشيش .. عيبك انك استنيتى معاه لغاية ما تعودت عليه .

وفتحت عينى ، كأنى رأيت فى كلامه عالما جديدا .. عالم يريحنى .. نعم .. انى لم أحب هاشم .. ولا احبه .. فقط تعودت عليه ..

وقلت وأنا ساهمة :

ـ أنا حانساه .. حاشطبه من حياتى ..

وقام حسن وجلس على حافة المقعد الذى أجلس عليه ، واحاطنى بذراعه وقال فى رقة :

ـ وأنا حاخليكى تنسيه .. زى ما بيقول المثل .. المسمار ما يطلعوش الا مسمار .. أنا المسمار اللى حايطلع هاشم .. وأنا عارف انك بتحبينى يا ميتو .. مش ممكن تكونى ما بتحبنيش .. وحا تحبيى اكتر .. يوم ما تنسى هاشم ..

وكان وهو يتكلم قد وضع خده على خدى .. ثم ادار وجهى اليه وقبلنى .. فوق شفتى ولم يرفع شفتيه عنى ..

واستسلمت ..

تركته يعبث بشفتى كما يريد ..

وكنت ضعيفة ..

وكنت قد قررت أن أبدأ محاولتى للتخلص من هاشـــم ..

وتركت حسن يأخذنى كلى ..

جسدى عار ..

بارد ..

لا أحس الا بثقل حسن ، وشاربه الكث يدغدغ أنفى ..

وسقطت عيناى فوق السوار الذهبى الذى اشتراه لى يوما هاشم ..

وتعلقت عيناى بهذا السوار ..

لم أرفع عينى عنه ..

وافكر فى هاشم ..

وحسن يعبث بجسدى ..

ثم ..

بقيت معه الى الساعة العاشرة .. حدثنى كثيرا .. حاول أن يضحكنى .. حاول أن يروى لى أيامه التى قضاها بعيدا عنى .. ولكنه لم يحاول أن يحدثنى أبدا عن اعلان خطبتنا من جديد .. ثم عاد يحدثنى عن هاشم .. وقاطعته فى ضعف :

ـــ ما تكلمنيش عنه .. أنا عايزه أنساه وانسى سيرته ..

وقال حسن :

ـــ انا آسف ..

ثم اعادنى الى البيت .. واستقبلنى ابى ضاحكا ، وقال وأمامه زجاجة الكونياك :

ــ كنت فين ؟

قلت :

ــ كنت عند بنت خالتى ..

قال بلا مبالاة :

ــ اتعشيتى ؟

قلت :

ــ ايوه ..

قال :

ــ ما تيجى تقعدى معايا شوية ..

قلت :

ــ تعبانه ..

ودخلت حجرتى واغلقت بابها على .. وارتميت على الفراش .. نسيت حتى أن أطل فى وجه ابنتى ..

لقد خنت هاشم ..

خيانة كاملة ..

وحاولت أن اشعر بالتشفى .. حاولت أن أشعر بأنى انتقمت منه .. ولكن .. لا .. لم اشعر بشىء من هذا ..

شعرت بأنى بائسة ، مسكينة ..

وبكيت ..

ونمت من التعب ، ودموعى صاحية بين عينى ..

واتصل بى حسن فى اليوم التالى ..

وذهبت معه الى شقته ايضا .. وتركته يأخذنى .. وتعلقت

عيناى بالسوار الذهبى فى معصمى .. ورياح هاشم تهب على عقلى وقلبى .. وشارب حسن الكث ، يدغدغ أنفى ..

ثم خرجت مع حسن الى سميراميس فى اليوم التالى ..

تعشينا هناك ..

وطلب لى حسن كأسا من الويسكى .. كأسين .. ثلاثة ..

سكرت ..

وذهبت معه الى شقته وأنا سكرانه ..

وكنت اضحك .. واهذى .. وكان عقلى السكران لا تزال فيه قطعة صاحية ، تحس انى افتعل الضحكات الكبيرة ، وافتعل الهذيان ..

وزدت فى هذيانى ..

اقبلت على حسن .. اقبله أكثر مما يقبلنى .. وأداعبه أكثر مما يداعبنى .

ولكن ..

عندما اصبحت عارية ، تعلقت عيناى بالسوار .. وهبت على ريح هاشم .. ولا أشعر من حسن بشىء ، الا بشاربه الذى يدغدغ أنفى ..

ومضى اسبوع ..

أسبوعان ..

وانا لا اتصل بهاشم ..

وهاشم لا يحاول الاتصال بى ..

وكل يوم اذهب الى لقاء حسن .. لعلى انسى .. لعلى اتخلص من تعودى على هاشم .. وحسن لا يحدثنى عن اعلان خطبتنا من جديد .. بل هو لا يأتى لزيارة أهلى .. ولا يأخذنى لزيارة اهله .. الى أن قلت له :

ــ انت مش حاتروح تتفق مع بابا يا حسن ..

وقال حسن ، وهو يبتسم فى رقة ويضغط على يدى :

ــ أنا مستنى لغاية ما أتأكد انك خلاص .. بقيتى لى .. خايف نستعجل يحصل زى المره اللى فاتت .. وتحنى .. اللى عايزك تتأكدى منه انى باحبك .. وحافضل احبك لغاية ما نتجوز ..

ولم ارد عليه ..

ولم أغضب منه ..

له حق .. له حق أن يقول هذا الكلام .. لقد سبق أن جرحته .. سبق أن أهنته امام اصدقائه ، وأمام كل الناس . عندما فسخت خطبتى له ..

يكفى انه يساعدنى على نسيان هاشم ..

ولكنه لا يساعدنى ..

انه يشعل احساسى بهاشم .. ان كل مرة أكون له ، تؤكد لى أنى لن أكون أبدا الا لهاشم .. لن أحس برجل الا هاشم .. لن أروى عطشى الا من هاشم .. لن يملأ عقلى ، ولا قلبى . الا هاشم .. مهما فعل بى .. مهما عذبنى ..

لماذا استمر ..

ان حسن لن يتزوجنى .. انى أحس أنه لن يتزوجنى .. يستطيع دائما ان يدعى انى لم اس هاشم .. ويكون صادقا فى ادعائه ..

وهاشم أيضا لن يتزوجنى .. ولكنى احبه ..

فلماذا اترك رجلا أحبه ، الى رجل لا احبه ..

و ...

وعدت أحادث هاشم فى التليفون .. قلت له كاذبة ، أن حسن تقدم لخطبتى من جديد ..

فلم يبال ..

وبدات ابلغه فى كل يوم كذبة جديدة .. حسن كان عندنا امس .. حسن يلح فى تحديد موعد الخطبة .. حسن حسن ..

وقال لى مرة وهو ثائر ، واذكر انى يومها كنت احادثه فى صباح يوم جمعة :

ـ أرجوكى يا امينه ما تكلمنيش تانى .. احنا خلاص سيبنا بعض ..

وقلت كأنى لم أسمع شيئا :

ـ انت حاتعمل ايه دلوقتى ؟ ..

وقال فى برود :

ـ عندى ميعاد :

قلت وانا ابتسم :

ـ فين ومع مين ؟

قال :

ـ فى الشقه .. مع واحده ..

قلت فى توسل :

ـ بلاش تروح ..

وصرخ :

ـ يا ستى انت مالك ومالى .. أنا خلاص بقيت حر ..

قلت وانا اكاد ابكى :

ـ يعنى مصمم تروح ..

قال كأنه يبصق فى وجهى :

ــ ايوه ..

ثم القى سماعة التليفون ..

ولم أعد احتمل ..

هل كان هاشم يتعمد اثارة غيرتى عندما قال لى انه على موعد مع فتاة أخرى ، حتى يعيدنى اليه ، وهو يعلم انى أجن عندما اغار .. أم كان يعيش حياته الطبيعية بعد ان اعتبر نفسه حرا ، واعتبر أن علاقتنا قد انتهت ..

لا ادرى ..

ولكنى لم أطق أن اتصوره مع فتاة أخرى ..

حاولت ..

حاولت كثيرا ان اقنع نفسى بالا اهتم به ، سواء كان مع فتاة اخرى ، او كان على وشك ان ينتحر .. بل انى حاولت أن اقنع نفسى بانه يكذب على ، وانه ليس على موعد مع أى فتاة ، وانه يحاول فقط ان يثير غيرتى حتى يجننى ، فأعود اليه ..

ولكن ..

كل هذه المحاولات لم تدم سوى نصف ساعة .. ساعة على الأكثر .. والنار تأكل فى قلبى ، وتشتعل فى راسى .. ثم لم اعد استطيع .. خرجت دون أن اتزين .. بل لم انظر الى المرآة كانى افر من الحريق الذى نشب فى صدرى ..

ووقفت أمام باب الشقة مترددة .. قلبى يرتجف .. اطراف اصابعى باردة .. كنت أعرف ما سأجده فى الداخل .. سأجد فتاة اخرى .. وسأجد هاشم بالقميص والبنطلون .. وسأحاول ان اضرب الفتاة .. سأجن .. ستتشق الصرخات حلقى .. سأشد شعرى .. ستجحظ عيناى .. ويضربنى هاشم .. واقع على الأرض أبكي .. كنت أعلم كل ذلك .. وكنت أراه خلف الباب ،

كأن عينى تثقبان الخشب ، وتثقبـــان الزمن لتريا ما يمكن أن يحدث لى بعد دقائق .. ورغم ذلك امتدت يدى ، كأن قـــوى مجهولة تحركها ، وضغطت باصبعى المثلجة ، على الجرس ..

وفتح هاشم فى الحال ، كأنه كان واقفا خلف الباب ..

ونظر الى وقد اتسعت عيناه من الدهشة .. بل خيل الى أن فتحتى انفه قد اتسعتا أيضا من الدهشة ..

كان صادقا فى دهشته ..

تأكدت ساعتها أنه لم يكن يكذب على عندما قال لى أنه على موعد مع فتاة أخرى .. لقـــد فتح البـــاب وهو ينتظر أن يرى الأخرى ..

وابتسمت ابتسامة مرتعشة ذليلة ..

وظل واقفا أمامى صامتا ، وقد ارتخت دهشته ، واكتسى وجهه بتعبير جاد كأنه واقف أمام مشكلة ..

وقلت فى صوت مسكين :

ــ فى حد معاكَ ؟

وقال فى صوت باتر :

ــ لا ..

قلت :

ــ أقدر اخش ؟ ..

قال وهو ينظر من فوق راسى كأنه يخاف أن يرانا احد :

ــ اتفضلى ..

ودخلت وانا لا انظر فى عينيه ... وجلست وابتسامة باهتة فوق شفتى .. ومرت لحظة صمت بيننا ثم لمحت على شفتيه ظل ابتسامة ، فقلت وانا اشعر برجفة فى قلبى ، رجفة خوف :

ــ بتضحكَ ليه ؟ ..

قال وقد اتسعت ابتسامته

ــ باضحك على حالنا .. يظهر ما فيش فايده اننا نسيب بعض ..

قلت وانا انظر اليه فى ابتهال :

ــ لأننا بنحب بعض ..

قال :

ــ وبعدين .. اخرة الحب ده ايه ؟

قلت :

ــ انا مش عايزه منك حاجه الا انك تكون كويس معاى .. ما تعرفش بنات تانيه ..

قال :

ــ ما اقدرش ما اعرفش بنات تانيه ، لانى عارف ان حاييجى يوم تتجوزى وتسيبينى ..

ــ انا مش حاتجوز .. خلاص ..

قال وهو يهز كتفيه :

ــ ده كلام .. مش ممكن ست تعيش من غير جواز ..

قلت :

ــ انا لو كنت بافكر فى الجواز ، فبافكر انى اتجوزك انت ..

قال وهو يلوى شفتيه :

ــ انتى عارفه انى مش حاتجوز ..

قلت :

ــ عارفة .. بس ما اقدرش اعيش من غير امل ..

قال كأنه يسخر من املى :

ــ الأمل بيعيش سنة والا سنتين .. انما مش ممكن يعيش

خمس سنين .. لو كان اللى ربطك بى هو الأمل .. كان زمانك يئست وسيبتينى ..

قلت كأنى الومه :

ـ أمال ايه اللى ربطنى بيك ؟ ..

قال بسرعة :

ـ جنانك ..

قلت :

ـ انا مش مجنونه يا هاشم ..

قال :

ـ مجنونه قوى .. ويوم ما حاتعقلى حاتسيبينى ..

قلت :

ـ ده ما اسمهوش جنان .. اسمه حب ..

قال :

ـ طيب .. ما تزعليش .. حب !

وادار ظهره لى ..

ومرت فترة صمت اخرى ..

ثم عدت أقول ونظراتى تتمسح بقامته الطويلة :

ـ امال مين البنت اللى انت مواعدها ؟ ..

قال بلا مبالاة :

ـ زمانها جايه ..

قلت :

ـ لازم جديده ..

والتفت الى وقال فى دهشة :

ـ ليه ؟ ..

قلت :

ــ علشان اتأخرت .. انا كمان كنت بتأخر لما كنت جديدة ..

ولم يرد على ..

جلس على مقعد ، وهو يزفر أنفاسه واستطردت قائلة :

ــ بكره تاخد لها قلمين ، تقوم ما تتأخرش .. وتبتدى انت تتأخر .. مش كده ! ..

ونظر الى كأنه يعايرنى ، وقال :

ــ وحاضرتك عامله ايه مع سى حسن بتاعك ..

قلت :

ــ ده خطيبى ..

قال :

ــ طبعا قلتى له اننا كنا مخطوبين ، وانك فسخت الخطبة ، لانى سافل .. مش كده ! ..

قلت :

ــ انا اعترفت له بكل حاجه ..

وابتسم ابتسامة ساخرة وقال :

ــ ما أظنش ..

قلت :

ــ ده انسان نبيل .. قدر يفهمنى .

قال :

ــ وعملتى ايه مع الانسان النبيل ده .

قلت :

ــ ولا حاجة ..

قال فى حدة :

ــ يعنى اية ولا حاجه .. بتسهرى معاه لغاية نص الليل ، وبعدين تقولى لى ان ما حصلش حاجه بينكم ..

قلت وأنا انكس راسى :

— باسنى ..

قال :

— باسك بس ..

قلت :

— طبعا .. أمال فاكر ايه ؟ ..

قال :

— لا يا شيخه ..

قلت :

— وحياة بنتى ..

وربما كانت هذه هى المرة الأولى التى احلف بها بحياة ابنتى كذبا .. وربما ارتعشت شفتاى وأنا اقسم بحياتها .. ربما رجف قلبى .. ربما شعرت بالخوف على ابنتى وانا استهين بحياتها وغلاوتها عندى الى هذا الحد .. ولكنى بعد ذلك اصبحت اقسم « بحياة بنتى » فى كل كبيرة وصغيرة .. اصبحت كلمة « وحياة بنتى » الوكها فى فمى كقطعة اللادن .. اطرقع بها .. وكنت أرى طرقعتها صدى على وجوه الذين اقسم لهم .. كأنهم يصدقوننى .. لأنى اقسمت بابنتى ..

ولكنى لم اعرف ابدا اذا كان هاشم قد صدقنى أم لا .. لقد اطل على بهذه النظرة التى تنطلق من تحت جفنيه المنتفختين .. والتى لا تكشف ابدا عما يدور فى راسه ..

وفجأة ..

دق جرس الباب ..

وابتسمت ..

وتعقد جبين هاشم .. وزم شفتيه .. وبقى فى مكانه صامتا ..

ودق الجرس مرة ثانية ..

وهاشم جالس فى مكانه ، لا يتحرك ...

وقلت :

ــ مش حاتقوم تفتح ؟ ..

قال فى حزم وهو ينظر الى والشرر يتطاير من عينيه :

ــ لا ..

قلت وأنا أرفع صوتى ، متعمدة أن يصل الى ما وراء الباب

ــ حرام عليك ، قوم افتح ..

ونظر الى كأنه يخنقنى بعينيه ، وقال هامسا :

ــ اذا ما سكتيش ، حاموتك من الضرب ..

ورن الجرس ثالثة ..

واحسست برنينه كأنه زغرودة فى قلبى .. زغرودة تنطلق بالشماتة من هذه الاخرى التى تقف خلف الباب .. زغرودة لانتصارى على كل فتاة تحاول أن تأخذ منى هاشم ..

وكف الرنين ..

وسمعت صوت أقدام الفتاة تبتعد عن الباب ، فى اتجاه المصعد ..

وقلت وانا ابتسم له ساخرة :

ــ طبعا حاتضرب لها تليفون وتعتذر لها بأن جات لك حاله مستعجله .. مش كده .

قال وهو يضغط على اسنانه :

ــ لا . حاقولها أن فيه واحده بتفرض نفسها على ، وبتتهجم على الشقه من غير ما حد يقول لها تعالى ..

وضحكت .. ضحكة ملأت كل قلبى .. وعدت اقول :

ــ اقدر أعرف مين المسكينة دى ..

قال وهو لا يزال غاضبا مغتاظا :

ــ لا ..

وقمت من مكانى ، وجلست على ركبتيه .. وكنت انتظر أن يلقى بى على الأرض .. او يضربنى .. ولكنه لم يفعل .. تركنى اجلس على ركبتيه .. كل ما فعله ان أشاح بوجهه عنى ..

قلت وانا اضع يدى على خده :

ــ احنا الاتنين مجانين يا هاشم .. انت عارف انك ما تقدرش تستغنى عنى ، وانا ما اقدرش أستغنى عنك ..

وسحب خده من تحت خدى ، وظل صامتا مديرا وجهه عنى ..

وعدت اقول :

ــ انا حاسيب حسن تانى .. وعمره ما حايكون فى حياتى راجل تانى ابدا ..

وظل صامتا ..

ووجهه محتقن من الغيظ ..

ودرت بوجهى لأواجه شفتيه ، وحاولت أن اقبله .. ولكنه اشاح عنى وابعدهما قبل أن أصل اليهما ..

وقلت فى توسل :

ــ بوسنى يا هاشم ...

وقال فى صوت مخنوق بغيظه :

ــ لا .. ما اقدرش ابوس شفايف لسه واحد تانى بايسهم قبلى .. انا قرفان منك ..

قلت :

ــ اشمعنى أنا ما باقرفش من شفايفك وانت بتبوس ســـتات غيرى ..

قال :

ــ أنا حر .. اذا كنتى انتى ما بتقرفيش منى .. أنا باقرف منك .. حر ...

قلت ودموعى تتجمع فى عينى :

ــ هاشم .. ما تعذبنيش ..

قال :

ــ من فضلك قومى اقعدى مطرحك ..

وهمست :

ــ .. هاشم .. هاشم .. حرام عليك ..

ثم بكيت ...

بكيت على كتفه ...

وأنا لا زلت جالسة على ركبتيه ..

ورفع كفه وبدأ يربت على ظهرى لأكف عن البكاء ..

ولا أطيل ..

انى اعرف دائما كيف استعيد هاشم ..

واحسست بعد ان استعدته كأنى انتصرت عليه .. لا ادرى لماذا ... ربما لأنى اعود اليه بعد أن خنته .. بعد أن خدعته .. بعد أن أعطيت جسدى لرجل آخر .. هذا الجســـد الذى كان هاشم يعتقد انه ملك له . تحرر منه .. انطلق الى رجل آخر .. اصبح قادرا على أن يتحرك وحده ..

ربما كان هذا هو السر فى احساسى بالانتصار على هاشم عندما استعدته .. وهو احساس دمرنى .. دمر ما بقى منى .. فقد تعودت من يومها أن اتعمد الاحساس بالانتصار .. الاحساس

بانى أخدع هاشم .. احطم غروره .. ولم أكن ادرى أن هـذا الاحساس بالانتصار لم يكن الا انعكاسا لهزيمتى .. هزيمتى امام نفسى ..

وقد تركت هاشم يومها ، وذهبت الى لقاء حسن بعد الظهر .. رفضت ان القاه فى شقته .. كانت لا تزال فى بقيـة من احساس تمنعنى من ان ادخل شقتين فى يوم واحد ..

قابلته فى سيارته ، وقلت له بصراحة وبساطة :

ـ أنا رجعت لهاشم ..

ففغر شفتيه كالأبله ، وقال وشعرات شاربه ترتعش :

ـ ليه ؟ ..

قلت :

ـ ما اقدرتش ..

قال كأنه على وشك البكاء :

ـ بس احنا كنا حانتجوز ..

قلت فى حزم :

ـ انت ما كنتش ناوى تتجوزنى يا حسن .. ولك حق .. أنا اللى عملته فيك مش شـويه .. وحتى لو كنت اتجـوزتنى ما كنتش حاتقدر تنسى ، وكنا حانعذب بعض .

قال وقد انهمرت دموعه فعلا :

ـ بس انا باحبك يا ميتو ..

قلت وانا انظر الى دموعه ، والغرور يسرى فى كل عروقى :

ـ عارفه ...

وظلت عينـاى معلقتين فوق دموعه .. ان منظـر الرجل وهو يبكى يثير الشفقة .. الرثاء .. انه ينزف رجولته .. كأنه يعصر شخصيته .. وتمنيت وأنا ارى دموعه ، لو كانت هـذه

الدموع دموع هاشم .. كنت كرهته .. كنت استرحت منه .. ولكن هاشم لا يبكى .. انه قطعة جامدة من الصلف والغرور .. والدم الثقيل ..

وعدت اقول :

ـ انا آسفه يا حسن .. اعتبرنى مجنونه .. اعتبرنى وحشه .. اعتبرنى اى حاجه ..

قال وهو يمسح شاربه المبلل بالدموع :

ـ انتى عملتى فى كتير يا ميتو .. ومش ممكن تسيبينى بالطريقه دى .. انا لى حق عليكى ..

وفكرت قليلا ، وقلت وقد خيل الى انه فعلا صاحب حق على :

ـ احنا حانفضل أصدقاء .. مش ممكن اسيبك زى ما انت فاكر .. انت انسان نبيل ..

قال :

ـ وحاشوفك ؟ ..

وعدت افكر برهة ، ثم قلت :

ـ ابوه .. حا ابقى اشوفك ..

واشرقت ابتسامة فوق شفتيه ..

وبخرت الابتسامة دموعه ..

وقد عدت الى لقاء حسن فعلا .. ولكن .. ليس كصديق .. لقد كنت اذهب اليه فى شقته .. ربما لأملأ نفسى بالاحساس بأنى أخدع هاشم .. وبأنى أقوى منه .. ربما لأن هاشم كان يضن على بوقته .. كان لا يزال يلقى الى بهذه الكلمات السريعة فى التليفون ، ويلقانى كل يومين او ثلاثة .. ساعة أو ساعتين .. فكنت أحاول ان املأ فراغى بأن الهو بجسدى .. هوايتى الوحيدة .. والهو به مع حسن .. ولكنى

اكتشفت أني كلما ذهبت الى لقاء حسن ، وضعت فى يدى هذا السوار الذهبى الذى أهدانيه هاشم .. وأجد نفسى فى لحظة معينة ، وقد تعلقت عينى بهذا السوار .. وانسحب من جسدى كل احساس .. لم يعد فى احساس الا احساسى بهذا السوار فى معصمى .. كأنى أستغيث به .. كأنى أناديه .. هاشـــم ..

وكنت فى كل مرة التقى فيها بحسن أقول لهاشم :

ــ تعرف امبارح شفت مين فى الشارع .. حسن ..

ويزوم هاشم بشفتيه ، ولا يعلق بشىء ..

وكنت احيانا اقول أكثر من هذا . لعلى اثير شكوكه ، لعله يحس بى كامرأة مرغوبة من عشرات الرجال .. كنت اقول له :

ــ النهارده حسن ضرب لى تليفون .. تعرف انه لســـه بيحبنى .. ولسه عايز يتجوزنى ..

ويرد فى برود :

ــ خسارة .. كان لازم تتجوزيه ..

وأجن لبروده ..

وأرد :

ــ اللى لازم اتجوزه .. انت ..

ثم اضحك ضحكة باردة ، حتى لا يغضب منى ..

وكنت فعلا لا زلت أحاول أن اتزوج هاشم ، ولو على طريقـــة زوجة أبى . حتة حتة .. وكنت اجلس طويلا مع زوجة ابى وليس لنا حديث الا الوسيلة التى يمكن ان نقنع بها هاشم بالزواج .. بل انى اخذتها يوما معى الى هاشم فى الشقة .. وربما جاءت معى لترى هاشم الذى سمعت بشهرته كطبيب ، أكثر مما جاءت لتساعدنى على اقناعه بالزواج .. ومن يدرى .. ربما جاءت معى وهى تتمنى أن تأخذ منى هاشم ..

وكان هاشم يعلم أن زوجة أبى تعلم ما بيننا .. وكان يعلم اى صنف من النساء هى .. ولكنه دهش الى حد الذهول عندما فتح الباب ووجدها معى .. واسرعت اقول له :

ــ أصل بابا فى البيت النهارده .. ولولا فايزه ما كنتش حاقدر اشوفك أبدا ..

وقلب هاشم شفتيه امتعاضا ، وترك البــاب وتقدمنا الى داخل الشقة .. ودخلنا وراءه .. واغلقت الباب بيدى .

وجلست زوجة أبى وهى تدير عينيها حولها ، كأنها خبيرة فى الشقق الخاصة ، تستطيع أن تقدر قيمة الرجل بمجرد التطلع الى جدران شقته ..

وجلست بجانبها كأنى تلميذة عبيطة ..

وجلس هاشم قبالتنا وفى عينيه نظرات تحد ، كأنه يعلم ما فى رأسنا ..

ودارت بيننا كلمات تافهة سخيفة ، الى أن قالت فايزة :

ــ والنبى يا دكتور دى مينو بتحبك قوى .. انا ما شفتش حب بالشكل ده ابدا ..

ونظر اليها هاشم بعينين ملؤهما التحدى ، وقال :

ــ بس يا خساره ، مش ممكن نتجوز .

وفوجئت زوجة أبى ، بهذه الصراحة كأن هاشم سحب الأرض من تحتها .. الأرض التى مهدتها لتلعب فوقها بذكائها .. وقالت :

ــ ليه بقه ؟ ..

قال فى بساطة .. لا .. وقاحة :

ــ علشان أنا مش حاتجوز ..

ونظرت اليه فى هلع كأنها بدأت تخافه ، وقالت كأنها تدافع عن آخر حصونها :

ـ ولو نكتبوا ورقه كده .. ترضى ربنا ..

قال دون أن يهتز :

ـ ولا ورقه .. ولا حاجه .. انا ما باعتقدش فى الحاجات دى ..

قالت كأنها قررت أن تتحداه :

ـ أمال تعتقد فى ايه ؟ ..

قال :

ـ اعتقد ان اللى عاوزه تتجوز تدور على واحد تانى غيرى ..

قالت :

ـ بس ده حرام .. يعنى تسيب البنت تحبك .. وبعدين تقول لها روحى دورى على واحد تتجوزيه .. مالكش حق يا دكتور .. دا كلام ما يرضيش ربنا ..

قال :

ـ امبنه عارفه الكلام ده من أول يوم شفنا بعض فيه ..

وتدخلت انا قائلة وأنفاسى تضج فى صدرى :

ـ بلاش الموضوع ده يا فايزه ..

قالت :

ـ بس يا ميتو ده كلام مش معقول .. ده انتى بنت ناس .. ولك اب وأم .. وعيلتك أحسن عيلة فى البلد مش ناقصك حاجه .. ..

وقاطعتها قائلة :

ـ أعملى معروف .. بلاش الموضوع ده أحسن هاشم يفتكر اننا متفقين مع بعض .. وجايباكى مخصوص علشان كده .. وانتى عارفه مش عايزه أتجوز دلوقت ..

وابتسم هاشم فى غرور ، كأنه هزمنا ..

ولا ادرى لماذا لم أغضب يومها من هاشم .. بالعكس .. احسست أنى فخورة به ، احسست كأنى اتباهى به أمام زوجة ابى .. وقلت لها ونحن ننزل على السلم :

ـ مش قلت لك انه راجل مش سهل ..

وقالت فى غيظ كأنها تتحمل الهزيمة وحدها :

ـ ده مغرور ، ما ينطقش .. أنا عارفه استحملتيه السنين دى كلها ازاى ؟ ! ..

وابتسمت ..

فخورة بهاشم !..

ولم تكن زوجة أبى وحدها هى التى تحدثت معه ..

وكنت لا زلت ألتقى بأمى سرا عند الخياطة او عند احدى خالاتى الخمس ، أو فى دكان من دكاكين شارع قصر النيل .. حتى لا يطلقها زوجها اذا علم بأننا نلتقى .. وكنا نضحك كلما التقينا سرا .. أو كلما استطاعت أن تحدثنى فى التليفون خفية عن زوجها .. كنا نعتبر نفسينا عاشقين .. وكانت أمى تسمينى « الخواجه ميتو » وتقول لخالاتى أنها ذاهبة للقاء الخواجه الذى تحبه .. وتخبط على صدرها وتقول وهى تضحك ، على أخر الزمن أخرج اقابل بنتى من وراء جوزى .. آه منك يا خواجه ميتو ..

وكنا فى لقاء عند خالتى سعدية ، وكنا نتحدث عن هاشم عندما قالت أمى :

ـ هاتى لى الجدع ده أكلمه ..

وقلت لها :

ـ ما فيش فايده يا ماما .. بلاش أحسن ..

وعادت تقول :

ـــ باالقولك خلينى اكلمه .. مش حاستريح الا لما اكلمه .. اما اشوف اخرتها معاه ايه ..

واصرت أمى ..

وأدرت لهم رقم تليفون هاشم واعطيتها السماعة .. ووضعت اذنى بجانب اذنها ..

وقالت أمى :

ـــ صباح الخير يا دكتور .. انا مامة ميتو .. امينه ..

ورد عليها هاشم فى ادب حقيقى .. وكنت أعرف أن هاشم يحترم امى ويقدرها ويحبها ، أكثر مما يحترم ابى .. وسمعته يقول لها :

ـــ صباح النور يا افندم .. ده شرف كبير ..

وقالت أمى :

ـــ انا يا دكتور باسمع عنك دايما سمع طيب .. ما فيش حد الا بيشكر فى أخلاقك وشهامتك وشطارتك .. بس يا بنى نفسى تطمنى على بنتى ميتو .. انت ناوى على ايه ..

وقال فى ادب وفى صوت هادىء :

ـــ والله يا افندم انا مش ناوى على حاجه أبدا .. وأنا قلت الكلام ده لأمينه كتير .. ونصحتها انها تتجوز .

وقالت امى :

ـــ ده مش كلام يا بنى .. تتجوز ازاى دلوقتى وهى متعلقه بيك بالشكل ده .. دى سابت خطيبها علشان خاطرك .. راجل ما يتعوضش .. وقبل كده سابت جوزها .. حقه مالكش حق يا دكتور ..

وقال هاشم وهو لا يزال هادئا مؤدبا :

ـــ يا افندم انا ماليش ذنب .. امينه غلطانه فعلا لأنها سابت خطيبها ، وأنا عمري ما وعدتها بحاجه ..

وتنهدت أمي قائلة :

ـــ صعب على يا ابنى انى أتحايل عليك .. بنتى مش وحشه ولا ناقصه حاجه ، علشان أتحايل على حد يتجوزها .. انما اعمل معروف يا ابنى .. البنت بتحبك .. استرها ربنا يسرك ..

وسمعت صوت هاشم وقد ارتعش رعشة خفيفة لا تتبينها الا أذناى اللتان تعودتا على صوته ، وأحبتا كل نبرة فيه :

ـــ أنا آسف يا افندم ... أنا عارف انى غلطان . وغلطتى هى اللى مخليانى أستحمل كتير من امينه .. انما أرجوكى انك تتأكدى انى لو كان ممكن أتجوز كنت اتجوزت أمينه من زمان .. انما مش ممكن .. مش ممكن ابدا يا هانم .

وسكتت أمي برهة ثم قالت بطيبتها :

ـــ كده .. طيب يا ابنى .. ربنا يرضى عليك .. انا آسفه .. انمـــا اعـــذرنى يا حبيبى . انا كلمتك بقلبى .. قلب الأم .. مع السلامه يا ابنى .

وضعت أمي سماعة التليفون ..

وبكت ..

وبكيت معها ...

لم اشـــعر هذه المرة بانى أتباهى بهاشـــم لانه هزم أمي . احسست بالسخط عليـــه لانه اهان أمي .. وكنت اضعف من ان احيل سخطى الى ثورة .. ثورة على حياتى .. على هاشم .. على خطيئتى .. كل ما فعلته انى ذهبت يومها الى لقـــاء حسن .. لاتوهم انى انتقم من هاشم ..

وحدثت فى حياتى فى هذه الأثناء حادثة أخرى كان لها أثر

كبير فى حياتى .. فقد كانت العلاقات بينى وبين زوجة ابى ، قد بدأت تسوء يوما بعد يوم .. فقد كانت تغار منى بسبب النقود الكثيرة التى آخذها من هاشم ، واشترى بها فى كل يوم شيئا جديدا ... رغم انى كنت اشترى لها هدايا كثيرة من هذه النقود حتى أضمن صداقتها ، واضمن مساعدتها لى فى نزواتى كلما غبت عن البيت .. وفى الوقت نفسه كنت أيضا اغار منها .. لأنهـا استطاعت ان تتزوج من ابى رغم انها كانت عشيقته قبل الزواج ، وانا لا استطيع أن اتزوج هاشم .. ثم اغار منها على أبى .. غيرة اى بنت من زوجة ابيها .

وتضخمت خلافاتنا ، وخناقاتنا ، الى حد لم يعد بقاؤنا فى بيت واحد ممكنا .

وأبى ليس له طاقة على الخناق ، وليس له قوة على مواجهة المشاكل ولكنه يهرب منها ، ليضمن لنفسه ليلة هادئة يشرب فيها زجاجة الكونياك ..

وقد هرب أبى من مشكلتى انا وزوجة ابى ، بأن استأجر شقة أخرى فى نفس العمارة وانتقل اليها هو وزوجته ، وتركنى وحدى انا وابنتى .. واصبح يعاملنا كزوجتين .. يعود فى المساء فيمر على ويجلس ساعة ثم يصعد الى زوجته ليقضى الليل معها .. ويشرب زجاجة الكونياك .. واحيانا يقرر أن يستريح من زوجته . فيأتى بزجاجة الكونياك ويشربها معى ..

وفرحت بهذا الحل ..

واصبح لى بيت .. لأول مرة اشعر أن لى بيتا .. عنـدما كنت زوجة كان بيت حماتى .. وعندما كنت مع أمى كان البيت بيت زوج أمى .. وعندما انتقلت لأعيش مع ابى كان البيت بيت زوجته .. أما الآن فقد أصبح لى بيت .. وحـدى . واحببت

بيتى ، واحببت أبى اكثر لأنه منحنى بيتا .. وفكرة الزواج من هاشم نامت فى راسى فترة ، كأنى استغنيت بهذا البيت عن الزواج ..

وكانت اشاعة زواجى من هاشم قد ازدادت انتشارا بعد أن فسخت خطبتى من حسن ، فقد اعتقد الناس انى لم أفسخ خطبتى الا لأتزوج هاشم .. لم يكن يخطر على بال احد أن هناك مجنونة يمكن أن تفسخ خطبتها للاشىء .. حتى بلا وعد بالزواج .. ولذلك انتشرت الاشاعة .. واكتفيت بأن أعيش فى اشاعة .. اشاعة زواج ..

واصبحت حرة ..

اكثر حرية ..

واندفعت فى حريتى الى اخرها .. لم اعد اكتفى بالخروج فى النهار .. اصبحت جريئة فى الخروج بالليل .. كنت انتظر الى أن يصعد أبى الى زوجته واطمئن الى انه نام .. واترك ابنتى مع الخادمة ثم أخرج .. كنت أخرج مع هاشم ونذهب الى شبرد ، والهيلتون ، وستميراميس ، ومينا هاوس .. والناس تعتقد أننا زوجان .. وهاشم لاه عما تعتقده الناس .. غروره يعمى عينيه ويسد اذنيه عن سماع الاشاعة .. انا وحدى التى اسمعها واراها فى العيون ، وافرح بها ..

ولكن هاشم لم يكن يرضى أن يخرج معى كل ليلة .. كان مشغولا .. وكان يتدلل علىّ كثيرا .. يعذبنى .. فأصبحت أخرج مع حسن .. ولكنى لم أكن أخرج معه الى المحال العامة .. حتى أبقى على اشاعة زواجى من هاشم .. كنت أذهب معه الى شقته .. أو أتنزه معه فى سيارته .. ثم .. لم يعد حسن وحده الذى أخرج معه بالليل .. كان هناك محام آخر شاب

التقيت به في حفلة أقامتها ابنة عمتى .. اسمه عادل .. كان انسانا هادئا .. حديثه كله منطق وكان يكره هاشم ويحاول أن يخلصنى منه .. فخرجت معه أيضا .. ولكنى لم أذهب الى شــقته ..

وحريتى تتسع أمامى ، ولا يملؤها شيء .. والرجال يزغللون عينى فى كل مكان .. وكل واحد منهم يقترب منى ، أقنع نفسى بأنه يريد أن يتزوجنى .. وأشجعه .. وأتركه يحدثنى فى التليفون وقد أخرج معه .. ثم يذوب .. أزهق منه . أو يزهق منى ؛ قبل أن يفاتحنى بالزواج .. لم أحب واحدا منهم .. لم التق بالرجل الذى يستطيع أن ينزع هاشم من قلبى ومن جسدى ، ويحتل مكانه ..

ولكنها عقدة الزواج .. العقدة التى كانت تأكل من عمرى دون أن أدرى .. هى التى كانت تدفعنى الى كل هؤلاء الرجال .. وتدفعنى الى محاولة التخلص من هاشم ..

واحساسى بأنه أصبح لى بيت ، دفعنى الى أن أملأ هــذا البيت برجل .. كنت أريد أن يملأه هاشــم .. وكنت أعرف أن هاشم لن يقبل أن يأتى الى فى البيت بمجرد أن أدعوه ..

وفى ليلة .. وكانت الساعة الحادية عشرة .. اتصلت به فى سميراميس وادعيت له انى مريضة .. مغص حاد يمــزق أحشائى .. وبكيت له فى التليفون .. من شدة الألم .. وصدقنى هاشم .. وجاء ..

وكنت قد أعددت نفسى له .. لبست قميص نوم أزرق فاتح مشغولا بالدانتيل .. وتركت شعرى مسدلا على كتفى .. وتعطرت بعطر « أربيج » الذى يحبه ..

واستقبلته ضاحكة ..

وغضب ..

غضب عندما اكتشف انى خدعته بمرضى .. ورفع كفه يحاول أن يضربنى ، ولكنه عاد وخفضها عندما تنبه الى أنه فى بيت غريب عنه .. وهم أن يتركنى ويعود .. ولكنى تعلقت به .. التصقت به ، وجسدى ساخن تحت القميص الحرير .. وتركت عطرى يملأ انفه .. وكنت أعلم أنه شرب كأسين .. وهو عندما يشرب يصبح رقيقا ، متفتح الاحساس كما تفتح أنبوبة البوتاجاز .. يكفى بعد ذلك أن تقرب منها عود الكبريت ..

واشتعل هاشم ..

وسحبته الى غرفتى ..

وابنتى هدى نائمة فى الغرفة المجاورة مع الخادمة ..

حياة جديدة ..

ومغامرات جديدة ..

وقد تعلمت فى هذه الفترة شيئا جديدا لم يخطر ببالى .. تعلمت كيف أعامل البوابين .. انه شيء يجب أن تتعلمه كل فتاة مثلى .. وقد كان بواب عمارتنا يحترمنى فى اول الأمر .. ولكنى عندما بدأت أتأخر فى العودة بالليل ، تغيرت معاملته .. كان يستقبلنى بنظرة ملؤها القرف .. ثم أصبح يغلق باب العمارة .. ويتركنى بالليل أدق الباب .. ربع ساعة .. نصف ساعة .. الى أن يفتح لى ..

وثرت فى وجهه أول مرة ، فقد ظننت أن من حقى كساكنة فى العمارة ـ بل ان أبى يستأجر شقتين ـ أن أثور عليه .

وتحمل ثورتى فى هدوء .. واحتقار ..

ولكنى ، عندما تأخرت فى العودة مرة ثانية ، تركنى ملطوعة ساعة كاملة .. وعندما حاولت ان أثور .. هب فى وجهى صارخا :

ـ لما انتى بتزعلى كده ما تبقى ترجعى بدرى .. ولا فاكره انى مش فاهم يعنى ..

ودوى صوته فى العمارة كالرعد .. وخفت .. وقفت أمامه أرتعش .. وحاولت أن أعود وأصرخ فى وجهه ، ولكن صوتى انحبس فى حلقى . وكان هاشم هو الذى يوصلنى ليلتها ، فنزل من سيارته بسرعة .. ووضع فى يد البواب خمسة وعشرين قرشا وهو يقول له مبتسما :

ـ ما تزعلش يا ريس .. أصلها تعبانه شويه .. احنا أسفين اللى ازعجناك ..

ثم نظر الى نظرة قوية يأمرنى أن اصعد الى بيتى ..

ومن يومها أصبحت أخاف من البواب اكثر مما اخاف من ابى .. وادفع ثمن خوفى خمسة وعشرين قرشا ، كلما تأخرت بالليل .. أو كلما زارنى رجل .. وأصبح البواب يحترمنى .. ويبتسم لى .. ويترك باب العمارة مفتوحا الى أن أعود ..

ولم يكن هذا هو البواب الوحيد فى حياتى ..

لقد عشت حياة مزدحمة بالبوابين .. كلهم أخاف منهم .. وكلهم أدفع لهم الخمسة والعشرين قرشا ..

شىء لا تعرفه البنات المحترمات ..

و

ولم تكف عنى زوجة ابى ..

حاولت أن تثير ابى على علاقتى بهاشم .. قالت له أشياء كثيرة تحاول أن تثير بها نخوته واعتزازه بشرفه .. ولكن أبى لم يثر .. بل ان حياتى الجديدة جعلته يستسلم أكثر لعلاقتى بهاشم .. ويكاد يعترف بها .. فقد كان يرى النقود فى يدى ولا يسألنى من اين اتى بها .. ثم تركنى ادفع فاتورة التليفون

.. ثم بدات حالته المالية ترتبك اكثر .. فتركنى ادفع اجرة الخادمة .. وفى بعض الشهور دفعت اجر البيت .. ثم اشتريت اثاث حجرة طعام جديدة . كلفتنى مائة وخمسين جنيها . وجلس ابى يأكل على المائدة الجديدة . دون ان يسألنى من أين اتيت بها .. لابد انه كان يعرف أن هاشم هو الذى يدفع .. أصبح هذا امرا مسلما به بيننا .. أنا وابى .. بل ان ابى اقترض منى يوما .. اقترض مائة جنيه لم يردها حتى اليوم ..

وهاشم يدفع ..

كان يدفع كثيرا ..

الموضوع الوحيد الذى كان يثير نقاشا بيننا هو ان اشعره بأنى فى حاجة الى نقود .. كان يدفع بسرعة .. ولكنه لم يعد يبذل مجهودا ليكون رقيقا وهو يدفع لى ..

ثم ..

وقعت مصيبتى الكبرى ..

فقد يئست زوجة ابى من أن تثير ابى ..

وبدات تتصل بزوجى السابق عبد السلام .. ابو ابنتى ..

وكان عبد السلام يأتى كل اسبوعين مرة .. واحيانا كل اسبوع . ليرى ابنته .. وكنت اتعمد الا التقى به .. كنت أخرج من البيت قبل أن يأتى .. وفى المرات القليلة التى كنا نلتقى فيها . كان ينهال على بالنصائح .. ويستحلفنى بحياة ابنتى ان احرص على سمعتى .. وان أتزوج .. حتى اضمن للبنت حياة مستقرة هادئة .. وكنت ماستمع الى نصائحه فى زهق .. وضيق .. واترك له هدى واخرج من البيت ..

ثم بدا عبد السلام فى المرات التى نلتقى فيها يحدثنى عن هاشم .. وعن علاقتى به .. ويقول لى تفاصيل لم أكن اعلم

ايامها من أين عرفها .. ثم يثور .. ويرفع صـوته الكريه ليملأ به البيت كله .. ويهددنى .. يهددنى .. أن يأخذ منى ابنتى ..

ولم اكن أصدق تهديده ..

كنت اتحداه واغيظه ...

ثم فجأة .. بدأت معاملته تتغير .. أصبح رقيقا ، هادئا .. بل بدأ يدفع لى نفقة البنت .. أعطانى عشرين جنيها .. ثم استأذن فى أدب أن يصحب هدى ليشترى لها بعض الثياب واللعب .. وسمحت له .. وأخذها وخرج .. واعادها بعد ساعتين محملة بمشتريات كثيرة ... وبعد أسبوع رجانى أن أسمح له بأن يأخـذ هدى لتبيت معه فى الفندق الذى يقيم فيه .. وسمحت له .. لم لا ... انه أبوها ، وهو المسئول عنها قبل هاشم .. ويجب أن تشب هدى وهى تحبه ..

وقد أعادها عبد السـلام فعلا فى اليوم التـالى .. أعادها ضاحكة مرحة ، الى حد أنى غرت عليها منه ..

ثم ...

كنت خرجت من البيت للقـاء هاشم .. وعدت فى حـوالى الساعة الخامسة .. واتجهت مباشرة الى غرفة ابنتى كعـادتى كلما عدت ...

انها ليست فى غرفتها ..

ولا فى غرفة الطعام ..

وبدأ قلبى يرتعد .. لا أدرى لماذا .. واقتحمت المطبخ .. فوجدت الخـادمة جالسـة تلوك قطعة لبـان ، وتغنى أغنيـة لعبد الحليم حافظ ، وسألتها فى لهفة :

ـــ فين هدى ؟

واجابت وهى لا تزال تلوك قطعة اللبان :

ـ عبد السلام بيه ، جه ، واخدها .. وخرج ..
وصرخت فيها ؟!
ـ وازاى تسيبيه ياخدها .. استأذنتينى ..
وقالت الخادمة :
ـ يوه يا ستى .. مش أبوها ..
ورفعت كفى وهويت على صدغ الخادمة ، وانا اصرخ :
ـ أنا حاوديكى فى داهيه ..
وقالت وهى تنظر الى فى غيظ :
ـ وانا مالى .. بتضربينى ليه .. ده حتى عبد السلام بيه قال لى انى اقول لك انه مش حايرجع ست هدى الا لما تتجوزى ..
وصرخت ..
لقد خطف ابنتى .. خطف هدى ..
وانطلق الجنون فى راسى ..
وانهلت على الخادمة اضربها ، وانا اصرخ :
ـ بنتى يا بنت الكلب .. بنتى .. بنتى .. ضيعتى بنتى .. بنتى .. اتسرقت ..
ثم وجدت نفسى أجرى على السلم ..
واجرى فى الشارع ..
ولم أكن أدرى انى اجرى الى قدرى ..

— ٧ —

كنت اجرى كالمجنونة ابحث عن ابنتى .. كنت اجرى وانا جالسة فى التاكسى .. كل شىء فى يجـــرى .. قلبى يجـــرى .. دمى يجرى .. عقلى يجـــرى .. انفاسى تجرى .. كانى اجرى وراء قطعة من جســـدى نزعت منى .. والم .. الم هائل .. كأنه قـــد نزعت قطعة من جســـدى فعلا .. واحس بأن ما نزع منى هو عيناى ، فأحس بالألم فى عينى .. ثم أحس بأن ما نزع منى هو صدرى فأحس بالألم فى صدرى .. ثم أحس بأن ما نزع منى هو بطنى ، فأحس بالألم فى بطنى .. ألم حقيقى .. انى لم اشعر بكل هذا الألم من قبل .. ولا بكل هذه اللوعة .. ولا بكل هذا الهلع .. عذاب .. عذاب ينصب على كأن افواه السماء قد فتحت كلها لتصب على العذاب ...

وصلت الى الفندق الذى تعود أن يقيم فيـــه عبد السلام . واندفعت الى مكتب الاستقبال والجنون يشق لى الطريق ، وسألت بأنفاسى اللاهثة :

— عبد السلام بيه موجود ..

واجاب موظف الاستقبال وهو ينظر الى فى دهشة :

— لا يا مدام .. سافر النهارده الصبح ..

وانكفأت على الحاجز المرتفع الذى يفصل بينى وبين الموظف . وبكيت .. بكيت فى غل .. فى غيظ .. والموظف يقول :

— جرى ايه يا مدام .. حصل ايه !

ورفعت اليه عينى المجنونتين ، وصرخت ،

ـ تليفون .. عايزه اتكلم فى التليفون ..

ووضع الموظف أمامى آلة التليفون ، وأدرت رقم أمى .. ورد على زوجها .. ولم اخف منـــه .. ولم أخف أن يطلق امى .. صرخت فيه وصوتى غارق فى دموعى :

ـ عايزه اكلم ماما .. عايزه اكلمها حالا ..

وانتظر زوج امى برهة ، وربما أشـــفق على ، فنادى امى لتحادثنى .. وصرخت فيها بمجرد أن سمعت صوتها :

ـ بنتى .. عبد السلام خطف بنتى يا ماما ..

وقالت امى فى ذعر :

ـ خطفها ازاى ..

وصرخت :

ـ ما اعرفش خطفها ازاى .. مش مهم خطفها ازاى .. انا عايزه بنتى .. هاتى لى بنتى ..

وقالت امى ..

ـ طيب هدى نفسك يا امينه .. وحصلينى على خالتك صبريه ..

ووضعت سماعة التليفون ، وجريت الى الخارج .. وموظف الفندق يتبعنى بدهشته دون أن يطالبنى بثمن المكالمة التليفونية ..

وركبت التاكسى ، وانا اصب لعناتى على عبد الســـلام .. كل ما فى من قوى الحقد تنصب عليه .. وخيالى ينطلق ليخنق عنقه .. ليقذف فى وجهه بماء النـــار .. ثم فجأة وجدت نفسى افكر فى هاشم .. وتحول حقدى كله عليه .. انه هو السبب .. هو .. هو الذى مزق حياتى .. هو الذى ضيعت من اجله

زوجى .. وعائلتى .. ثم خطيبى .. وسمعتى .. وكل هذا قد يهون .. ولكن ابنتى .. هدى .. لا .. لا ياربى .. لا تأخذ منى ابنتى . خذ منى هاشم .. خذ منى كل شىء . ورد لى ابنتى .. ووجدتنى أرفع دموعى الى السماء واهمس :

ــ خلاص يا رب .. تبت خلاص .. تبت وحياة السيدة زينب عندك ترجع لى هدى ..

ودموعى لا تكف .. دموع صامتة .. ليس فيها حقد .. ولكن فيها احساس بالخطيئة .. احسست بالحرام الذى عشت فيه طول هذه السنين .. احسست بصورة خطيئتى أمامى .. صورة بشعة ليس فيها حب ولا جمال .. صورة امرأة لونها أزرق ، وجسدها يتفصد قطرات كبيرة من العرق ، ورأسها منكس محلوق الشعر .. واخفيت عينى بكفى حتى لا أرى هذه الصورة .. وعدت أبتهل الى الله لعله يطهرنى من خطيئتى ويصفح عنى . ويعيد الى ابنتى .. ثم تقفز فى خيالى صورة هاشم مرة ثانية .. ويخيل الى انى أصرخ هلعا منه .. واجرى لأبتعد عنه .. انه الرجل الذى يخطف الأطفال .. اخافه .. واحقد عليه .. واستغيث بالله منه .. وسائق التاكسى يلتفت وراءه ويتفرج على دموعى ، ثم يهز راسه فى أسى ، ويقول :

ــ كله يتعوض يا ست هانم ...

لا .. كل شىء يعوض الا ابنتى ..

الى ان وصلت الى بيت خالتى صبرية .. وهى تقيم مع زوجها فى مصر الجديدة قريبا جدا من بيت أمى ، ومن بيت خالتى سعدية .. وتعتبر فى وسط اخواتها « حلالة المشاكل » رغم انها ليست اكبرهن سنا .. انها أصغر من أمى .. ولكنها أذكاهن ، وأعقلهن ..

ووجدت أمى وثلاثة من خالاتى فى انتظارى ..

وارتميت على صدر أمى أبكى فى حرقة .. وكلماتى تمزق دموعى :

— بنتى يا ماما .. هدى .. أخد منى هدى ..

وضمتنى أمى فى حنان ، واخذت تربت على ظهرى ، وتقبلنى فى شعرى ، قائلة :

— بس يا حبيبتى .. ما تعمليش فى نفسك كده ..

وقالت خالتى سعدية :

— انتى فاكره انه يقدر ياخدها منك .. ما يقدرش .. الحضانة لغاية سن اتناشر سنه ..

وبدأ المؤتمر النسائى المنعقد حولى يناقش موضوع الحضانة .. ويتناقلن القصص والقضايا والحواديت التى سمعن بها .. وكل منهن تدلى بفتوى قانونية .. الى ان قالت خالتى صبرية :

— هو قال ايه للبت الخدامه ساعة ما اخد هدى ؟

قلت وقد جفت دموعى فوق خدى :

— قال لها انه مش حايرجعها الا لما اتجوز .

وساد الصمت فترة ، الى ان انطلق صوت خالتى فتحية ، سفرى خالاتى :

— والنبى الراجل له حق .. أصلك يا ميتو مزوداها قوى مع الدكتور بتاعك ده .. والبلد كلها بتتكلم عنك ..

وثارت كل أعصابى ، وانطلقت صارخة فى وجهها :

— وسبتونى للدكتور بتاعى السنين دى كلها ليه .. كلكم كنتم عارفين ، وكلكم كنتم ساكتين .. أمى سبتنى .. وابويا سابنى .. عارفين هاشم بيعمل لى أيه . .هو اللى بيصرف على .. كل فستان بالبسه هو اللى جايبه .. وبيصرف على بيتى ..

هو اللى بيدفع ماهية الخدامة .. هو اللى بيدفع فاتورة النور والتليفون . وابويا عارف .. أبويا ما بيدنيش ولا مليم .. كل يوم يتجوز واحدة .. ويبيع فى أرضه .. يعنى مش حاسيب لى ولا مليم .. انتم السبب .. انتم اللى خلتونى أعيش زى ما أنا عايشه .. ما فيش حد فيكم قدر يكلم أبويا ، ولا يسأل انا عايشه ازاى .. مافيش حد فيكم كان قلبه على .. النهارده بس جايين تقولوا لى ، وتنصحونى .. بعد ما اتخذت منى بنتى ..

وعدت ابكى ..

ابكى بحرارة ..

وساد صمت حزين .. وبدات الدموع تطفر من عينى أمى وخالاتى الثلاث .. لم تثر واحدة منهن وأنا أصارحهن لأول مرة بأن هاشم هو الذى يصرف على .. بأنه يدفع ثمن معاشرتى له .. واكتشفت ساعتها أن قصتى لا تثير السخط ولا القرف . ولكنها تثير الشفقة .. واننى استطيع استغلال هذه الشفقة لأكتسب الناس الى جانبى .. لأثير العطف على .. وأخبىء خطيئتى فى طيات هذه الشفقة ، وهذا العطف ، وفى الدموع التى يذرفها الناس من اجلى ..

وقالت أمى من خلال دموعها :

ـ انا سبتك يا ميتو ؟ ! ياما نصحتك .. وياما حذرتك ..

قلت وانا لا زلت ابكى :

ـ سبتينى .. ما عملتيش حاجه .. وكنتى بتاخدى منى فلوس هاشم وتشيليها عندك .. وأنا كنت صغيره ، ما كنتش كفايه انك تنصحينى .. لغاية ما طردنى جوزى من بيته .. سابنى لأبويا وانتى عارفه أبويا عايش ازاى .. انما أنا عذراكى يا ماما .. انا ما بلومكيش ..

وقالت أمى وهى تنشج :
ـ هو حد قادر عليكى يا بنتى ..
وقالت خالتى سعدية :
ـ وانا يا امينه مش جبتلك عريس بالدنيا كلها .. وانتى اللى طفشتيه ..
وقلت وانا ابكى واشد شعرى وادبدب على الأرض بقدمى :
ـ يا ريتنى ما طفشته .. سبتونى أعمل كده ليه .. سبتونى ليه .. ليه .. انتم فاكرين انا عندى اربعين سنة .. حـــرام عليكم .. حرام تسيبونى اتصرف لوحدى بالشكل ده ..
وعاد الصمت الحزين ، تمزقه دموع أمى وخالاتى ، حسرة على حالى ...
الى أن تكلمت خالتى صبريه ..
والتفتت كل الرؤوس اليها .. الى حلالة المشاكل .. تتلقف الكلمات من شفتيها ..
وقالت خالتى صبرية وهى تنظر فى عينى :
ـ انتى عايزه بنتك ترجعلك ؟
قلت فى لهفة :
ـ طبعا .. اعملوا فى اى حاجه .. بس بنتى ترجع ..
وقالت خالتى صبرية فى حزم :
ـ أولا ، لازم تسيبى الدكتور ده ..
وصرخت :
ـ خلاص سبته .. وحياتك يا طنط قبل ما أوصل هنا ، حلفت انى ما شفش خلقته تانى .. كفايه اللى حصل لى من تحت راسه ..
وعادت خالتى صبرية تقول :

ــ وثانيا .. تيجى تقعدى عندى هنا .. تبعدى عن ابوكى وعيشة ابوكى ..
قلت :
ــ حاضر .. اللى تشوفيه يا طنط ..
وعادت تقول :
ــ وثالثا .. تتجوزى بأسرع ما يمكن ..
ونظرت اليه بعينين واسعتين خائفتين ، وقلت :
ــ وبنتى .. حاتفضل بعيده عنى ، لغاية ما اتجوز ..
قالت فى هدوء :
ــ لأ .. احنا نكلم عبد السلام علشان يخليكى تشوفيها لغاية ما تتجوزى ، وبعدين تبقى تيجى تقعد معاكى ..
وصرخت :
ــ مش ممكن .. ده مش من حقه .. بنتى تقعد معايا ويبقى هو اللى ييجى يشوفها .. أنا لى الحضـــانه .. الشرع بيقول كده ..
وقالت خالتى سعدية :
ــ واصـــل يا صـــبرية يا اختى ، ان ميتو اتجوزت حاتسقط حضانتها ، ويبقى من حق عبد السلام انه يخلى البنت عنده على طول ..
وقالت صبرية :
ــ ما هو احنا لو دخلنا فى قضايا مش حانخلص .. وتفوت سنه وسنتين من غير ما ناخد حق ولا باطل ، ولا حتى نشـــوف البنت .. وأنا عارفه عبد السلام كويس .. واقدر أقنعه ..
وصرخت :
ــ مش ممكن .. بالذوق والعافيه لازم آخد بنتى ..

وقالت خالتى صبرية فى هدوء :

— بس حاتخديها فين يا ميتو يا حبيبتى .. انتى نفسك بتقولى ان عيشة ابوكى مهببه ، واذا كنتى خايفة على نفسك من العيشه دى ، خافى كمان على بنتك .. وكلها شهر واللا شهرين وتتجوزى ويبقى لك بيت ، وبنتك تيجى تقعد معاكى ..

وقلت فى حدة :

— وايه ضمنى انى حاتجوز فى شهر ولا شهرين ؟ ..

وقالت خالتى صبرية :

— سيبى المساله دى على انا ..

قلت :

— وحلاتى مين يتجوزنى بعد اللى عملته ده كله ..

وقالت خالتى صبرية فى ثقة :

— مالكيش دعوده .. اطمنى ..

وقالت امى :

— وانتى عملتى ايه يا بنتى .. اهى كل البنات بتسوى الهوايل ، ويرجعوا يتجوزوا ويتلموا فى بيوتهم ، انتى ما عملتيش اكتر من اللى بيتعمل ..

واراحتنى كلمات امى ، احسست كأنها مسحت كل ذنوبى ..

واستمر المؤتمر النسائى منعقدا الى ساعة متأخرة من الليل .. ثم عادت امى وخالاتى كل منهن الى بيتها .. وتقرر أن أبقى فى بيت خالتى صبرية .. اعطتنى الغرفة التى كانت مخصصة لابنتها قبل ان تتزوج .. ولم انم .. بقيت الليل مفتحة العينين اجرى بهما وراء ابنتى .. خيل الى انى لم ارها منذ سنتين .. وانا لم اكن ابدا اما ضعيفة فى عواطفها .. كان من عادتى ان اترك ابنتى يوما كاملا مع الخادمة ، او ليلا كاملا ، دون أن

اتلهف عليهـــا .. ولكنى الآن اكاد اجن لبعـــدها عنى .. احس كأنى فقدتها الى الأبد .. واسمع كلماتها الحلوة الساذجة ترن فى اذنى .. وارى ابتسامتها المرحة تقفز فى خيالى .. اراها كلها .. ارى لون عينيها .. ولون شـــعرها .. ومكان سنتها التى فقدتها اخيرا .. وحذاءها الصغير كقطعة البسكويت .. واتذكر اشياء صغيرة .. صغيرة .. والأشياء الصغيرة تتجمع وتصبح حياتى كلها ..

ثم تهدأ صور ابنتى فى خيالى ، وتقفز مكانها صورة هاشـــم .. بشعا .. انانيا .. مغرورا .. واكرهه .. انى اكرهه .. وتتجمع سحب الكراهية فى صـــدرى لتصـــبح رغبة عارمة فى الانتقام .. ثم احس بالعجز امام كل هذه الصور .. فأعود وابكى .. ابكى حبى لابنتى .. وابكى عجزى عن الانتقام من هاشم ..

وفى اليوم التالى ، صحبتنى خالتى صبرية الى بيت أبى ، وانا مدبلة العينين ، منهكة القوى .. وجمعت ثيابى فى حقيبتين ، وعدت معها الى بيتها ..

ولم يعترض أبى ..

لقد سمع كل القصة كأنه يشاهد فيلما سينمائيا ليس له دور فيه .. ووافق بسرعة على انتقالى الى بيت خالتى .. وعلامات الراحة تبدو فى عينيه .. كأنه ارتاح منى ، ومن عبئى ..

وهكذا ..

انتقلت الى حيـــاة ثالثة .. حيـــاة تختلف اختلافا تاما عن حياتى فى بيت أمى ، وعن حياتى فى بيت أبى .. كان بيت خالتى صبرية بيتا هادئا يملؤه الحب .. كانت تحب زوجها ، وزوجها يحبها ، كأنهما لا يزالان فى شهر العسل .. رغم انهما تزوجا

من عشرين عاما .. وكان عقل خالتى واتزانها وشخصيتها القوية . يؤهلها لتكون ست بيت ممتازة .. تسيطر على كل شى فى حلاوة ورقة .. وتدبر حياتها فى حدود واضحة ، ليس فيها خلل .. ليس فيها شىء تخجل منه .. وكانت تحسب حسابا كبيرا لكلام الناس .. وزوجها يعود من عمله لتستقبله بعينين مبتسمتين تقبلانه فى كل مكان من وجهه .. ويتناول غداءه ويدخلان ليناما .. ثم يجتمع عندها بعض الأصدقاء فى المساء ليلعبوا الكونكان . ويخرجان ليلعبا الكونكان عند بعض الأصدقاء ..

بيت سعيد .. صورة جديدة للبيوت لم اكن اعتقد انى ساعيش فيها يوما ما .. بل لم اكن اعتقد ان هناك بيوتا خالية من العقد والاضطراب كبيت خالتى صبرية ..

وقد حاولت خالتى ان تسيطر على .. سيطرتها الحلوة الرقيقة .. كانت تقودنى فى كل خطوة من خطواتى .. كانت تقودنى معها الى المطبخ .. وتقودنى معها لنعد المائدة .. وتقودنى معها الى زيارة صديقاتها .. وتحاول ان تقنعنى بآرائها فى الحياة والناس .. وكنت أعلم انها تراقبنى .. تريد ان تطمئن الى انى لا اقابل هاشم ولا احادثه فى التليفون .. ولكنها كانت تغلف مراقبتها لى فى غلاف ناعم رقيق مهذب ، لا يجرحنى . ولا يقلل من احساسى بحقى فى حريتى ..

وقد حاولت ان أعيش هذه الحياة ..

حاولت ان أحب حياتى الجديدة ..

مضت اسابيع وانا مستسلمة لخالتى .. منقادة لها .. ولكنى كنت اشرد كثيرا .. كنت اشرد وراء ابنتى .. وكانت المفاوضات التى تجرى مع عبد السلام لم تنته الى شىء بعد . فهو مصمم على الا ارى ابنتى الا اذا تزوجت .. وكنت اشرد

وراء هاشم ايضا .. وكنت قد امتنعت عن الاتصال به فعلا .. لم اتصل به طوال اربعة اسابيع .. وهو لم يتصل بى ، انه لا يعلم اين انا .. وحالتى العصبية تسوء .. انى اقضى ليالى كاملة وحيدة فى غرفتى ، اتحدث الى نفسى .. واحيانا اتحــدث اليهــا بصوت عال كالمجانين .. واتذكر ابنتى فأبكى لوعة .. واتذكر هاشم فتستبد بى الرغبة فى الانتقام ولكن هذه الرغبة لا تلبث ان تفتح مسام جسدى .. فأحس بالحاجة اليــه .. الى الرجل .. تمر بى لحظات يخيل الى ان كل شىء يهــون فى سبيل أن أحس بأنفاس هاشــم تهب على من انفه الكبير .. وان أحس بكفه تربت على مسام جسدى لتهدئها .. أن أحس بذراعيــه يخنقان هذا الالم .. الم الجوع .. الذى يغرينى ..

ولكنى احتملت ..

احتملت اربعة أسابيع .. وقاومت ..

وبدا اثر المقاومة على وجهى .. ان وجهى ذابل .. اصفر .. وعيناى مرخيتان مسكينتان .. ولاحظت خالتى ذبولى .. واطمأنت الى انى لا احاول أن اتصل بهاشم .. فبدأت ترحمنى من رقابتها .. وبدأت دون أن تشعرنى بأنها تتعمد شيئا ، تسمح لى بأن ازور خالتى سعدية وحدى .. ثم بدأت تسمح لى بالتردد على نادى مصر الجديدة ، بعد أن تتأكد من انى اذهب اليه مع صديقاتى القدامى .. بنات مصر الجديدة ..

الى أن التقيت بمحمد ..

محمد .. اول شاب عرفته فى حياتى ، وخرجت معــه وانا بنت قبل أن التقى بهاشم .. لقد كبر الآن ، أصبح فى الســادسة والعشرين من عمره .. أكبر منى بعام واحد .. واصبح موظفا فى شركة بعد أن تخرج من كلية الحقوق .. واطلق شاربا صغيرا

رفيعا تحت أنفه .. وضحكت كثيرا عندما رأيته ومعه شاربه ، لقد ذكرنى بالأسطى محمد الحلاق الذى كان ياتى الى بيت ابى ليحلق له شعره كل يوم جمعة ..

وقد قابلت محمد فى الطريق وانا ذاهبة الى النادى ، واوقف سيارته بجانبى ، ومد عنقه الى وقال فى ادب :

– بونجور يا افندم ... فاكرانى ؟

وابتسمت .. انى اذكره .. قد أنسى وجوه النساء ، ولكنى لا أنسى وجه رجـــل .. وقلت وابتســـامتى تتسع وانا أطل على شاربه الصغير ، واتذكر اسطى محمد الحلاق :

– ازيك يا محمد .. عامل ايه دلوقتى ..

قال :

– كويس .. تحبى اوصلك ؟

قلت واعصابى تتجمع لمغامرة جديدة :

– انت يظهر عليك لسه شقى ..

قال :

– أبدا والله يا افندم .. بس أنا حاسس اننا مش غرب .

وهممت ان اركب بجانبه .. ببســـاطة .. كما تعودت أن اركب بجانب كثير من الرجال .. ولكنى فجاة تذكرت خالتى صبرية .. واحسست كأنى اخون ثقتها فى .. كأنى على وشك ان الوث بينها الهادىء النظيف الذى يملؤه الحب .. خالتى التى اوتنى لتنقذنى من حياتى الممزقة .. و .. ولم اكن ســـتطيع أن اقاوم طويلا .. كنت قد تعبت من طول ما قاومت .. والأعاصير التى مرت بى فتتت كل كيانى .. فتتت عقلى نفسه .. وكان اى رجل يمكنه وأنا فى هذه الحالة ان يجذبنى اليه .. واى مغامرة يمكن ان تشدنى اليها ..

وخنت ثقة خالتى ..

ذبحتها هى الاخرى كما ذبحت كل الذين احبونى وعطفوا على ..

وركبت سيارته ..

انها سيارة أخرى غير الشفروليه التى ركبتها معه منذ سبع سنوات .. سيارة فولكس واجن ..

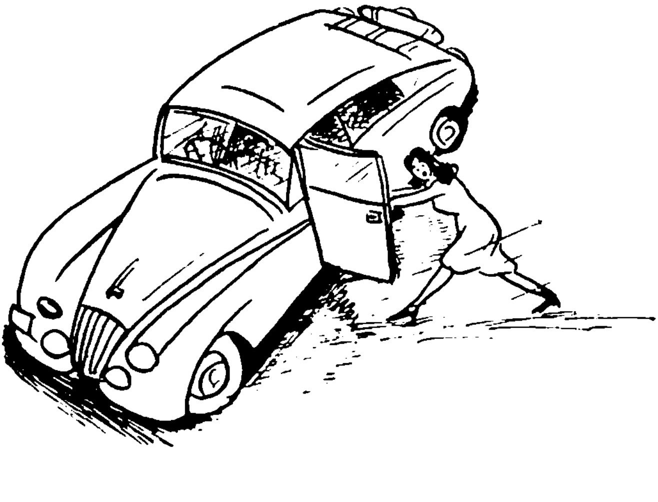
وبسرعة وجدتنى اروى له قصة ابنتى ..

كنت فى حاجة الى أن أروى قصة ابنتى لأى انسان جديد ، كأنى أعرض مسرحية على متفرجين جدد ..

واثرت بقصتى قلب محمد .. وشهامته .. ورأيت غلالة من الأسى تكسو وجهه .. وبدأ يسب ويلعن فى زوجى عبد السلام .. وقد كنت فى حاجة كبيرة لأن استمع من يسب فى عبد السلام . فعائلتى كلها تعطف عليه أكثر مما تسبه ، وتعطيه الحق فى خطف ابنتى .. أما محمد ، فقد شعرت انه يعبر عن كل أحاسيسى ويطلق طاقة حقدى وهو يسب عبد السلام .. وبدأ يحدثنى عن حقوقى القانونية فى حضانة ابنتى .. ويبدى استعداده لأن يضع اشهر المحامين فى خدمتى .. كان متحمسا لى حماسا صادقا .. واحسست كأن قلبه يلتاع مع قلبى .. وبدونا نحن الاثنين كأننا كونا فرقة هجوم لاعلان الحرب لاستعادة ابنتى ..

وقابلت محمد مرة ثانية .. وثالثة .. ولم اكن استطيع ان احادثه فى التليفون من بيت خالتى صبرية ، فكنت اذهب لأحادثه فى التليفون من عند خالتى سعدية .. وكنت متلهفة دائما الى حديثه ، والى لقائه .. لا لأنى أحبه .. ولكن لأننى كنت فى حاجة اليه .. فى حاجة اليه ليخفف من ازمتى .. ليريح اعصابى ..

وفى المرة الرابعة ذهبت معه الى شقته .. وصعقت عندما



علمت أن الشقة التى يأخذنى اليها محمد تقع فى الزمالك ايضا .. قريبا من شقة هاشم ..

ولم يكن محمد حتى هذه اللحظـــة يعـــلم شيئا عن علاقتى بهاشم ، رغم أنه شاب يعيش قريبا من الأوساط الاجتماعية التى يعيش فيها .. وقد تعجبت أن ظل هناك ناس يعيشـــون فى القاهرة ، وفى مجتمع النوادى ، ولا يعلمون علاقتى بهاشـــم . بعد كل الضجة التى اثرتها معه ...

ولكنى اكتشفت أن القاهرة ليست مدينة واحـــدة .. انهـــا عشرات المدن .. ما يجرى فى واحدة منها لا تسمع به الأخرى .. القاهرة مجتمعات مفككة لا صـــلة بينها .. والحـــكم الذى يصدره مجتمع منها لا يبلغ الى مجتمع آخر .. بل ان القـــاهرة شلل .. كل شلة لها اهتمامها وعالمها وفضائحها الخاصـــة .. والبنت يمكن أن تكون فاضلة بالنسبة لشلة وخاطئة بالنســـبة لشلة اخرى .. وقد ترفض شلة أن تزوجها من أحد افرادها . وتقبل الشلة الأخرى .. ليس هناك حكم عام على بنت ، الا اذا نشرت قصتها الصحف .. وقصتى لم تنشرها الصحف ..

وصعدت مع محمد الى الشـــقة ، وركبتاى ترتعشـــان .. احسست أنى أعود الى حياتى من جديد .. الحياة التى تعودتها .. حياة الشقق الخاصة ..

واحســـت أنى لا استطيع ان ادعى أمام محمـــد بأن هذه أول مرة أدخل فيها شقة خاصة .. كنت ساعتها أضعف من أن ادعى الخوف .. او الرهبة .. او الخجل .. او شيئا مما تدعيه البنات عندما يدخلن شقة خاصة .. كنت اريد ان أرتاح من كل هذا .. ان أكون على طبيعتى .. كنت أريد أن أطلق اعصابى

التالفة التى مضى عليها اسابيع وهى حبيسة ارادتى ، حبيسة الخوف من الا تعود الى ابنتى ..

ومحمد جالس امامى مبهورا ، كأنه لا يصدق عينيه ، ولا يصدق انى معه .. وانه يستطيع ان يأخذنى .. وهو مرتبك ، لا يدرى من اين ابدأ .. تتسلل الى عيناه المرتبكتان .. ويهم ان يقترب منى ثم يخشى ان يغضبنى ، فيظل بعيدا عنى مدعيا الأدب .. يحاول ان يتكلم فى اى موضوع ، ليثبت لى نه لا يريد منى شيئا اكثر من ان اكون معه .. واكثر من ان نتحدث ..

وانا انظر اليه بعينين مفتوحتين ، وابتسامة صغيرة على شفتى احاول ان اخفف ارتباكه .. وان احرره من الرهبة التى يشعر بها .. وارد على حديثه باجابات مقتضبة حتى اشعره بانى لست فى حاجة الى حديثه .. فى حاجة الى اكثر ..

واخيرا ..

اقترب محمد ..

مال على ووضع خده على خدى .. فى رفق .. وتردد .. كأنه يحس انه يلمس شيئا كريما غاليا ، يخشى ان يجرحه مجرد اللمس .. كأنه يتجرأ على قدس الأقداس .. وابتسمت بينى وبين نفسى .. انه لا يزال صغيرا .. وهو لا يعرفنى .. وقد ارضى غرورى ارتباكه والرهبة التى تبدو عليه .. واسلمت خدى الى خده .. وتركت ذراعه تزحف حولى ى تردد لتضمنى الى صدره . ثم تركتت يطوف بشفتيه الى ان يصل الى شفتى .. قبلة هادئة ، خجولة ، ناعمة .. وحاولت ان اعيش فى هذه القبلة .. ان اهيم فيها .. ولكنى فجأة .. وشفتاه بين شفتى .. وجدت نفسى افكر فى ابنتى .. وفى هاشم .. وفى خالتى صبرية

.. صور من حياتى الممزقة تتوالى على راسى .. واعصابى تتلوى .. احس بضيق .. اريد ان اهرب من هذه الصور .. اريد ان اهرب من حياتى كلها ... ووجدت نفسى فى محاولة الهرب ، آخذ شفتيه كلهما بين شفتى .. أريد ان اغوص فيهما .. اريد ان اغرق كل همومى بينهما .. وقبلته أكثر مما يقبلنى .. ربما كنت أعلمه قبلا لم يعرفها من قبل .. وانساق معى .. بكل شبابه ، بكل انبهاره بى .. بكل احساسه بأنى شىء اجمل واروع مما كان يطمع فيه ..

ثم ..

رفع الى عينيه فى ابتهال ، وهو يضمنى اليه ، كأنه يستأذننى فى ان يأخذ منى اكثر ..

لم لا ..

لماذا انتظر حتى اللقاء الثانى ، او الثالث .. انى واثقة انى سأعطيه كل شىء ، فلماذا لا أعطيه اليوم ما سأعطيه له .. ولماذا لا آخذ منه اليوم ما سآخذه بعد يومين .. ما هذه التقاليد التى تحتم على البنت الا تعطى نفسها فى اللقاء الأول .. تقاليد الخطيئة .. آداب الخطيئة .. انى لا أؤمن بهذه التقاليد والآداب .. انى امرأة صريحة .. واقعية .. لا اضيع أيامى فى تجاهل الواقع .. ولا أدعى الخفر والحياء ، حينما لا اكون فى حاجة اليهما ..

خذنى ..

لعلى أستطيع الهرب من نفسى ..

واخذنى ...

وانا اشعر به كطفل يلهو .. واشعر بأنفاسه المبهورة كأنه ينفخ فى غرورى .. ويعيد الى ثقتى بنفسى .. واطمئنانى الى

مستقبلى .. انى استطيع دائما ان اجد رجلا ، ينبهر بى كل هذا الانبهار .. ويريدنى الى هذا الحد .. رجل املكه ..

ولم تتعلق عيناى بالسوار الذهبى الذى اهدانيه هاشم .. لا ..

لقد كان كل تفكيرى لحظتها مركزا فى محمد .. لم يكن مركزا فى احساسى الجسدى به .. ولكنى كنت ارسم صورا لمستقبلى معه .. انى استطيع ان استعين به لأقوى به على هاشم .. واستطيع ان استعين به لاسترد ابنتى .. واستطيع ان استعين به عندما يتخلى عنى بقية اهلى ..

ان محمد شىء آخر ، غير الرجال الذين عرفتهم .. انى واثقة انه يحبنى اكثر .. ويريدنى اكثر .. واثقة انى اقوى منه .. اقوى منه بتجاربى وذكائى .. واستطيع ان اسيطر عليه ، وان احركه كيف اشاء .. لقد اشعرنى محمد بقوتى ، قوة شخصيتى ، اكثر مما اشعرنى بها اى رجل آخر ..

هل اتزوجه ؟

لا .. لا يجب ان افكر فى الزواج به الآن .. قد لا استطيع ان اتزوجه .. ان هذا الصنف من الشبان لا يتزوج فتاة مثلى .. انه من عائلة كبيرة .. غنية .. وهو وحيد امه .. ولد واحد وثلاث بنات .. وانا مطلقة ، ولى ابنة ، ثم انى فى مثل عمره .. وعندما يعرفنى أكثر لابد انه سيسمع عن مغامراتى .. كل هذا يخنق املى فى الزواج به .. انى اعرف .. هذا النوع من الشبان لا يتزوج الا صفقة .. فتاة صغيرة ، من عائلة غنية ، طيبة السمعة .. لابد ان امه تبحث له الآن عن صفقة ..

ولكن ...

لا يهم الزواج ..

اذا اردت الزواج ، فخالتى صبرية تستطيع ان تأتى لى بعريس ..

المهم هو ان احتفظ به ..

احتفظ بمحمد ..

انه لقطة .. حتى بلا زواج ..

ولكنه قد يسمع بعلاقتى بهاشم !!

وقررت أن أعترف له .. ان الاعتراف يمسح الخطيئة .. ويحصن الرجل ضد كلام الناس ..

وبدأت أعترف له بعلاقتى بهاشم ..

اعترف له ودموعى فى عينى ..

لم أعترف له بكل التفاصيل ..

ولكنى اعترفت له بما يكفى أن يحصنه ضد كلام الناس .. ان اى شىء يسمعه عنى بعد ذلك ، لن يكون جديدا عليه .

وتلقى محمد اعترافى بعينين حزينتين ، كأنه على وشك ان يبكى معى .. وتحمس فى السخط على هاشم كما تحمس فى السخط على عبد السلام .. ووعدنى .. وعدنى أن يعوضنى عن كل شقائى .. أن يمنحنى حياة جديدة .. حلوة .. رائعة ..

كان فى وعده حماس عمره الصغير ..

.. حماس الشباب واندفاعه ..

ونزلنا يومها من الشقة وأنا غير نادمة على ما اعطيته .. وعندما ركبت بجانبه فى سيارته ليوصلنى الى مصر الجديدة التفت الى الشارع الذى تقع فيه شقة هاشم .. لعلى ارى سيارته .. ثم عدلت راسى بسرعة كأنى خفت من محمد .. ولكنى ظللت طول الطريق افكر فى هاشم ..

وعندما عدت الى بيت خالتى صبرية ، احسست بفداحة

الجرم الذى ارتكبته فى حقها .. احسست بانى خنت امانتها .. خنت عطفها .. بانى لوثت بيتها .. احسست بهذا الاحساس اكثر مما احسست به عندما كنت اقيم مع امى ، وعندما كنت اقيم مع ابى .. لم اكن احس بانى اخون ثقة امى او ابى ، كما احس بانى خنت ثقة خالتى .. ربما لأن خالتى ليست مسؤولة عنى .. ولأن كل ما تقدمه لى هو تضحية منها .. كرم منها .. ورغم ذلك خنتها ..

لماذا .. يا ربى .. لماذا .. لا استطيع ان اكون فتاة طيبة ، تصون ثقة أهلها .. لا أدرى .. ربما كانت هذه طبيعتى .. ربما ورثت هذا الجنون عن ابى ..

ولم استطع ان اواجه خالتى صبرية عندما عدت اليها .. لم استطع ان أرفع عينى الى عينيها .. وربما امتقع وجهى وارتعشت أطرافى وهى تستقبلنى بابتسامتها الطيبة الحلوة .. وربما خيل الى أن فى نظراتها بعض الشك ، والتساؤل .. ولكنى لم أتوقف لأكشف ما فى عقلها .. جريت الى الغرفة المخصصة لى ، ورقدت على السرير احاول أن أواجه نفسى على حقيقتها .. وخيل الى انى لن أستطيع ان أعيش فى بيت خالتى طويلا .. انى لا أطيق احساسى بانى أخون ثقتها .. ولا أطيق طيبتها .. ولا اطيق تقييد حريتى .. لا أطيق أن أكون مسؤولة أمام أحد .

ولكنى ، اذا تركت بيت خالتى ، فكيف أعيش ..

انى استطيع أن أعود الى ابى .. ولكن ابى لن يستطيع أن ينفق على ..

اذن يجب أن أعود الى هاشم .. انى لا استطيع ان اطلب من محمد أن ينفق على .. انه الى الآن يتصور انى فتاة من عائلة كبيرة ، تعيش فى رعاية أبيها ، ولا يمكن أن يتصور أنى فى

حاجة لرجل ينفق على .. وربما لو تصور هذا ، لخاف منى ، وابتعد عنى ..

اذا أعود الى هاشم ...

ولم تكن هذه هى كل الأسباب التى تدفعنى الى التفكير فى العودة لهاشم .. ولكن الواقع ، ان لقائى بمحمد أضعف مقاومتى لهاشم .. لقد كنت اقاوم هاشم فى كل دقيقة طوال الأسابيع التى مرت .. لقد كنت اقاوم حبى له .. وحاجة جسدى اليه .. وكنت أقاوم رغبتى فى الانتقام منه .. ولكن لقائى بمحمد كسر القيد الذى كنت أحاول أن اقيد به نفسى .. كسر ارادتى .. فتح القمقم الذى حاولت ان أحبس فيه عفريت جنونى .. وانطلق خيالى بكل قوته الى هاشم .. وتفتحت مسام جسدى كلها ظمأى اليه .. ان هاشم شىء آخر غير محمد .. انه يشبعنى .. يشبعنى بشخصيته القوية التى تسيطر على كل قطعة منى .. بغروره .. بصلفه .. باستهانته بى ..

وفى اليوم التالى ذهبت الى بيت خالتى سعدية ، واستطعت بمساعدة ابنتها ، ان أتصل بهاشم فى التليفون ..

وسمعت صوته بعد كل هذه الأسابيع ..

ثابتا رائقا لم يحدث له شىء .. كأنى لم أغب عنه .. كأنى لم أحتمل كل هذه المصائب من اجله ..

وقال فى مرح هادىء بمجرد أن سمع صوتى :

— انتى فين من زمان ...

قلت :

— انا حصل لى حاجات كتير يا هاشم .. مصايب وقعت على دماغى ..

قال فى لهفة :

ـ خير ..

قلت :

ـ تصور ان عبد السلام خطف البنت .

قال :

ـ مش معقول .. وعملتى ايه ؟

قلت :

ـ لسه مش عارفه اعمل ايه .. أنا قاعده عند خالتى دلوقت .. انما لازم اشوفك ..

قال فى تردد :

ـ ما بلاش .. خلينا نتعود اننا ما نشفش بعض ..

قلت :

ـ لا .. انا محتاجه لك .. ولازم تعرف ان كل اللى حصل كان بسببك .. عبد السلام ما خطفش البنت الا لانى اعرفك .. ومش ممكن دلوقت تسيبنى لوحدى .. لازم تساعدنى ..

وسكت برهة ثم قال فى قرف :

ـ حاضر ..

قلت بسرعة :

ـ بس مش حاشوفك فى شقتك ..

قال فى دهشة :

ـ ليه ؟

قلت :

ـ لأن خالتى وجوزها مصدقين على قوى .. ومراقبينى .. وكلهم عارفين شقتك فين ..

ولم يكن هذا صحيحا .. ولكنى كنت اخشى أن يرانى محمد ، عندما اذهب الى شقة هاشم القريبة من شقته ..

وقال هاشم بعصبية :
ـ امال اشوفك فين .. فى جنينة الحيوانات ؟
قلت :
ـ لا .. فى شقة صاحبك رؤوف ..
قال :
ـ طيب .. بكره الساعه اربعه ..
قلت :
ـ لا .. النهارده .. انا عايزاك ضرورى ..
قال فى سخط :
ـ طيب ..

واستطعت يومها ان اقنع خالتى بأن تتركنى اذهب الى بيت أبى لأحضر بعض ثيابى التى تركتها هناك ..

وذهبت الى هاشم .. وكنت اعرف عنوان شقة رؤوف ضمن العناوين الكثيرة التى اعرفها وأضمها فى ذاكرتى مع نمر التليفونات ، ونمر السيارات ..

احساس آخر غير احساسى وانا ادخل الى شقة للاقاة اى رجل آخر ..

انى أحس وانا اضغط الجرس فى انتظار ان يفتح هاشم . بكل ضعفى . أحس بكل شىء ينسحب منى .. وأنى أنهار .. أنهار على صدر رجل يسلبنى كل شخصيتى .. وكل اعتزازى بكرامتى .. بل يسلبنى احساسى بجمالى وشبابى .. ولا أعود سوى شحاذة تشحذ رجولته ودفء شخصيته .. شحاذة مجنونة ..

وفتح لى هاشم الباب ..

وحاولت ان اكسو وجهى بطابع الحزن والأسى ، ولكنى لم

استطع ان اكبت ابتسامة صغيرة طافت بشفتى ، وانا انظر اليه والشوق ينطلق فى قلبى ..

ولم يأخذنى بين ذراعيه ..

لم يقبلنى ..

كأنه لم تمض أسابيع كثيرة لم نلتق فيها .. ولم نتلامس فيها ..

وقال وهو ينظر الى وشفتاه تبخلان بابتسامة :

— انتى خسيتى ..

ونظرت اليه فى لوم ثم ارخيت عينى قائلة :

— ما بستنبش ليه .. مش وحشاك ! ؟

ونظر الى برهة .. ثم جذبنى الى صدره ، وحاول ان يقبلنى قبلة صغيرة ، ولكنى تعلقت بقبلته الصغيرة وجعلت منها قبلة كبيرة .. شربت .. وشربت .. وقبل ان ارتوى ابعدنى عن صدره .. قائلا وهو يلتقط انفاسه :

— احكيلى .. حصل ايه ؟

قلت :

— ما تبعدنيش عنك يا هاشم .. انت واحشنى ..

قال :

— بس فهمينى الأول ..

وجلسنا على الأريكة ، واخذت اروى له قصتى ، وعيناى تطوفان بوجهه وتعششان فوق انفه الكبير .. وربما لم اكن متحمسة كثيرا فى رواية قصتى ، فقد كان هناك شىء يشغلنى عن الحماس لقصتى .. كنت اريد هاشم ..

وقال هاشم بعد ان انتهيت من قصتى :

— انتى السبب ..

قلت مغتاظة :

ـ ليه ؟

قال :

ـ لأنك اهملت البنت .. سايباها دايما مع الخدامة .. ما كنتيش بتعملى حسابها ..

قلت :

ـ مش مهم الكلام ده دلوقت .. المهم أعمل ايه ؟

قال :

ـ مافيش الا انك تروحى لمحامى ..

قلت :

ـ وانت تدفع الأتعاب .. مش كده ؟

قال :

ـ انا مستعد ..

قلت :

ـ انت كل اللى بتعمله انك تدينى فلوس ..

قال :

ـ انا باعمل لك اللى اقدر عليه ..

قلت :

ـ ما تقدرش على اكتر من كده ؟

قال فى برود :

ـ لا ..

قلت :

ـ طيب بوسنى ..

ونظر الى فى دهشة ، فصرخت :

ـ بوسنى .. دى الحاجة التانيه اللى تقدر تعملها ..

وقبلنى هاشم ..

واغمضت عينى لأتلقى قبلته .. وقبــلات اكثر .. ولكن هاشم ليس كعادته .. انه هادىء .. بل خيل الى انه يضــغط على اعصابه حتى يستجيب لى ولقبلاتى ..

ورغم ذلك فقد اخذت منه اكثر مما يستطيع اى رجل آخر ان يعطينى ..

انه التعود ..

ليس الحب ..

صدقونى .. ليس الحب .. لقد كنت فى هذه الأيام اكره هاشم ..

وعادت حياتى كما كانت ..

مرتبكة ..

ممزقة بين رجلين .. هاشم .. ومحمد ..

ولكننى لم اكن قد اندمجت فى هذه الحياة بعد بكل طاقتى .. كنت لا ازال اقيم فى بيت خالتى .. وكانت خالتى لا تزال تراقبنى .. ولا ازال احسب حسابها .. وكنت أفكر كيف استطيع ان أفر من بيتها ، لأستعيد كل حريتى .. وكل طاقات جنونى .. انى اقيم عندها لأستعيد ابنتى .. ولكن ابنتى لم تعد لى .. فلماذا اقيم عندها .. ولماذا احيط نفسى بناس يراقبوننى ، ويزهقون حريتى ..

الى أن كان يوم ..

وكنت عائدة من لقاء محمد عندما اســتقبلتنى خالتى متهللة الوجه وقالت كأنها تزغرد :

ــ خلاص يا ستى .. لقينا العريس ..

هل يمكننى أن أرفض العريس الذى جاءت به خالتى ؟

لا ..

كنت محرجة .. وكانت شخصيتى اضعف من ان تقاوم هذا الحرج .. اضعف من ان اواجه امى وخالاتى ورجال العائلة . لأقول لهم انى لا اريد الزواج .. لا اريد ان اكرر تجربتى مع عبد السلام .. التجربة الفاشلة .. وكنت قد تركت الجميع يؤمنون بأنى اهتديت .. وانى اقتنعت بان اتزوج حتى يكون لى بيت هادىء صالح استطيع ان اربى فيه ابنتى .. ولم اكن استطيع ، بعد كل ما فعلوه من اجلى ، ان اصدمهم .. ان اكشف لهم عن حقيقتى .. ان ابدو امامهم كانى لا زلت مجنونة .. وارفض الزواج ..

من اجل ابنتى .. يجب ان اتزوج ..

ومن اجل عائلتى ..

وجاء فريد ..

العريس ..

فى التاسعة والثلاثين من عمره .. لعله فى الأربعين ، فقد تعود الرجال ان يختصروا العام الأخير قبل الأربعين .. ابيض .. ملظلظ .. شعره فاتح ، وقع عن مقدمة راسه وتركها صلعاء .. وقد سبق له الزواج .. وعنده ولد .. ويعمل مديرا لاحدى الشركات .. ودخله يصل الى مائة جنيه فى الشهر ..

ولم تكن عائلتى تطمع فى رجل خير من هذا .. فأنا مطلقة .. ولى بنت .. فى الخامسة والعشرين من عمرى .. وفقيرة . ليس لى دخل خاص .. وسمعتى زفت .. ولا استحق اكثر من فريد .. انهم لا يعلمون ان هناك شبانا كمحمد يذوبون فى حبى .. ولا يعلمون ان هاشم لا يزال مرتبطا بى .. بل لا يعلمون ان حسن ايضا — خطيبى السابق — لا يزال تحت امرى .. ربما لم يكن واحد من هؤلاء الثلاثة يرضى بأن يتزوجنى .. ولكن كلا

منهم على الاقل كان مستعدا لأن يتزوجنى ، لو ام يعرفنى على حقيقتى .. أنا لست رخيصة كما يعتقدون ، حتى يفرحوا كل هذه الفرحة ، لانهم وجدوا رجلا كفريد يتزوجنى ..

ولم يكن فريد — هو الآخر — يعلم شيئا عنى . رغم انه يقيم فى القاهرة .. لقد اثبتت القاهرة مرة ثانية انهـــا ليست مجتمعا واحدا ، وان كل فتاة مهما فعلت ، تستطيع دائما ان تجد رجلا لا يعلم عما فعلته شيئا ..

واكتفى فريد بما يعـــرفه عن عائلتى العريقة ، التى تضم اسماء كبيرة .. واكتفى بما احسه فى بيت خالتى من هدوء وطيبة واستقرار .. واعتقد انى انا ايضا لابد أن أكون هادئة ، طيبة ، مستقرة .. شريفة .. وانبهر بى .. انبهر بجمالى .. والرقة المصطنعة التى استطيع دائما أن أطبع بهـــا حركاتى .. وتلهف على اعلان الخطبة .. بسرعة .. كأنه كان يخشى فى كل يوم ان ارفضه ، أو ترفضه عائلتى الكبيرة العريقة ..

وكل ما استطعته ايامها هو اقناع خالتى بأن تؤجل اعـــلان الخطبة بعض الوقت ، حتى استطيع ان أعرف فريد أكثر .. وقالت خالتى وهى تبتسم لى كأننا صديقتان :

— بس انا خايفه الراجل يطير ..

قلت كأنى أتوسل اليها :

— بس انتى عارفه حالتى يا طنط .. انا لسه تعبانه ..

قالت :

— طيب يا ميتو .. فكرى على مهلك يا حبيبتى ..

قلت وأنا أبتسم :

— وما تخافيش انه يطير .. ده واقع لشوشته ..

وضحكت خالتى فى ثقة ..

وقضيت اياما كثيرة افكر .. اياما خيل الى فيها انى لا اريد الزواج اطلاقا ، لا من فريد ولا من غيره .. خيل الى أن طبيعتى لا تطيق الزواج .. لا تطيق ان اتقيد برجل .. ربما لأن الرجل الوحيد الذى احببته لم يقيدنى .. كان يكتفى منى بهذه المكالمات التليفونية السريعة ، ولقاء ساعة أو ساعتين كل يومين او ثلاثة .. ثم يترك لى باقى ايامى حرة .. افعل ما اشاء بحريتى .. سواء تعذبت بها أو سعدت ..

وخيل الى فى تلك الأيام انى لا استطيع الزواج حتى من اجل ابنتى .. انى لا استطيع أن احتمل هذه التضحية من اجلها .. التضحية بحريتى .. وحتى لو احتملتها ، فلا يمكن لأم تعيسة أن تربى ابنة سعيدة .. ولو تزوجت وعرفت رجالا آخرين فستنشأ ابنتى فى فساد . ثم من أدرانى أن ابنتى ستعود الى بعد ان اتزوج .. ربما صمم عبد السلام على الاحتفاظ بها ، خصوصا أن زواجى سينقل اليه الحق فى حضانتها .

وتجسمت فى راسى كل هذه الخيالات ، الى حد انى تصورت لنفسى حياة جديدة .. حياة حرة .. بعيدا عن اهلى كلهم .. بعيدا عن امى ، وعن ابى ، وعن خالاتى ، وعن ابنتى .. لم لا .. انى أستطيع أن اقيم فى بيت وحدى .. وهاشم ينفق على .. ويتركنى حرة كعادته ، لألتقى بمحمد .. وغير محمد .. حياة منطلقة الى آخرها .. افعل ما اشاء .. لا يحاسبنى احد .. ولا أحسب حساب أحد ..

وحاولت أن أقيم فعلا هذه الحياة . وذهبت الى لقاء هاشم .. فى شقة رؤوف أيضا ، حتى لا يرانى محمد .. وقلت له :

— انا حاتجوز يا هاشم ..

وقال فى برود :

ــ مبروك ..

قلت :

ــ خالتى جايبالى واحد ..

قال :

ــ كويس ...

قلت :

ــ بس انا مش عايزه اتجوزه ..

ورفع عينيه فى دهشة وقال :

ــ ليه ؟؟

قلت :

ــ لأنى لسه باحبك ..

قال :

ــ بس انتى لازم تتجوزى .. ما فيش حاجه ممكن تعـــدل حياتك الا انك تتجوزى .. وانا مش حاتجوز ..

ـت :

ــ يعنى كويس انى اتجوز ، وافضل معاك ؟

قال :

ــ لا . ما حدش قال كده .. اتجوزى وسيبينى ..

قلت :

ــ طيب ايه رايك انى ما اتجوزش وما اسيبكش .. اعيش لوحدى .. تاخد لى شقة لوحدى وتبقى تجيلى فيها ..

قال فى دهشة كأنه لم يكن يعرف انى مجنونة الى هـــدا الحد :

ــ وتسيبى اهلك ؟

قلت :

ـــ ايوه ..

قال :

ـــ ما نبقيش مجنونة .. انتى مهما الناس قالت عنك ، انما لسه معروف انك بنت من عيله وقاعده مع أهلك .. يوم ما تسيبى أهلك حاتبقى حاجه تانية .. حاتضيعى مستقبلك .. وحاتلاقى نفسك انتقلت لمجتمع تانى .. مجتمع البنات فيه لهم صورة تانيه .. ووضع تانى .. مش حاتلاقى بيت كويس يستقبلك .. مش حاتلاقى بنت كويسه تصاحبك .. وما تنسيش بنتك .. حرام عليكى تعملى فيها كده .. حرام عليكى تخليها تنكسف من امها .. انا مش باهرب من مسؤليتك .. انما مش مستعد اتجنن معاكى ..

وهدم كلام هاشم كل ما بنيته فى خيالى ..

لم يبق الا أن أتزوج ..

ان أهلى لن يسكتوا عنى الا اذا تزوجت ..

واعلنت خطبتى الى فريد ..

وعجلنا بكتب الكتاب ..

كتبنا الكتاب بعد الخطبة بثلاثة أسابيع ، فقد كانت خالتى تخشى أن يسمع فريد عنى كلام الناس ، فيعدل عن الزواج .. وكانت تقول لى انه ، لأنى مطلقة ، فلا يجب أن تطول فترة الخطوبة .. ووافقت أنا لأنى اعتقدت فى لحظة أن كتب الكتاب سيقيدنى أكثر .. سيقيدنى عن الاندفاع فى جنونى .. انه ليس كالخطبة . لن أستطيع الفكاك من كتب الكتاب بنفس السهولة التى فككت فيها من خطوبتى الى حسن ..

والمهر أربعمائة جنيه .. فقط ..

المطلقات ثمنهن أرخص من البنات !!

وحتى ثمنى كمطلقة فى هبوط .. فقد كان المهر المتفق عليه عندما خطبت الى حسن ، هو سبعمائة جنيه .. غير الخاتم ..

وبكى محمد فى صباح يوم كتب الكتاب ..

كنت يومها أكاد أجن .. كنت أحس انى ابيع حياتى كلها .. وكنت فى حاجة لأن أقابل هاشم لعله يستطيع أن يعيد الى راسى .. لعله يستطيع أن يقنعنى .. يعيننى على احتمال مصيبتى .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه .. رفض أن يقابلنى .. فقابلت محمد ، قبل ان اذهب الى الحلاق لأصفف شعرى استعدادا لحفلة كتب الكتاب ..

وبكى محمد ..

بكى بدموع صادقة ..

وحاول ان يقنعنى بأن اعدل عن الزواج .. قال لى انى لا زلت صغيرة ، وحرام أن اتزوج رجلا لا احبه .. حرام أن اقبر حياتى ... ثم قال انه مستعد أن يتزوجنى ، لو انتظرت حتى تتزوج اخواته البنات ..

ولكن كان الوقت قد فات لكل هذا الكلام ..

لا أستطيع ان اتراجع ..

وجاء المأذون ، وكتب العقد فى حفل عائلى صغير .. وفكرى شارد مع هاشم .. وآثار قبلات محمد لا تزال فوق شفتى منذ الصباح ..

وصالحنى زوج امى بعد أن تزوجت ..

وبدأت العائلات التى كانت تستقبلنى فى برود ، تستقبلنى انا وزوجى بترحاب .. وعدت كما كنت أيام كان قرانى معقودا على عبد السلام .. اخرج مع فريد كل ليلة .. ولكنى لا أسمح

له بأن يلمسنى ، محتجة بأننا لم ننتقل الى بيتنا بعد .. كل ما كنت اسمح به هو أن يقبلنى على خدى ..

وكنت منذ ان تقدم الى أعامله بغطرسة ، وترفع .. كنت اشعره دائما بأنى شىء كبير ، أرقى منه وارفع .. وكان يطلق على لقب « البرنسيسة » وأحيانا « الامبراطورة » .. من كثرة ما اتعالى عليه .. ومن شدة محاسبتى له على كل هفوة من هفواته ..

وبعد ان كتب الكتاب اصبحت اتعالى عليه اكثر .. واقسو فى معاملته أكثر .. وتنقضى أيام كاملة لا أتحدث اليه خلالها سوى كلمات متقطعة باردة .. ويأتى ليسهر عندنا ، فأجلس امام التلفزيون صامتة ، وهو جالس خلفى على الأريكة ، حتى ينتهى البرنامج ، فأقوم وادخل غرفتى واتركه وحده .. وكان يشكو لأهلى هذا التعالى .. ويرجو أمى أن تتدخل لتقنعنى بأن أعامله معاملة أرق .. ان أتنازل واهبه بعض حنانى .. شيئا منى .. ولكنى كنت معذورة فى هذا التعالى .. كنت فعلا لا أطيقه .. وكانت هفواته الصغيرة تبدو فى عينى كبيرة .. بشعة .. والساعات التى اقضيها معه تكاد تخنقنى .. واصبحت ابكى كلما خلوت الى نفسى .. ابكى من ثقل الحياة التى اقدم عليها مع فريد .. ابكى حظى فى أن تنتهى حياتى مع رجل مثله .. نسيت كل ما قاسيته فى حياتى الماضية .. نسيت عذابى مع هاشم ... بل خيل الى ان عذابى مع هاشم أرحم بكثير من حياتى التى اتصورها مع فريد .. لماذا رميت نفسى هذه الرمية .. لماذا ابيع كل عمرى فى سبيل كلام الناس .. او حتى فى سبيل بنتى .. انى لا زلت شابة .. وجميلة .. وذكية .. ان أمامى حياة

واسعة . حرة .. زاهية .. فلماذا أبيعها بحياة راكدة مظلمة مع رجل مثل فريد ..

وحاولت أن اتلهى عن هذه الأفكار السوداء ..

كنت أحادث هاشم فى التليفون ، ويرفض مقابلتى ..

وكنت اذهب الى لقاء محمد كلما سنحت لى الفرصة ..

ولكن افكارى السوداء لا تزال تلح على راسى .. واتصور هاشم قد صبح يعيش حياة ليس لى فيها نصيب .. حيـاة مع فتاة أخرى .. وأتصور محمد وقد زهق من هذه اللقاءات السريعة التى يلقانى فيها ، وبحث لنفسه عن فتاة أخرى .. واتصور نفسى زوجة تلتقى بعشيق فى السر .. فى الظلام .. وعلى عجل .. تخطف الحب خطفا ..

ــ لا .. مستحيل ..

وبعد اسبوعين .. اسبوعين فقط .. من كتب كتابى كنت اضع الخطة للتخلص من فريد .

كنت أمهد للطلاق ..

وكانت أول خطوة أن اقنعت أمى وخالتى صبرية أن أعـود لاقيم مع أبى فى الشقة التى لا يزال أبى يحتفظ بها لى ، حتى اكون قريبة من البلد فى أيام الجهاز ..

وخافت أمى ..

واقتنعت خالتى ، وهى سـعيدة لأنهـا قامت بمهمتهـا وزوجتنى ..

ثم كان يجب أن اضمن هاشم .. فاتصلت به ، وقلت له :

ــ عاجبك كده .. عاجبك ترمينى الرميه دى ؟ ..

وقال دهشا :

ــ أنا رميتك !! انتى مش اتجوزتى ؟

قلت أنا :

ــ ودى جوازه .. انا مش طايقاه .. مش قادره استحمل .. ولسه باحبك .. واذا ما كنتش حا اقابلك .. حاروح اقابل غيرك ..

ــ اعقلى يا امينه .. ما تبقيش مجنونه ..

قلت :

ــ اعقل يعنى ايه .. يعنى اتجوز وارافق على جوزى .. هو ده العقل .. اذا كان كده يبقى الجنان أحسن .. اشرف ..

قال :

ــ يا امينه انتى لسه ما تعرفيش اذا كنتى حاتستحملى ولا ما تستحمليش .. حاولى .. على الأقل حاولى .. اتجوزى سنه ولا سنتين ، وبعدين اذا ما قدرتيش ابقى اطلقى .. كل الناس بتعمل كده ..

قلت :

ــ انا أشرف من الناس .. لأنى مش عايزه اضحك على راجل عارفه ومتأكده انى مش حا اقدر انى اعيش معاه .. وانى اذا عشت معاه حا اخونه ..

قال :

ــ طيب وكنتى اتجوزتيه ليه ..

قلت :

ــ أهلى ضغطوا على .. وكنت فاكره انى حا اقدر اتجوز ..

قال :

ــ حرام عليكى يا امينه .. الرجاله مش تحت امرك .. تتجوزيهم وتسيبيهم زى ما انتى عايزه .. دى مش اول مرة تعمليها .. الراجل ده ذنبه ايه ..

قلت :

ـ وانا ذنبى ايه .. نا باعمل ده كله علشان خاطرك يا هاشم .. انا باحبك .. مش قادره أستغنى عنك ..

ويئس هاشم من اقناعى ..

ويتركنى وهو مقتنع بأنى سأترك زوجى من اجله ..

وفى الوقت نفسه ذهبت الى لقـــاء محمد .. وقلت له وانا ابكى :

ـ انا حاسيب جوزى يا محمد ..

وقال فى سذاجة :

ـ ليه ؟

قلت :

ـ لانى باحبك .. ما اقدرش استغنى عنك .. وما اقدرش اتجـــوز واحـــد واخونه معاك .. ما اقـــدرش .. ما اقدرش ابدا ..

وفرح محمد ..

وشجعنى على الطلاق ، وهو مقتنع بانى اشرف سيدة فى مصر .. سيدة ترفض أن تتزوج رجلا تخونه .. سيدة تضحى بزوجها فى سبيل أن تبقى لرجل واحد تحبه .. حتى بلا زواج ..

وهكذا ..

اصبح لى رجلان ، كل منهما يعتقد انى ســـأترك زوجى من اجله .. رجلان يستطيعان أن يضمنا لى حياتى ..

ولكن .. هل انا قوية الى هـــذا الحـــد .. قوية الى حد ان اطلق بعد أسبوعين من الزواج ، ثم أواجه الدنيا كلها وحدى ..

ومرت على لحظات كنت اضعف فيها .. كنت أخاف .. اخاف من اهلى ومن الناس .. وأخاف من مواجهة الحياة وحدى ..

ثم اعود واسترد ثقتى بنفسى .. انى لست وحيـــدة .. ان معى هاشم ومحمد .. و ..

وتغلب جنونى ..

بدات حملة الطلاق .. وكنت أعرف ان أحدا من عائلتى لن يقف فى جانبى .. كان يجب ان أعتمد على نفسى .. اعتمد على أن اثير فريد الى ان يطلقنى .. وبدات اخلق الأزمات .. خلقت ازمة كبيرة لأنه وهو يتحدث عن تأثيث بيتنا الجديد لم يفكر فى تخصيص حجرة لابنتى فى الوقت الذى فكر فى تخصيص حجـــرة لابنه .. وخلقت ازمة لأنه لم حاول الاتصال بعد السلام لاستعادة ابنتى .. وخلقت أزمة لأنه يغالى فى طلبات الجهاز .

وصرخت فيه :

ــ انت مغشوش فى .. انت اتجوزتنى على طمع .. فاكرنى غنيه .. أحب قولك ان ما حلتيش ، ولا حيلة أبويا ، ولا مليم ..

والمسكين يحاول أن يصد كل هذه الأزمات .. ويوسط العائلة كلها فى كل ازمة .. وأخيرا قلت له فى هدوء ، وكنـــا وحدنا جالسين أمام التلفزيون :

ــ اســـمع يا فريد .. احنا نطـــلق .. أحسن لك .. واحسن لى ..

وقال والذعر فى عينيه :

ــ نطلق .. نطلق ازاى .. ده احنا لسه ما تجوزناش .

قلت :

ــ أنا ما بحبكش يا فريد .. وما اعتقدش انى حا احبك ..

قال :

ــ مش ممكن تحبينى دلوقتى .. ادينى فرصة لغاية ما خليكى تحبينى ..

قلت :

ـ انا عارفه نفسى .. مش ممكن حا احبــك .. وانت ما ترضاش انى أتجوزك واخونك مع واحد تانى ..

وجن مريد ..

وارتفعت الأزمة الى ذروتها .. وطافت السنة النار بكل بيت من بيوت العائلة .. ووقفت فى وجه الجميع مصممة على الطلاق . حتى لو تخلوا عنى كلهم ..

وبدأ فريد يبحث ورائى .. وبسرعة اكتشف حكايتى مع هاشم .. وعرف أسباب فسخ خطبتى الى حسن .. بل اكتشف أيضا علاقتى بمحمد .. بكثيرين ممن عرفتهم .. وصرخ فى وجه أمى وامام زوجها ، وامام خالاتى كلهم :

ـ ده مش الدكتور هاشم بس .. دول كتير ..

وطلقنى ..

ولكنه لم يكن نبيلا كحسن .. لقد استعاد المهر كله ، رغم ى كنت أستطيع أن أدعى عليــه أنه دخل على ، وإن الخــلوة الشرعية قد وقعت بيننا .. واستعاد هداياه كلها واحدة واحدة .. وطالبنى بأن ادفع ثمن علبة الملبس السيفر التى أهداها لى فى كتب الكتاب .. بل رفض أن يستعيد الدبلة وطالب بثمنها .. وذهب الى أكثر من هذا .. طلب أن أدفع له نفقات السهرات التى سهرتها معه .. ثمن تذاكر السينما .. والعشاء فى المحــلات العامة ..

ودفعت ..

دفعت من نقود هاشم ..

وطردنى أهلى كلهم ..

لم أر خالتى صبرية من يومها ..

ولم اشعر بالندم ..

أبدا ..

لقد اصبحت حرة ..

حرة حتى فى ابنتى ..

ولى رجلان .. هاشم .. ومحمد .. اذا تركنى أحدهما يبقى لى الآخر .. وكلاهما غنى ، اذا لم يتزوجنى ، فانه يستطيع ان ينفق على ..

انى مطمئنة ..

مطمئنة على مستقبلى .. سواء بنيتــه على الحلال ، ام على الحرام ..

وسددت أذنى عن الضجة الكبيرة التى ثارت حولى عقب طلاقى .. وقد احتمل هاشم معى كل هذه الضجة .. فقد عاد الناس يرددون انى تركت زوجى لأتزوجه .. وربما لم يحتمــل هاشم هذه الضجة .. ولكنه لم يأبه بها .. غروره .. وصلفه ، وانشغاله بمرضاد ، سد اذنيه عن سماعها .. تماما كما ســد أذنيه عن الضجة التى ثارت بعد أن فسخت خطبتى بحسن ..

أين حسن ؟

انه لا يزال فى حياتى .. يتصل بى فى التليفون ، ويسأل عنى .. ويتذكر عيــد ميلادى ليهنئنى به .. انه لا يزال نبيلا .. ولكنى لا أنتباه .. لم اعد فى حاجة اليه .. وحياتى كلها موزعة بين هاشم ومحمد .. لا يستطيع أحدهما أن يغنينى عن الآخر .. هاشم يذيبنى فى شخصيته القوية ، ومحمد يملؤنى غرورا بشبابه . واندفاعه فى حبى ..

وقد قلت لهاشم عن محمد .. قلت له ربع الحقيقة كعادتى .. ولا أدرى لماذا اندفعت لأقول له :

— انا اتعرفت بواحد اسمه محمد .. ابن المرحوم مهران باشا .. تعرفه !

وقلب هاشم شفتيه امتعاضا ، وقال فى اختصار :

— لا ..

قلت :

— ده جدع مؤدب قوى ..

وقال وهو ينظر فى عينى وابتسامة ساخرة بين شفتيه كأنه يعرفنى اكثر مما أعرف نفسى :

— وعرفتيه فين ؟

قلت :

— فى مصر الجديده .. فى النادى .. ما تتصورش اد ايه الجدع ده مهذب ومؤدب ..

وقال وهو زهق :

— كل واحد بيعرف واحده بيبقى مؤدب ومهذب .. فى الأول ..

وقلب شفتيه وسكت ..

وقلت وانا أضع راسى فوق كتفه :

— انت زعلت .. ده صغير .. لسه ما كملش سبعه وعشرين سنه ..

وضحك هاشم ضحكة كبيرة ، وقال :

— فكرتينى بميمى شكيب .. قالت نفس الجمله فى روايه من روايات الريحانى .. كانت بتقولها نكته علشان الناس تضحك ..

وقلت :

— يعنى مش مصدق انى ما فيش بينى وبينه حاجه ..

ونظر الى كأنه يشفق علىّ ، وقال :

ـ لا .. مصدقك !

انه مغـــرور .. انى أجن من غروره .. وقد كنت اتمنى ساعتها الا يصدقنى .. أن يحقق معى .. أن يثور .. أن يضربنى .. ولكنه لم يفعل .. المغرور البارد ..

وقد كان برود هاشم يتزايد يوما بعد يوم .. كان يبدو كأنه ينس منى .. وكانت نظراته توحى الى بأنه يعرف عنى أكثر مما اقول له .. واصبحنا لا نلتقى الا ليأخذنى .. بسرعة .. واهمال .. كأنه فقط يؤدى واجبا تعود عليه .. كأنه يغسل اسنانه .. فاذا بقى له وقت بعد ذلك لا نجـــد شـــيئا نقوله الا أن ينصحنى بأن انتبه الى مستقبلى .. فأثور .. وأتهمه بأنه هو الذى ضـــيع مستقبلى .. فيتركنى وينصرف عنى فى سأم .. والملل يكســـو وجهه ..

وفى هذه الأيام .. نفس الايام التى حدثته فيها عن محمـــد .. بدأ هاشم يحدثنى عن نجوى .. انى لم ار نجوى الى اليوم .. ولكنى رأيتها بعد ذلك فى عينى هاشم .. وقد ذهبت اليـــه يوما ، فوجدته جالسا فى الشقة ، مقطب الجبين ، حزين العينين .. واســـتقبلنى ســـاهما كأنه لا يرانى .. ومـــرت فترة طويلة لا يحدثنى خلالها ، ولا يقربنى .. فقلت له وانا انظر اليه أحاول ان اكتشف سره :

ـ مالك ؟

قال :

ـ ولا حاجه .. متضايق شويه ..

ومرت فترة صمت أخرى .. ثم انطلق فجأة قائلا :

ـ تصورى .. بنت عندها تستعاشر سنه .. جميله ..

حلود .. زى الورده .. يجيلها روماتيزم فى القلب .. ليه .. ليه .. حاجه تجنن .. الروماتيزم ما يجيش فى قلبى انا ليـــه .. انا كبرت وعشت .. انما دى .. تسعتاشر سنه .. قلبها لسه ما تمتعش .. يجيلها روماتيزم لية ..

وكنت أعرف أن هاشم يتعذب مع مرضاه .. ولكن ليس الى هذا الحد .. انى لم اره ابدا حزينا .. عطوفا .. الى هذا الحد .. واحسست بة كان التى يتحدث عنها اكثر من مريضة بالنسبة له .. احسست بأنه يتكلم عن مخلوقة تعيش فى قلبه ، وفى عقله ..

وانطلقت الغيرة فى صدرى .. وقلت فى حدة وسخط :

ـــ ومالك زعلان قوى كده .. ما فيه مليون واحده عنـــدها روماتيزم فى القلب .

وقال وعيناه هائمتان :

ـــ بس مش نجوى .. دى رقيقه .. جميله .. لو تشوفى ابوها وامها عاملين ايه .. الاتنين عواجيز .. ومالهمش غيرها .. ابوها عنيه راحت من كتر بكاه عليها ..

وقلت وزوبعة من الحقد تقتلعنى :

ـــ انشاالله تموت ..

ونظر الى كأنه يخنقنى بعينيه ، وقال فى صوت بارد كحـــد سكين :

ـــ انتى مش انسانه .. انتى ما عندكيش قلب ..

ثم سكت .. كأنه يضن بان يتحدث عن مريضته امام مخلوقة مثلى ..

وسكت انا ايضا مدعية اللامبالاة .. والغيرة لا تزال تأكل فى صدرى ..

وقد بدات اغار على هاشم اكثر منذ ان عرفت محمد .. كانت مغامراتى مع محمد ، تجعلنى اخاف من ان افقد هاشم .. وكان تزايد برود هاشم ، يجعلنى أخاف اكثر .. فأنطلق وراءه لأتأكد فى كل لحظة اين هو .. وماذا يفعل .. واذهب الى شقته كلما غاب عنى لأبحث عنه .. وكان يغضب منى كثيرا لمضايقتى له ، ويلقى فى وجهى بسماعة التليفون ، ثم يرفعها حتى لا استطيع أن اتصل به .. فكنت اجن .. كان يخيل الى انى لو تركته يوما واحدا غاضبا منى ، فسأفقده الى الأبد .. فكنت اجرى الى العيادة .. وكنت أعلم أنى لو صعدت فلن يسمح لى التومرجى بمقابلته ، فكنت أفتح سيارته الواقفة عند الباب ، واجلس فيها ، انتظره .. انتظر ساعتين .. ثلاثا .. الى ان ينزل .. يرانى .. فيشهق .. ويتلفت حوله كأنه يخشى الفضيحة .. ثم يصحبنى الى البيت .. ويصالحنى .. فقط ليتجنب أن اسبب له فضيحة أخرى .. لقد أصبحت أبتز هاشم بالتهديد .. أبتز قواه ، ونقوده بالتهديد .. اصبحت مجرمة ..

وكنت اغار على محمد ايضا ..

ولكن غيرتى على محمد كانت نوعا من القلق .. فانى أعلم انه لم يكن فى حياته نساء اجمل منى .. ثم انى لا زلت جديدة فى حياته ، فلا يمكن أن اخشى مللة .. وشخصيتى وذكائى اقوى من شخصيته وذكائه .. ثم انه يعرف علاقتى بهاشم .. لقد اعترفت له .. لم اكن استطيع ان ادير حياتى بينه وبين هاشم . الا اذا اعترفت له .. اعترفت له بكل شىء .. قلت له ان هاشم هو الذى ينفق على . وينفق على منذ ست سنوات .. لأن ابى يضيع امواله على الزوجات والكونياك .. وقد رويت له كل ذلك فى صورة مأساة .. ودموعى تجرى على خدى .. كأنى ضحية

.. ضحية انانية أب .. وضـــحية رجل أحببه يوما .. ..
هاشم .. كل ما اضفته من عندى هو أن هاشم قد تزوجنى زواجا
عرفيا .. وكنت مضطرة الى هذا الزواج لأنى فى حاجة اليـــه
كى ينفق على ..

واحتار يومها محمد وقال والشك ملء عيونه :

ــ امال سبتى فريد ليه ؟

قلت وانا لا زلت ابكى :

ــ لأن فريد كان حايعيش معايا .. ما كنتش حا اقدر أقابلك
انما هاشم مش عايش معايا .. سايبنى حره .. اقدر اقابلك
زى ما انا عايزه ..

قال :

ــ بس انا مستعد أصرف عليكى ..

وقلت :

ــ انا ما اقبلش يا محمد .. انت الحب الوحيد فى حياتى ..
انا كان متهيالى انى باحب هاشم .. انما بعد ما قابلتك عرفت
انى كنت راهمه .. ومش عايزه اخليك تتحمل مســئوليتى ..
مسئولية ظروفى الوحشة .. عايزه احبك زى اى بنت بتحب
حبيبها من غير ما يصرف عليها .. ده حقى .. حقى انى اكون
زى اى بنت تانيه .. علشان كده رضيت ان هاشم يرجع يصرف
على بعد ما سبت فريد .. ورضيت انى اتجوزه جواز عرفى ..
وماما عارفه ..

وتأثر محمد بقصتى ..

اعتبرنى ضحية ..

ضحية ابى .. وهاشم ..

وقال وصوته ينبض باللوعة :

ـ مينو .. أنا مستعد انقذك من حياتك .. انقذك من ابوكي ومن هاشم المجرم .. مستعد اتجوزك بعد ما ..

وقاطعته :

ـ لا .. يا محمد .. ما تجيبش سيرة الجواز ..

وربما ارتاح محمد لأنى أعفيته من سيرة الزواج .. وارتاح اكثر لأنى أعفيته من مسئولية الانفاق على .. وارضى غروره ان أكون له .. وانا لرجل آخر ..

ولم أكن حتى هذه الأيام قد أحببت محمد .. ربما لم احبه ابدا حبا يغنينى عن هاشم .. ولكنى اندفعت معه .. واهمال هاشم لى جعلنى اندفع معه اكثر .. اصبحت استهين بهاشم .. وازداد جراة فى الاستهانة به .. بل واتلذذ من الاستهانة به .. احس كأنى اذله .. كأنى احطم غروره .. كأنى انتقم منــــه .. وبلغ من استهانتى بهاشم انى كنت أذهب الى لقائه فى شـــقته فى الساعة الرابعة بعد مواعيد العيادة ، واعطيه نفسى ، ثم اتركه فى الخامسة والنصف ليذهب الى العيادة .. كنت انزل معه من الشقة .. واتركه يركب سيارته ، لأنه كان لا يحب أن يرانى احد معه فى النهار .. ثم اسير على قدمى أمام عينيه ، وبعد ثلاث دقائق .. مائة وخمسين خطوه بالضبط .. اصعد الى شـــقة محمد .. واعطيه نفسى ايضا .. ثم اتركه فى الساعة التاسعة ، واذهب الى البيت لأتصل بهاشم بالتليفون . واقسم له انى فى البيت منذ أن تركته ..

واصبحت هذه حياتى ..

هل كنت سعيدة ..

ابدا ...

انى اتعذب .. اتعذب بقلق يمتص دمائى .. ووجهى يزداد

اصفرارا .. كأنى اصبت بسرطان الدم .. وافقد احساسى بجسدى يوما بعد يوم .. أحس به يموت بين ذراعى هاشم .. ويموت بين ذراعى محمد .. وافتعل .. افتعل النشوة .. افتعل انفاسى .. وافتعل صرخاتى .. افتعل وامثل حتى لا يحس احدهما بانه يأخذ جسدا يموت .. واعصابى ايضا تموت .. اصبحت فى حاجة الى عنف اكثر حتى اوقظها .. او حتى انسى نفسى .. انسى الحضيض الذى اعيش فيه .. فى حاجة لأن اضرب بعنف .. ولأن اتألم حتى الصراخ .. حتى انسى .. وحتى لا تذبل حواسى .. وحتى لا يموت جسدى ..

وانا .. منساقة ..

منساقة فى التشبث بهاشم ..

ومنساقة فى الاندفاع مع محمد ..

وجد شىء آخر ..

لقد استطاعت امى .. وكنت قد عدت اقابلها سرا .. ان توسط بعض اصدقاء زوجى السابق عبد السلام حتى يسمح لى برؤية ابنتى .. كانت المسكينة تعتقد ان كل ما حدث لى ، وكل الجنون الذى اعيش فيه ، سببه ان ابنتى اخذت منى ..

ورضى عبد السلام ان يجعلنى ارى ابنتى .. بشرط ان اراها فى بيته بالسويس .. وذهبت اليه اول مرة مع صديقه وزوجته .. ودخلت بيته كأنى ادخل قطعة من ذكرياتى .. ذكريات كنت لا زلت خلالها فتاة منتشية بعمرها .. منتشية بجمالها .. منتشية بحبها ..

ولم تستقبلنى امه .. تركونى مع الصديق وزوجته اكثر من نصف ساعة ، ثم جاء عبد السلام يشد فى يده ابنتى .. وما كدت

راها حتى سقطت امامها على ركبتى احتضنها الى صدرى .. وانا اصيح من خلال دموعى :

ــ هدى .. بنتى .. حبيبتى .. وحشتينى ..

واحسست وانا اضمها الى صدرى ، كأنه لا يزال فى حياتى شىء نظيف يمكن ان اضمه الى صدرى ..

ولكن هدى تنظر الى بعينين باردتين .

كانها لا تعرفنى ..

والتفت الى عبد السلام وصرخت فيه :

ــ انت قلت لهـا ايه عنى .. قلت لها ايه .. البنت زى ما تكون مش عارفانى ..

وتدخل الصديق وزوجته ليهدئانى .. ورضيت بنصيبى الفاتر من حب ابنتى وتمنيت لحظتها لو استطعت ان اعود اما صالحة .. تمنيت لو بعت كل ما فى حياتى .. لأستعيد ابنتى .. استعيد حبها على الأقل .. واقسمت بينى وبين نفسى ان احاول .. يجب ان احاول ..

وقال لى عبد السلام وهو يودعنى بعد ان اتفقنا على ان يسمح لى بان ارى ابنتى كل اسبوع ، فى السويس ..

ــ عامله ايه دلوقتى يا ميتو ..

قلت :

ــ كويسه ..

قال فى هدوء ووقار :

ــ ما كانش لك حق تسيبى فريد .. ده راجل كويس .. واعرفه ..

قلت :

ــ طبعا كان يهمك انى اتجوز علشان ما اطالبكش بالبنت ..

قال :

ــ ابدا والله .. أنا يهمنى انك تبقى كويسه .. حتى لو ما اخدتيش البنت .. دى بنتك وانتى أمها ..

قلت :

ــ انا كويسه .. احسن من اى ام فى الدنيا كلها ..

ونظر الى عبد السلام فى اشفاق، وهز راسه كأنه يعلم كل شيء عنى ..

ومضى يومان حاولت فيهما ان اتوب .. اتوب عن هاشم وعن محمد .. ولكنى لم احتمل اكثر من يومين .. انى وحيدة فى بيتى مع الخادمة .. وابى لا اراه الا ساعة او نصف ساعة عندما يعود فى المساء ، وقبل ان يصعد الى الشقة الأخرى التى تقيم فيها زوجته .. وكل ما يملأ حياتى فى البيت بعد ذلك هو مشاجراتى مع زوجة ابى .. مشاجرات حول اشياء تافهة .. حول طبق اخذته منى او اخذته منها .. حول خادمتها وخادمتى .. حول قطعة من اللحم فقدت من ثلاجتها او ثلاجتى .. حياة لا تساعدنى على أن احتمل .. حتى ولو من اجل ابنتى ..

وعدت ..

عدت الى الاثنين ..

وفى الاسبوع التالى ذهبت لأرى ابنتى فى السويس .. ولم اكن استطيع ان اذهب فى القطار او فى الأتوبيس .. فطلبت من هاشم ان يأخذنى فى سيارته .. وكان اليوم يوم الجمعة ، يوم عطلته .. ولكنه رفض .. ومنيته بكل ما استطيع ان اعطيه له .. منيته بأن نذهب بعد ذلك الى العين السخنة .. ومنيته بأن نقضى يوما هائلا يريحه من عمله الكثير .. ولكنه رفض .. واضطررت ان الجأ الى محمد .. وفرح محمد .. ولا ادرى لماذا

ثم ألجأ الى محمد من أول الأمر .. ربما لأنى لا زلت اعتبر نفسى ملكا لهاشم .. لا زلت أعتبره رجلى ..

وقطعنا الطريق أنا ومحمد ، ونحن نضع خططا صبيانية لخطف ابنتى من عبد السلام .. ثم نزلت من السيارة عند مدخل السويس حتى لا يرانى عبد السلام معه .. واتفقت مع محمد أن ينتظرنى فى نفس المكان بعد ساعتين .. ثم ركبت سيارة تاكسى وذهبت الى بيت عبد السلام .. ورايت ابنتى .. جلست معها ثلاث ساعات .. اربعا .. لم اكن أستطيع أن اتركها .. وقد بدا برودها يذوب .. وبدات تعطينى حبها وحنانها ..

وعدت فى سيارة اجرة ، لأجد محمد فى انتظارى .. وقد استبد بى الزهق .. وقررت أن أكافئه .. فلم اعد الى بيتى .. عدت الى شقته وبت معه حتى الصباح ..

ربما كانت اول مرة يبيت فيها محمد مع امراة حتى الصباح .. فقد ذعرت امه .. خافت عليه .. وبدأت من يومها تناصبنى العداء .. وكنت قد عرفت أخوات محمد البنات من خلال التليفون كما عرفت أخت هاشم .. بل عرفت أمه أيضا .. كل الأخوات لهن أسلوب واحد وطابع واحد فى التحدث الى صديقات أخوتهن .. الرقة المفتعلة .. والفهم المتبادل .. والضحكات الخبيثة .. وكل الأمهات أيضا .. ولكن منذ بدا محمد يبيت معى ، تغيرت معاملة الأم أولا .. ثم تغيرت معاملة الشقيقات ..

وقد أصبحت أبيت مع محمد كل أسبوع كلما ذهبنا الى السويس ..

واشعر بالشماتة فى هاشم وأنا أقضى الليل مع محمد .. ربما لم تكن شماتة .. ولكنها كانت حسرة لأن هاشم لم يقض الليل معى أبدا فى القاهرة .. وفى كل مرة .. ابتكر كذبة لهاشم

.. كنت نائمة عند بنت عمتى .. كنت نائمة عند خالتى .. ولم اتاكد بعد اذا كان هاشم يصدق كذباتى او لا يصـــدق .. ولكنى كنت أتلذذ من الكذب عليه .. كان يخيل الى ان كل كذبة هى انتصار عليه ..

ثم حدث ان امى اقنعت عبد السلام بان يرســـل لها ابنتى لتقيم معها شهرا فى الاسكندرية أثناء الصيف ، ورضى عبد السلام بعد ان تعهد له زوج امى بأن تكون ابنتى فى رعايته ..

واصبحت اسافر مع محمد الى الاسكندرية كل اسبوع لارى ابنتى هناك .. كانت أمى تأخذ ابنتى فى كابين احدى صديقاتها واذهب لرؤيتها .. ثم اقضى الليل مع محمـــد فى شقة عائلته التى لم تكن تصيف فى هذا العام .. ومن بيت عائلة محمد كنت اتصل بهاشم فى القاهرة بالتليفون .. ومحمد واقف بجانبى .. مقتنعا ان هاشم زوجى .. زوجى العرفى .. وكنت اقول لهاشم انى أبيت فى بيت خالتى .. وانه يستطيع أن يتصل بى فى التليفون اذا أراد .. ثم أعطيه نمرة تليفون محمد .. ويقول هاشم فى برود :

— حاضر ..

والح عليه :

— بعد ما تخلص العيادة كلمنى يا هاشم .. ضرورى ..

ويرد هاشم :

— باذن الله ..

وكنت أنتظر بجانب التليفون وأنا فى أحضان محمد .. كنت أريد من هاشم أن يحدثنى ، حتى يزداد محمد اقتناعا باننا متزوجان .. وحتى أرضى غروره .. غرور محمد .. وهو يحس أنه فى

احضان زوجة رجل مشهور مثل هاشم .. ثم لاحس بانى اذل هاشم ..

ولكن هاشم لم يكن يتحدث ..

ابدا لم يتحدث ..

كانه كان يعرف اين انا ..

بل انه لم يكن يسـالنى شيئا بعد ان اعود من الاسكندرية او من السويس .

ومع مرور الأيام .. لم اعد اسافر لأرى ابنتى .. لم تعد ابنتى هى السبب الأول لسفرى .. اصبحت رؤيتى لها معادة مكررة لا اتحمس لها ، كأنها تقيم معى .. واختفت من راسى كل الخطط التى كنت اضعها لخطفها ، واستعادتها .. لقد حاولت فعلا ان انفذ بعض هذه الخطط ، ولكنى فشلت انا ومحمد .. انما اصبحت اسافر لابقى مع محمد .. ولاحس انى بعيدة عن هاشم .. مستقلة عنه .. ولو يوما او يومين واعصابى تزداد تلفـا ..

واحساسى الجسدى يذبل ..

ولا زلت فى حاجة الى مزيد من العنف ..

وتفاصيل كثيرة لا يمكن ان تتعرض لها النسـاء المحترمات .. تفاصيل تؤثر حتى فى كيانى الداخلى .. اننى امراة اخرى .. اننى قريبة جدا من نساء الرصيف .. ان نساء الرصيف نسـاء ايضا ! ..

وكانت تمر على أيام تتجسم فيها الحالة التى وصلت اليهـا الى حـد ان افكر فى الانتحار .. وابكى كانى اشيع جثتى .. كأنى فى جنازة عمرى .. وأتمنى على الله ان ينقذنى .. ينقذنى من نفسى .. من جنونى .. ولم يكن احـد يستطيع انقـاذى

الا هاشم . لو انه اهتم بى اكثر .. لو انه شعر بالغيرة على . لو أنه عبر لى عن شكوكه التى تبدو فى عينيه .. لو انه هددنى .. لو انه طمأننى الى حبه .. فربما استطاع أن ينقذنى . واستطعت أن انقذ نفسى .. بل أنى فكرت فى أن أعترف له بأن هناك رجلا آخر يأخذ جسدى .. رجلا اقضى فى أحضانه ليالى كاملة .. فربما بعد أن أعترف له يثور .. أو على الأقل يفتح لى بابا جديدا أستطيع أن افر منه .. افر من حالتى .. ولكنى لم أعترف له .. خفت خفت أن أفقده .. وهو يزداد برودا واهمالا .. وأحس به يبتعد عنى بقلبه وعقله .. وأحس أن هناك فى حياته فتاة أخرى .. لعلها مريضته نجوى .. انه يرفض أن يتحدث عن نجوى الا فى كلمات متناثرة .. ولكنى أراها فى عينيه .. فى شروده . وكل ما عرفته عنها أنها تسكن فى شارع الهرم ..

وكان هاشم احيانا يلقى الى بكلمات مبتورة يعبر بها عن شكوكه .. فاجانى مرة قائلا :

ــ عامله ايه مع محمد ..

وفوجئت فعلا .. وكاد لسانى يسبقنى .. ولكنى استطعت أن اسيطر على ذكائى بسرعة ، وقلت وانا لا انظر الى عينيه :

ــ محمد مين ؟

واتسعت ابتسامته وقال كأنه يستخف بى :

ــ ما تعرفيش واحد اسمه محمد ..

قلت :

ــ أعرف عشره اسمهم محمد .. تقصدك مين فيهم ؟

قال وهو يهز كتفيه :

ــ ولا واحد من العشرة .. اقصد محمد الحداشر ..

قلت وقلبى يدق :

ـــ ما تجننيش .. اتكلم بصراحه ..

ـــ مهما اتكلمت بصراحة حاتنكرى .. حاتحلفى ببنتك .. وحاتحلفى بالقرآن .. أنا عارفك .. انما كل ده مش مهم .. المهم انك غبية .. لأنك مش قادره تحسى انك حره ، مش قادره تعرفى انى ما ليش حق عليكى .. انا مش جوزك علشان تتعبى نفسك وتكذبى على .. وانتى تقدرى تعرفى واحد تانى ببساطة .. ونبقى أنا وانتى أصـــدقاء . .ويمكن لما نبقى اصدقاء نبقى احسن من كده ..

قلت وانا أضع عينى فى عينيه :

ـــ انا ما باكذبش عليـــك .. ويوم ما حااعرف واحـــد حاقولك ..

قال وكأنه لم يسمعنى ورنة غيظ فى صوته :

ـــ واحب اقول لك كمان ان من السهل على أى واحده انها تعرف اتنين وتلاته .. انما الصعب انها تعرف واحد بس .. الخيانه سهله .. والاخلاص صعب ..

وصرخت :

ـــ انا مش فاهماك .. كلمنى بصراحه .. قصدك ايه ..

قال فى برود :

ـــ مش ممكن تفهمينى .. لأنك غبيه ..

قلت :

ـــ انا غبيه لأنى باحبك ..

قال فى قرف :

ـــ اذا كنت فاكره اننا كنا بنحب بعض .. فأحب اقولك ان

حبنا بيطلع فى الروح .. حبنا حالة سرطان .. ما فيش فايده منه ..

وسقطت دموعى .. دموع صـــادقة ، تحمل كل همى .. وقلت :

ـ انا لسه باحبك يا هاشم .. باحبك زى الأول واكتر ..

وقال وهو يزفر أنفاسه :

ـ طيب ..

وتركنى ..

لم يحاول أن ينقذنى من نفسى ..

لم يحاول أن يتتبع حياتى ، أو يتدخل فيها ليحد من حريتى .. حريتى التى تقتلنى ..

واعصابى تزداد تلفا ..

واحس بها تختنق كلما رقدت فى فراش هاشـــم ، أو فى فراش محمد .. احس كأنى اريد ان اخلع جلدى .. كأنى فى حاجة الى سكين لأسلخ جلدى عن جسدى لعلى استطيع بعد ذلك ان انطلق .. كان جلدى سجن يخنق جسدى ويثير فيه كل هـــذا الاحساس بالاختناق .. فأحاول ان اهرب من جلدى .. ان اخلع جلدى ..

هل هذا تعبير مبالغ فيه .. ابدا .. لقـــد كنت أحاول فعلا أن اخلع جلدى ..

حدث هذا فى احدى المرات القليلة التى دعانى فيهـــا هاشم للسفر معه لقضاء نهاية الأسبوع .. كان أيامها يشـــعر بصداع دائم نتيجة عمله الكثير ، فقرر أن يأخذنى أنا والصداع ، ويسافر الى منطقة العلمين التى تقع فى الطريق الى مرسى مطروح ..

وقلت لمحمد انى مسافرة مع هاشم .. لم اكن فى حاجه الى ان اكذب عليه ، فهو مقتنع تماما بأنى متزوجة هاشم .. عرفيا ..

وفى العلمين فندق صغير مكون من اربع غرف فقط .. هادىء .. انيق .. يطل على طريق مرسى مطروح .. وتمتد أمامه مقابر الحلفاء .. ويفصله عن البحر أرض مملحة واسعة ، تبرق فيها حبات الملح ، فتبدو كأنها ارض مزروعة بالنجوم .. بحبات الماس .. وبنات العربان فى ثيابهن الزاهية ، وابتساماتهن الحلوة الساذجة يطفن حول الفندق .. ولون مياه البحر زرقاء صافية لا تراها فى اى مكان آخر من البحر .. انها دنيا مسحورة .. احسست كأنى انتقلت الى أسطورة ..

وقيد هاشم اسمه فى سجل الفندق كعادته « هاشم محمد عبد اللطيف وحرمه » .. رفع لقب دكتور .. وأضاف اسم « محمد » .. وأنا .. حرمه .. ثم صعدنا الى غرفتنا ، وخلعنا ثيابنا وارتدى كل منا « المايوه » .. ارتديت المايوه المخطط بخطوط زرقاء ، الذى اشتراه لى هاشم فى احدى رحلاته .. ثم خرجنا نسير فوق الأرض المملحة .. فوق النجوم .. فوق حبات الماس .. الى أن وصلنا الى البحر .. لا احد معنا .. انا وهو وحدنا فى الدنيا كلها .. وهاشم هادىء .. سرحان .. صامت .. ربما كان يفكر فى مرضاه او فى مريضة معينة بالذات .. وانا سعيدة .. هائمة فى كل ما حولى .. والهواء يخبط فوق جسدى الذى يكشف عنه المايوه .. ويربت عليه .. فى رفق .. وحلاوة .. كأنه يد عاشق رقيق .. وأنظر الى هاشم .. انفه الكبير .. وعيناه المنتفختان .. وصدره العارى القوى .. وجسده المتسق .. واحس انى اريد ان ادخل فيه .. اريد أن أعيش فى داخله

.. احس انى احبه .. احبه .. واحس انى اريده .. اريده ..

ولكنى فجأة تذكرت محمد .. احسست ببصمات محمد فوق جلدى .. احسست أنى لن استطيع أبدا أن أعطى لهاشم جسدا نظيفا .. وانى لن أستطيع أبدا أن اتمتع به الا اذا غيرت جلدى ، ولبست جلدا نظيفا .. نفس الاحساس الذى احس به عندما اشعر بحاجتى الى أن استحم لأزيل الأتربة عن جسدى . حتى انام نظيفة .. ولكنه احساس مجسم اكثر .

والتوت أعصابى نتيجة هذا الاحساس ..

اعصابى تخنقنى ..

والتفت الى هاشم قائلة فى عصبية مباغتة :

ـــ قوم نتمشى شويه يا هاشم ..

وكان هاشم مستسلما ، على غير عادته وقام من جلسته على الشاطىء ، وسار بجانبى .. والدنيا كلها ليس فيها الا انا وهو .. وأنا اعانى احساسى بأنى اريد ان انطلق من جلدى .. اريد أن أفعل اى شىء أنسى بعده ان جلدى ليس نظيفا ..

ووصلنا الى منحنى فى الشاطىء تخفيه الصخور ..

وفجأة توقفت ..

وبلا أدنى تفكير .. خلعت المايوه .. وقذفت به بعيدا ..

انى عارية ..

عارية تماما ..

واحسست فجأة بالانطلاق .. الانطلاق من السجن .. احسن كأنى خلعت جلدى .. والمايوه ليس سوى قطعة صغيرة من القماش ، ورغم ذلك فقد احسست انى تخلصت من حمل ثقيل .. ثقيل جدا .. واحسست براحة .. راحة لذيذة .. ربما لم يكن السبب هو قطعة القماش .. ولكنها التقاليد ..

التقاليد التى تخلصت منها .. حتى لو كانت التقاليد مجرد مايوه ..
وارتميت عارية على الرمل وعيناى مبتهلتان الى هاشم ..
ونظر الى هاشم فى امتعاض ، وتمتم بكلمة لم أسمعها .. ولكنى أعرف هذه الكلمة .. « يا مجنونة » .

ثم ادار ظهره ، وجلس على احدى الصخور ..

وظللت أنظر اليه ، وقلبى يرتجف .. لا ادرى لماذا فعلت هذا .. ولا ادرى ماذا افعل بعد هذا .. ولكنى قمت بعدها ، والقيت نفسى فى مياه البحر .. عارية .. شىء آخر عندما كنت أنزل البحر وانا بالمايوه وصرخت فى هاشم :

ــ تعالى يا هاشم .. الميه لذيذه قوى ..

وقال فى برود :

ــ لأ .. مش حانزل دلوقتى ..

ثم قام من جلسته ، وسار عائدا ، وخرجت من الماء . اجرى وراءه .. عارية .. وانا اصرخ :

ــ هاشم .. هاشم ..

ولحقت به .. تعلقت به وانا أتوسل اليه :

ــ ما تعملش فى كده يا هاشــــم .. انت مش عارف حالتى شكلها ايه ..

ونظر الى هاشم فى اشفاق ..

لقد تغير هاشم ..

لن يكون ابدا كما كان ..

انه لا يثور .. لا يضربنى .. ولا .. ولا .. انه فقط يشفق علىّ .. لم أعد فى نظره .. سوى مجنونة .

لماذا خلعت يومها المايوه ..

لانى كنت اريد ان اخلع جلدى .. جلدى المتسـخ .. لعلى

اكتسب جلدا نظيفا .. او لعلى اغسل هذا الجلد وازيل ما عليه من بقع .. ولكن لا .. بقعة الجلد لا تمحى ابدا .. انهابقعة فى القلب .. وبقعة فى العقل ..

وازداد تلفا ..

ولكن ..

محمد يزداد حبا ..

ويزداد تحمسا لانقاذى من ظروفى ..

انه لا يطيق هاشم ..

يريد أن ينقذنى من هاشم ..

انه يريد ان يتزوجنى ..

يريد أن اترك هاشم ليتزوجنى ..

هل هذا معقول ..

هل يمكن أن يحدث ..

محمد يتزوجنى انا ؟ ! ..

لم لا ..

كان زواجى من محمد املا كبيرا .. اكبر من ان اصدقه .. اكبر من أن اتعلق به .. ان زواجى به هو الشىء الوحيد الذى يمكن أن يرد الى حياتى .. يرد الى سمعتى .. يرد الى اعتبارى امام أهلى وصديقاتى ، والمجتمع الذى اعيش فيه .. ان محمد أمل احسن بنات البلد .. وامه تخطب له بنات اكبر واشهر عائلات مصر .. فلو تزوجنى انا ، فمعنى ذلك انى احسن من كل بنات البلد .. ثم ان محمد هو الذى يستطيع — لو تزوجته — ان يجعل منى فتاة هادئة .. ان يشفينى من جنونى .. أن يحررنى من الأنف الكبير الذى يتنفس من عمرى .. وقد كان محمد هو الرجل الوحيد — بعد هاشم — الذى احتفظت به كل هذه المدة الطويلة

.. اكثر من عام حتى الآن .. انباقون كلهم لم اطق ان احتفظ بهم اكثر من شهر أو شهرين ..

ولكني كنت اعلم أن محمد لن يستطيع ان يتزوجني الا اذا تحدى أهله . تحدى امه واخوته واعمامه .. انهم ان يوافقوه ابدا على زواجه بي .. انهم يعلمون عني اكثر مما يعلم محمد نفسه .. وكانوا ينقلون اليه قصصا عني .. فلا يصدقها ، لأنه كان يصدقني انا وحدي ..

فهل يستطيع محمد ان يتحدى امه . هل يستطيع ان يضحي بهم من اجلي .

لست واثقة ..

انه يعذبني ..

انه يقسم لي ان امه ستستسلم في اخر الأمر .. لأنها لا تستطيع أن تضحي به .. انه ابنها الوحيد فوق ثلاث بنات ..

وهو يريدني ان اترك هاشم ..

ان أمزق هذا الزواج الموهوم الذي اقنعته به ..

ولكني لا استطيع ان اترك هاشم .. ليس الآن .. ان هاشم هو سلاحي الذي اثير به محمد وادفعه الى التحدي .. تحدي اهله .. ان هاشم هو قوتي على محمد .. ولن أتنازل عن قوتي الا في اخر .. الا بعد ان ارى المأذون بعيني ..

وبقيت مع الاثنين ..

هاشم ، ومحمد ..

وتعبت ..

يارب .. اني اتمزق .. مستحيل ان احتمل هذه الحياة طويلا .. جسدي نفسه لا يمكنه ان يحتمل كل هذا .. صحتي .. اعصابي ..

انى ممزقة بين اثنين كل منهما يرتاح فى يومه ما فيه الكفاية .. وانا وحدى التى لا ارتاح فى يومى ..

هاشم يقابلنى فى النهار ، وينام فى الليل .. ومحمد ينام فى النهار — بعد الغداء — ويقابلنى فى المســاء .. او العكس .. اما انا فلا انام .. اقابل هاشم ومحمد نائم ، واقابل محمد وهاشم نائم ، واطمئن الى ان كلا منهما نائم قبل ان اذهب الى لقاء الآخر .. بل انى احيانا كنت اقابل الاثنين فى ليلة واحدة .. اسهر مع هاشم حتى الساعة الواحدة ، ثم يعود بى الى البيت .. واجد نفسى وحدى .. واعصابى تالفة .. فأتصل بمحمد فى التليفون ، واطلب اليه ان يأتى .. وانزل معه لأبقى حتى الساعة الخامسة ..

واستأذن كلا منهما فى كل مناسبة لاقنعه انه رجلى .. اذا اردت ان انزل البلد اتصلت بهاشم واستأذنته ، ثم اتصلت بمحمد واستأذنته ..

وكل منهما اشعره بأنه مسئول عنى واستشيره فى امورى .. وكل منهما ينهال على بنصائحه ..

هاشم يقول فى لهجة تحذير وعينــاه غائمتان لا استطيع ان اعرف اذا كان ينظر بهما الى ام ينظر الى لا شىء :

— امينه .. انتى ماشيه فى سكه خطر .. خدى بالك .

ومحمد يصيح فى حماس شبابه وحبه :

— ميتو .. انتى مش حتقدرى تستمرى بالشكل ده .. لازم تسيبى هاشم ..

وانا اسد اذنى عن نصائح كل منهما .. ولا اطمئن الى واحد منهما .. ان كلا منهما يستطيع ان يتركنى فى اى لحظة دون كلمة

وداع .. فكيف اطمئن .. ولماذا لا يتزوجنى احدهما ، بدلا من ان ينصحنى ..

ومحمد يرى العلامات الزرقاء التى يتركها هاشم عنى جسمى .. فيغضب . ويثور .. ويجن غيرة ..

وهاشم يرى العلامات الزرقاء التى يتركها محمد على جلدى .. فيترف .. وينظر الى كانى شىء يقززه .. رغم انى اقسم له بأن هذه العلامات ليست سوى اثر لارتطام ساقى بحافة المائدة ، او اثر من سقطتى وانا نازلة على السلم .. واقول له كانى اتوسل اليه ان يصدقنى :

ــ انت عارف ان جلدى حساس .. اى حاجه بتعلم فيه ..

وينظر الى كانه لن يصدقنى ابدا ..

واصبحت ابذل مجهودا كبير حتى لا يترك احدهما علامة زرقاء على جسدى ، فيحاسبنى الآخر عليها .. مجهودا كان يفقدنى كثيرا من متعتى ..

ولم يكن هاشم يشغل وقتى قدر ما يشغله محمد .. فهاشم مشغول عنى بمرضاه .. ويهملنى .. ولكن محمد فاضى .. انه يذهب الى الشركة التى يعمل فيها فى الصباح ، ويخرج منها فى الساعة الواحدة .. ثم يتفرغ لى حتى صباح اليوم التالى .. اما معى .. واما فى بينه يحدثنى فى التليفون ، او ينتظر ان احادثه فى التليفون ..

ولم اكن ابذل مجهودا كبيرا فى خداع هاشم ، فهو يقبل خدعتى بسرعة حتى لو اكتشفها .. كأنه يدفعنى فى طريق يريدنى ان اسير فيه .. وكلانا يعلم ان حبنا يذبل ويموت ؛ او على حد تعبيره ، حب اصيب بالسرطان .. فكان كأنه يترك حبنا للسرطان .. اما محمد فحبه جديد ، لا يزال محتفظا بكل

حرارته .. انه يكلفنى مشقة فى خداعه ، واضطر أن أمثل أمامه دور الفتاة المظلومة التى رماها القدر فى يد رجل أحبته ورفض أن يتزوجها الا زواجا عرفيا خوفا من أهله ، وتركها تعيش وحدها فى بيت أبيها .. فلا هى زوجة ، ولا هى حرة .. ومحمد يتحمس وينقل الى أخبار أمه يوما بيوم ، ويؤكد أنه ينتظر اللحظة المناسبة ليفاتحها فى زواجه بى .

ولكنى كنت أخاف على هاشم أكثر .. كنت أخاف أن يتركنى فجأة ، وقبل أن أتزوج محمـــد .. كنت لا أريده أن يتركنى الا فى اليوم الذى أحدده أنا .. أكثر من ذلك .. كنت أريد أن أتركه أنا قبل أن يتركنى هو .. وكنت أعلم أنى سأجن لو تركنى قبـــل أن أتركه .. وكل ذلك يدفعنى الى ملاحقته أكثر .. الى الاطمئنان دائما الى أنه فى عيـــادته ، أو فى بيته ، أو مع أصدقائه .. الاطمئنان الى أن امرأة أخرى لم تأخذه منى ..

الى أن كان يوم ..

وبحثت عن هاشـــم بالتليفون فلم أجده .. ونزلت كالمجنونة وركبت تاكسى وأخذت ـــ كعادتى ـــ أبحث عنه .. ولم أجده فى شقته .. ولا فى شقة أحد من أصدقائه .. ثم تذكرت فجـــأة « نجوى » .. الفتاة المريضة التى تشرد عيناه كلما لفظ اسمها .. وتذكرت أنه قال لى مرة أنها تسكن فى شارع الهرم .. فأمرت سائق التاكسى بأن يتوجه الى هناك .. وما كادت السيارة تتعدى النفق الذى يقع فى أول الشارع .. حتى لمحت هاشم فى الناحية الأخرى من الشارع ، عائدا فى سيارته .. يقودها فى بطء .. ويدخن سيجارته فى هدوء وبين شفتيه ابتسامة نائمة .. كأنه أسعد رجل فى العالم ..

وأمرت سائق التاكسي ان يلف ويتبع سيارة هاشم .. وما كاد التاكسي يوازي سيارة هاشم ، حتى أوقف سيارته بسرعة ..

وأوقفت التاكسي ، ونقدته اجرته ، وتفزت الى سيارة هاشم .. وقلت وعيناى تنبشان وجهه :

ــ كنت فين حضرتك ؟

وقال وقد قطب جبينه كانه افاق من حلمه الجميل :

ــ ما تسألنيش .. انتى مالكيش حق تسأليني .. لازم نعرفى انفا سيبنا بعض من زمان .. وانا سايبك تعملى اللى انتى عايزاه ، وكل اللى باطلبه منك انك تسيبينى اعيش زى ما انا عايز ..

وقلت وقد صدمتنى المفاجأة :

ــ انت بتتكلم جد يا هاشم ؟

قال فى اصرار :

ــ طبعا . باتكلم جد ..

قلت والدموع تملأ عينى :

ــ يعنى احنا سبنا بعض خلاص ..

قال وهو ينظر الىّ :

ــ انتى عارفه اننا سيبنا بعض من زمان ..

قلت وقد انهمرت دموعى وارتفع نشيجى :

ــ لا .. مش عارفه .. أنا ما سبتكش .. وانت مش من حقك انك تسيبنى .. ما تقدرش تسيبنى بعد ما عملت فىّ كل ده ..

ولم يرد هاشم ..

ظل صامتا مزموم الشفتين ....

واشتد بكائى .. وارتفع نشيجى اكثر .. واخذت الطم على

حدى .. وادبدب على ارض السيارة بقدمى .. وهاشم لا يتاثر .. لم تعد دموعى لها قيمة عنده من كثرة ما بذلتها له ..

وقال فى صمت جامد :

ــ تسمحى تبطلى عياط .. احنا فى الشارع ..

وصرخت فيه :

ــ انت ما يهمكش حاجة الا نفسك .. مش كده .. عايزنى اصرخ والم الناس عليك ، علشان يشوفوا الدكتور المشهور بيعمل فى بنات الناس ايه ..

وقال فى برود :

ــ بنات الناس ما يصوتوش فى الشارع ..

وامتلأ قلبى بالغل .. وخيل الى انى ساضربه .. سامزق وجهه باظافرى .. ولكنى لم استطع الا ان ابكى ..

واوصلنى هاشم الى بيتى فى الروضة .. وقال وانا انزل من السيارة دون ان يلتفت الى :

ــ مع السلامة ..

وقلت وانا اخبط باب السيارة ورائى كاننى اصفعه به :

ــ ربنا ينتقم منك ..

وانطلق بسيارته قبل ان ادخل من باب العمارة ..

وسكتت دموعى بمجرد ان دخلت بيتى .. لم تكن كلها دموعا حقيقية .. ان دموعى فى حقيبتى واستطيع ان اذرفها وقتما اشاء ، واستطيع ان اخفيها وقتما اشاء .. ولم اكن فى الواقع قد صدقت هاشم عندما قال لى انه تركنى .. انى اعلم انه لم يقل ذلك الا تخلصا من الحرج الذى يعانيه بعد ان ضبطته عائدا من عند نجوى .. ثم انى استطيع دائما ان اعيد هاشم الى .. انى واثقة انى استطيع ان اعيده ..

واتصلت بمحمد بالتليفون واتفقت معه على ان ياتى لياخذنى فى الساعة التاسعة مساء .. ودخلت الحمام لأقف تحت الدش . وافكر فى الطريقة التى اصالح بها هاشم وأعيده الى .. وخرجت من الحمام وبدأت ألبس ثيابى .. لبست الثوب الأسود الذى يكشف عن كتفى .. ورفعت شعرى الى اعلى .. وعلقت فى أذنى الحلق الماسى الطويل الذى اشتراه لى هاشم .. كنت قد قررت ان اقضى ليلة كبيرة مع محمد انتقاما من هاشم .

وفجأة .. قبل أن أتم زينتى ، خطرت لى فكرة أسترد بها هاشم ..

ضغطت على عينى حتى استدررت دموعى .. اخرجت دموعى من حقيبتى .. ورفعت سماعة التليفون . واتصلت بمديحة أخت هاشم .. وما كدت اسمع صوتها حتى انطلقت قائلة وأنا أنشج :

ـ مديحه هانم .. أنا أمينه .. أحب اقول لك ان اذا حصل لى حاجه فالسبب اخوكى .. انا خلاص .. مش ممكن اعيش بعد كده .. استحملت كفايه .. ما بقاليش حد اروح له الا ربنا .. انا رايحه لربنا .. قولى لاخوكى انه مش حايقدر يعيش بعدى .. مش حايقدر .. ربنا حاينتقم لى منه ..

وصرخت الست الطيبة :

ـ ما تقوليش كده يا أمينه يا حبيبتى .. اهدى بس وقوليلى حصل ايه ، وانا اعمل لك كل حاجه ..

قلت ودموعى تتجمع فى سماعة التليفون :

ـ ما فيش فايده .. انا خلاص يئست .. استحملت ست سنين .. كفايه .. كفايه .. مافيش قدامى بعد كده الا انى أموت .. قولى لاخوكى انى مت .. واستريحت منه ..

ووضعت سماعة التليفون ..

وعدت الى مرآتى ، امسح دموعى ، واتم زينتى ..

وكنت اعلم ان مديحة لن تستطيع ان تتصل باخيها الا فى صباح اليوم التالى ، او فى آخر الليل بعد ان يعود من سهرته .. وسيحاول هاشم ان يتصل بى ليطمئن على ، فأقنعه بانى حاولت الانتحار ، وان ابى انقذنى صدفة .. فيشفق على ويصالحنى ..

كانت هذه هى خطتى ..

واتممت زينتى .. ووضعت على كتفى الفراء الفيزون الذى اشتراه لى هاشم ايضا .. ونزلت للقاء محمد ..

ونزل محمد من سيارته ليستقبلنى كعادته ..

وفجاة ..

وقفت سيارة بجانبنا ..

ونزلت منها سيدة ملهوفة ، وبجانبها رجل ..

وصعقت ..

انهـا مديحة اخت هاشـم ، وزوجها .. جاءا لينقذانى من الانتحار ..

ووقفت امامى مديحة مذهولة .. تنظر الى ثم الى محمد .. كأنها لا تفهم شيئا .. ثم تمتمت :

ــ انا آسفة .. انا جيت اطمن عليكى ..

ثم عادت تنظر الى محمد ثم تنظر الى ..

وتمالكت اعصابى ، وقلت فى هدوء ..

ــ انا كويسة والحمد لله .. رقت .. لقيت ان فيه طريقه تانية ..

ثم قدمت محمد لها ولزوجها ..

ــ محمد مهران ..

ولم اعلق شى .. ولا ارتعشت ..

وهزت مديحة راسها ، ثم صحبت زوجها وعادا الى سيارتهما .. والتفتنا ليريانى وانا اركب بجانب محمد فى سيارته ..

وبدات افيق من المفاجأة .. وبدا قلبى يرتجف .. وقلت وأنا انظر امامى فى سواد الليل :

— تعرف دى مين ؟

وقال محمد بلا اهتمام :

— مين ؟

قلت :

— دى اخت هاشم ..

والتفت الى وقد اتسعت عيناه ، وقال فى دهشة :

— صحيح ..

قلت :

— تقدر تعتبر انى سبت هاشم خلاص ..

قال :

— تفتكرى ان اخته حاتروح تقوله ؟

قلت :

— طبعا .. وحتى لو ما قالتش له .. انا كنت مقرره من الصبح انى اسيب هاشم .. خلاص ما بقتش قادره استحمله .. ما كنش ممكن احبك ، وافضل معاه .

ثم انطلقت ابكى ..

ابكى بدموع حقيقية .. كنت ابكى غيظى لفشل خطتى .. وكنت ابكى خوفى من أن افقد هاشم .. وانطلق من قلبى صاروخ حاد من الكراهية لاخت هاشم .. انى اكرهها .. اكرهها ..

اكره السيدة الطيبة التى صـــدقتنى نجاعت تنقذنى من الانتحـــار .. اكرهها لأنها لم تحاول اقناع هاشم بأن يتزوجنى عندما ذهبت اليها وأطلعتها على حبى له .. وأكرهها لأنها كشفت حيلتى .. كشفت حقيقتى .. واكرهها لأنها انسانة سعيدة شريفة لهــا بيت وأولاد .. وانا أكره كل النساء السعيدات الشريفات .. اكرهها .. ولا زلت اكرهها حتى اليوم ..

وبدأ عقلى يفكر وانا ابكى .. ربما كان فيما حدث مصـلحة لى .. ان محمـــد الآن قد ازداد تأكداً من أنى سأتزوجة بهاشم بعد ان راى أخته تأتى لزيارتى .. وانا الآن أســـتطيع ان احمله مسئولية كل ما يحدث لى .. استطيع ان اقول له دائما انه هو السبب فى طلاقى الموهوم من هاشم .. ولن يستطيع ابدا أن يفر من هذه المســـئولية .. انى أملك اليـــوم اكثر من اى يوم آخر ، ان اتزوجه ، بالالحاح على ضميره وعلى شهامته ، ومهما عارضت أمه واخوته البنات ..

وضغطت على عينى ، وقلت فى صوت الشهيدة :

ــ أنا خلاص يا محمد .. ما بقاش لى فى الدنيـــا كلهـــا الا أنت ..

ومد محمد يده والتقط يدى ، وضغط عليها فى حنان . وقال فى حماس صادق :

ــ احنا حنتجوز يا ميتو .. تأكدى اننا حانتجوز ..

وبقيت معه ليلتها حتى الخامســـة صباحا ابكى .. واروى له قصصا عن نذالة هاشـــم ، والعذاب الذى سقاه لى . ثم اعطيه من نفسى .. اعطيه كأنى أرشوه ليتزوجنى .. واعطيه لأنسى .. انسى هاشم .. ولم اكن ليلتها اريد ان اترك محمـــد

ابدا .. كنت اخاف ان اعود الى بيتى فأغرق وحدى فى لوعتى على هاشم .. وخوفى من حياة لا يشاركنى فيها ..

وما كاد محمــد يوصــلنى الى البيت حتى سقطت فى البئر .. البئر العميقة التى حفرها هاشم فى صــدرى .. نسيت فى لحظة واحدة كل الساعات التى قضيتها مع محمد .. ووجدت كل عقلى ، وكل قلبى وراء هاشم .. يبحثان عنه ليعيداه .. واتعذب .. كل قطعة منى تتعذب باللهفة اليه .. صــدرى ينقبض .. معدتى تنقبض .. عقلى ينقبض .. اوصالى تنقبض .. والخوف .. الخوف وانا اتصور نفسى أعيش بلا هاشم .. لقد انقضت سنوات طويلة وانا أعيش معــه .. كل ما فعلتــه ، فعلته وانا معه .. كل يوم من ايامى كنت استمده منه .. وكان رجلى .. كل الذين عرفتهم كانوا شيئا آخر .. هاشم وحده كان رجلى ..

وخيوط من الأمل تلمع فى راسى ، ثم تنطفىء .. لعل اخته لم تبلغه بما راته .. لعــله يقتنع بأن ما فعلته كان مجرد غلطة عابرة ارتكبتها وانا غاضبة منه ..

ولم انم ..

بقيت مفتحة العينين حتى جاء موعد ذهاب هاشم لعيادته ، ثم اتصلت به فى التليفون .. وقلت فى لهجة حاولت أن تكون هادئة :

ـــ صباح الخير ..

وسكت .. لم احاول ان ابدا بالاعتــذار .. كنت لا ازال متعلقة بالأمل فى الا تكون أخته قد ابلغته ..

ورد هاشم وصوته ينضح بالم يبدو انه يبذل جهدا ليخفيــه عنى :

ـــ صباح النور يا أمينه ..

ثم سكت هو الآخر ، كأنه ينتظر منى ان ابدأ فى الكلام . .

وعدت أقول وصوتى يرتعش :

ـ انت ماضى النهارده ، اشوفك !

قال وقد خيل الى ان على شفتيه ابتسامة مرة :

ـ أظن ما فيش لازمه نشوف بعض بعد كده . .

وقلت فى صوت متردد ذليل :

ـ اختك قالت لك . . مش كده ؟

قال فى حدة :

ـ طبعا قالت لى . .

قلت وانا أتجرأ وارفع صوتى :

ـ اختك بتكرهنى . . لو ما كانتش بتكرهنى كانت سابتنى اقول لك أنا . . انا كنت ناويه اقول لك على كل حاجه . .

قال فى لهجة ساخرة :

ـ كنتى ناويه تقوليلى ايه ؟

قلت :

ـ كنت ناويه اقول لك انك انت السبب . . ما كانش ممكن اضبطك راجع من عند واحده . . وتقول لى انك سبتنى . . وبعدين ما اغلطش . . يعنى كنت عايزنى انتحر . . كان أحسن لك انى أنتحر !!

قال :

ـ على كل حال اعتبرى اننا سبنا بعض فعلا . .

قلت فى توسل :

ـ بس انا مش عايزه اسيبك . . ما اقدرش اسيبك . .

قال :

ــ أنا حاسيبك علشان مصلحتك .. انتى مش عارفه انتى بتعملى ايه .. تأكدى ان أسوأ حاجه ممكن تعمليها فى نفسك ، انك تعرفى رجلين فى وقت واحد .. لو اتعودتى على كده حاتلاقى نفسك بعد شويه ، واقفه فى الشارع تحت فانوس .. وما دام عرفتى واحد تانى ، انا متنازل .. منسحب .. علشان ما تتعوديش على انك تعرفى رجلين فى وقت واحد ..

قلت :

ــ بس انا ما بحبوش .. انا باحبك انت يا هاشم ..

قال :

ــ أمال خرجتى معاه ليه ؟

قلت :

ــ لأنك جننتى .. انت اللى خليتنى أعمل كده .. انت السبب ..

قال :

ــ البنت الكويسه ما تعملش كده ، مهما اتجننت . وانتى مش كويسه .. انتى ما تعرفيش تحبى .. وانتى عمرك ما حبيتى ، انما كنت محتاجه لى .. وانا مستعد أعمل لك كل حاجه ، الا انى اشوفك .. ومع السلامه ..

والقى سماعة التليفون فى وجهى .. وجننت ..

حاولت ان اتصل به مرة ثانية ، ولكنه رفع سماعة التليفون .. وحاولت أن اتصل به فى تليفون العيادة العمومى ، ولكنه لم يرد على .. وقضيت طول اليوم بجانب التليفون أحاول أن اتصل به .. حاولت أكثر من ثلاثين مرة .. اتصلت به فى كل مكان اتصور ان اجده فيه .. ولكن بلا أمل ..

والدنيا تضيق امام عينى .. ويخيل الى انى اصبحت فعلا واقفة فى الشارع تحت فانوس نور ..

وجريت الى محمد لينقذنى من نفسى .

قضيت معه ليلة أخرى حتى الخامسة صباحا ..

وما كدت اتركه حتى عاودنى الضيق .. والجنون .. ولهفتى على هاشم .. وكنت اتعجب من نفسى .. لماذا لا اشعر بكل هذه اللهفة . وكل هذا الحب ، الا عندما يهم هاشم بأن يتركنى .. فاذا اطمأننت الى أنه لن يتركنى ، عدت استهين به .. والعب .. ربما لأنى كنت كالطفل الصغير الذى يشتط فى لعبه وهو بجانب أمه ، مطمئنا الى حمايتها له .. حمايتها من نفسه .. فاذا ابتعدت عنه أمه ، كف عن اللعب .. وخاف من نفسه .. وبكى .. لقد كان هاشم بمثابة أمى .. انه أمى .. وأبى .. وأخى .. وحبيبى ..

واستطعت ان اتصل بهاشم فى اليوم التالى ..

ولكنه رفض ان يلقانى .. انه لا يزال مصرا على أن نفترق ..

وفى اليوم الثالث ..

والرابع ..

وانا ازداد جنونا .. لم اعد اطيق ان ابقى لحظة واحدة وحدى .. فأجرى الى محمد .. القاه فى الصباح .. وفى المساء .. واتغدى معه .. واتعشى معه .. ثم يتركنى ساعات لا انام فيها .. وهاشم يملأ قلبى وعقلى ..

الى أن كان اليوم الخامس .. وكنت عائدة من شقة محمد فى سيارة أجرة ، عندما لمحت هاشم فى سيارته .. ولمحنى .. ونظر الى وفى عينيه نظرة ميتة لا حياة فيها . وشفتاه مزموتان

.. ليست بينهما هذه الانفراجة الصغيرة التى جذبتنى اليه وحيرتنى فيه يوم أن رايته لأول مرة منذ ست سنوات ..

وابتسمت له ..

ابتسامة مرتعشة خائفة ..

ولم يرد ابتسامته .. وتقدم بسيارته السيارة التى اركبها .. فأمرت السائق أن يتبعه .. ولمحنى فى المرآة وأنا اتبعه .. فاطلق سرعة السيارة .. واخذ يدخل من شارع الى شارع .. وسائق التاكسى يتبعه ..

وكنت أعلم ان هاشم سيقف اخيرا .. سيقف لأنه يخشى الفضيحة .. يخشى أن يلحظ الناس أن هناك فتاة تطارده ..

ووقف فعلا ..

وقف فى مكان هادىء من الشارع الذى يقع فيه بيت ام كلثوم ..

وقفزت من التاكسى ، وركبت بجانبه وانا ارتجف .. ودمائى باردة فى عروقى .. ووجهى ضاع لونه ..

وقال فى صوت صارم :

— عايزة ايه ؟

قلت وانا احاول أن ابتسم :

— عايزاك ..

وتمتم كأنه يخاطب نفسه :

— أنا ربنا بيعذبنى بيكى .. أنا لازم عملت ذنب كبير .. ذنب كبير قوى ..

قلت فى هدوء :

— ذنبى ..

وقال وهو يرفع صوته فى غيظ :

ـــ واكفر عن الذنب ده ازاى .. قوليلى أعمل ايه .. عايزه منى ايه ..

قلت :

ـــ اتجوزنى ..

ونظر الى كانى مجنونة ، وقال ساخرا :

ـــ تانى .. حانعيد سيرة الجواز من اول وجديد .. وبعد كل اللى عملتيه ؟

قلت :

ـــ انا ما عملتش حاجة ..

ونفخ صدره ثم زفر انفاسه فى زهق كأنه يطلق من انفه نارا .. ثم التفت الى بكل جسمه وقال كأنه يتشبث بأخر امل له :

ـــ اسمعى يا امينه .. انتى عارفه ومتأكده اننا مش حانتجوز ابدا .. وعارفه ومتأكده انك ما تقدريش تعيشى معايا من غير جواز .. وبقالك ست سنين وانتى تحاولى تسيبينى .. اتجوزتى .. لكن ما قدرتيش ، واتطلقتى .. وبعدين اتخطبتى وما قدرتيش . فكيتى خطوبتك .. وبعدين كتبتى كتابك على واحد تالت ، وبرضه ما قدرتيش ، واتطلقتى قبل ما تدخلى عليه .. مش كده ..

وتمتمت هامسة ، وانا اصغى اليه نصف اصغاء ، فقد كان كل ما فى عقلى هو لن يعود الى ..

ـــ أيوه ..

قال فى لهجة الفيلسوف :

ـــ يبقى الطريقه الوحيده علشان تسيبينى ، انك تحبى واحد تانى .. مش كده !

قلت :

ـــ أيوه ..

قال :
ـ لغاية كده متفقين .. دلوقتى انتى بتعرفى واحـــد تانى .. و ..
وقاطعته وأنا أنظر اليه فى جرأة :
ـ لا .. ما اعرفش ..
ونظر الىّ كأنه بهت لجراتى :
ـ امال اللى خرجتى معاه ده يطلع ايه ..
قلت :
ـ مش معنى انى خرجت معاه ، انى باعرفه ولا باحبه .. دى اول مره اخرج فيها معاه .. وخرجت معاه لأنك جننتنى ..
قال ساخراً :
ـ يا سلام .. يعنى كان واقف تحت شـــباكك .. أول ما اتجننتى طلع لك على طول وخرجك ..
قلت وأنا أحاول الا افقد حبل الكذب :
ـ انت عارف انى اعرف اخته عليه .. ضربت لها تليفون ساعة ما كنت متضـــايقه ، رد علىّ هو .. طلبت منه انه ييجى يخرجنى ..
قال :
ـ انا ما اعرفش انك تعـــرفى اختـــه .. بس اعرف انك تعرفيه هو .. وتعرفيه من زمان .. واعرف انك بتروحى شقته .. فيه ناس شافوكى بعينهم .. وشقته بالأماره جنب شـــقتى اللى فى الزمالك ..
وصرخت :
ـ كذب .. ما حصلش .. انا عارفه مين اللى قال لك كده .. كلهم بنات متغاظين منى لأنى باعرفك .. لانى باحبك ..

قال كأنه يريد ان يطمئن الى شيء يهمه :

ــ يعنى ما رحتيش شقته ؟

قلت ؟

ــ وحياة بنتى .. وحياتك يا هاشم .. ابدا .. مش معقول .. مش معقول انك تصدق حاجات زى دى ..

وقال كأنه يعاتبنى :

ــ ومش عيب تضحكى على أختى وتفهميها انك كنتى حاتنتحرى ؟

قلت وانا أخفى عنه عينى :

ــ انا بافكر فى الانتحار فعلا ؟

قال فى حدة :

ــ بتفكرى فى الانتحار ازاى ، واختى جاتلك بعد تلت ساعه لقيتك لابسه ومتزوقه وعامله شعرك ..

قلت فى جراة :

ــ كذب .. انا ما كنتش عامله شعرى ولبست فى عشر دقائق .. أنا عارفه .. انت بتتمنى انى أنتحر .. بتتمنى انى اموت واريحك منى ..

ونظر الى كأنه يستجير بالله منى ، وقال :

ــ انتى مجنونه ..

قلت :

ــ مجنونه ليه ..

قال :

ــ لانك مش فاهمانى .. لانك بالشكل ده مش حاتوصلى لحاجه .. لو فضلتى تكذبى على حاسيبك غصب عنك .. انما لو قلتى الحقيقه حافضل معاكى .. وحافضل مسؤول عنك ..

لغاية ما ييجى اليوم اللى تقوليلى فيه ، خلاص يا هاشـــم ، انا حببت واحد تانى ، ومش حا اقدر اشوفك .. مع السلامه ..

هل اصدقه .. هل أصدق انه سيبقى معى الى ان يتزوجنى محمد .. وانه لن يتخلى عنى .. ولن يضعفنى أمام محمد بأن يتركنى له .. وحدى ..

وقلت فى تردد :

ـ بس انا لسه ما حبيتوش ..

قال :

ـ بس فيه أمل انك تحبيه ..

قلت :

ـ ليه ؟

قال :

ـ لان هو اللى اخترتيه علشان تخرجى معـــاه .. اذا ما كنتيش تحبيه ، يبقى على الأقل بتستلطفيه ..

ولم ارد عليه .. كل عقلى مشـــغولا ، احاول ان أقنع نفسى بأن اقول له كل الحقيقه .. لعله صادق فى وعده بألا يتركنى بعد أن يعرف كل شىء .. لم لا .. ان هاشم ، مهما قيل عنه ، فهو كريم .. لا تهمه الأموال التى ينفقها على .. بل انه كريم مع كل الناس ، ليس علىّ وحدى .. ولن يهمه ان يظل ينفق على الى ان أتزوج محمد ، وربما بعد ان اتزوجه أيضا .. ثم انه ليس من هذا الصنف من الرجال الذى ينقاد وراء غيرته .. ان غروره يدفعه دائما الى أن يخفى غيرته على اى فتاة .. وكل ما يفعله هو ان يصاحب فتاة اخرى .. انى استطيع أن اســـمح له بأن يصاحب اخرى ، ويسمح لى بأن اصـــاحب محمد .. ونلتقى فى نفس الوقت . كما كنا نلتقى .. ويبقى مسئولا عنى .. الى

ان احب محمد الى حد ان استغنى عنه .. او الى ان اتزوج محمد .. ان هذا الوضع يتلاءم مع عقلية هاشم اكثر .. العقليه المتحررة الواقعية .. ويريحه أكثر مما يريحه الكذب .. انه يحس بالكذب حتى ولو لم يكتشفه ، واحساسه به يجعله يبتعد عنى . ويعذبنى ، ويجننى .

وعاد هاشم يقول كأنه وصل معى الى اتفاق :

— وبقالك اد ايه بتخرجى مع محمد ؟

وقلت فى تردد وانا انكس عينى بين يدى .

— خرجت معاه تلات أربع مرات ..

قال وهو يبتسم :

— وصلتم لغاية فين ؟

قلت وأنا انظر اليه فى غضب .

— ما وصلناش لغاية حاجه .. تصدك ايه ؟

قال :

— يعنى مثلا .. ما باسكيش ؟

قلت فى صوت خفيض وانا ارخى عينى :

— باسنى ..

ثم رفعت عينى اليه ، واستطردت بسرعة :

— فى خدى ..

وابتسم هاشم ساخرا كأنه لا يصدقنى .. وأدار موتور السيارة ، ثم قال وهو يأخذنى الى بيتى ..

— اسمعى يا أمينه .. انا حاقف جنبك لغاية ما تتجوزى محمد .. ولازم تعرفى انك حلوه .. ولما تحبى تبقى كويسه بتقدرى تبقى كويسه .. ما تفتكريش انك اقل من الستات التانيه .. واوعى تصدقى ان سمعتك ضاعت وانك مش ممكن تتجوزى

شاب كويس زى محمد .. أبدا .. ياما بنات عملوا ، واتجوزوا شباب كويسين .. وكمان ما تفتكريش ان محمد من عينه محافظه وكبيره ، ومش ممكن يتجوز واحده مطلقه ومخلفه ، وحتى لو عرف كل حاجه عنك وعنى .. أبدا .. المهم انه يحبك .. بس لازم تعرفى ان فيه فرق بين واحده بتمشى مع واحد علشان يتجوزها ، وواحدة تمشى مع واحد وهى عارفه انه مش حايتجوزها .. فيه فرق كبير .. لو عرفت الفرق ده حاتقدرى تتجوزى محمد .. خصوصا انه شاب صغير وما اتعقدش من الجواز والبنات زيى ...

واحسست بكلمات هاشم كالدبابيس تشك قلبى ، وتشك عقلى ، وتشك جلدى .. انى لا استطيع ان احتمل .. لا استطيع ان اكون رخيصة عند هاشم الى هذا الحد .. الى حد ان يتفق معى على ان يعطينى لرجل آخر ، حتى ولو اعطانى كزوجة .. لم اشعر ساعتها اننا نحن الاثنين نحاول ان نتفق على اصطياد محمد .. لم افكر فى محمد اطلاقا .. ولكن كان كل ما احس به انى هنت على هاشم الى هذا الحد .. انى رخيصة عليه .. انى تافهة بالنسبة له ..

وصرخت فيه :

ـ هاشم .. انا كذبت عليك .. انا ما اعرفش محمد .. وعمرى ما خرجت معاه الا يوم ما اختك شافتنى .. وحياة بنتى .. وحياة ماما .. ان شاالله افقد نظرى .. انا كنت باكذب عليك ..

ونظر الى هاشم كأنه بوغت ، وقال :

ـ وكنت بتكذبى على ليه ؟

قلت فى حرارة كاذبة :

ــ لأنك ما كنتش راضي تصدقني .. حبيت انى اريحك .. انما اذا وصلت لدرجة انك تسيبنى له .. وتقول لى اتجوزى وما تتجوزيش .. يبقى لازم تعرف الحقيقه .. والحقيقه انى ما اعرفوش .. ومش عايزه أعرفه .. مش عايزه أعرف الا انت .. واذا كنت حاتجوز ، حاتجوزك انت .. واللا مش حاتجوز خالص ..

ونظر الى هاشم من خلال عينيه المنتفختين ، وقلب شـفتيه فى قرف ، وقال :

ــ انتى عبيطه ..

محمد الآن يعتقد انى تركت هاشم ، وانا لا ازال مصرة على ان اكذب على هاشم ، واؤكد له أن ليس بينى وبين محمد علاقة ..

تغير الوضع ..

فقد كان محمد ــ من قبل ــ يعلم بعلاقتى بهاشم .. وكان يعتقد اننا متزوجان زواجا عرفيا ..

وكان هاشم وحده هو الذى اضطر ان أكذب عليه ، لأخفى عنه علاقتى بمحمد ..

ولكنى الآن مضطرة أن اكذب على الاثنين .. واقنـع كلا منهما بأن ليس لى علاقة بالآخر ..

هذا الوضع الجديد يكلفنى اكثر .. انه يستنزف كل اعصابى وكل ذكائى .. انه وضع آخر غير وضع الزوجة الخائنة .. فالزوجة التى تخون زوجها ، لها جانب مستقر فى حياتها تستطيع دائما أن تعود اليه وتستريح .. اقصد بيتها .. بيت الزوجية .. اما انا فلست زوجة لهاشم ، ولا زوجة لمحمد ، وليس لى بيت استريح فيه .. اذا تقلبت على هذا الجانب أو الجانب الآخر دهمنى القلق ، وتأوهت .. والزوجة الخائنة تستطيع ان تقنع

نفسها بأنها عندما تكون لزوجها فهى له باسم الشرع .. وعندما تكون لحبيبها فهى له باسم الحب .. تستطيع أن تجد مبررا لتصرفاتها .. تستطيع أن تسكت ضميرها بأنها ظلمت فى زواجها ، أو ان أهلها زوجوها رغم ارادتها رجلا لا تحبه ، او انها مضطرة أن تحتفظ بزوجها حتى لو خانته ، من اجل الاولاد ، ومن اجل المركز الاجتماعى .. الى آخر هذه المبررات .. اما انا .. فلا اجد مبررا لتصرفاتى .. انى اعيش فى معركة مستمرة مع ضميرى .. احاول دائما أن انصر ذكائى الأصفر على ضميرى الهزيل .. ولم يكن فى ذكائى الأصفر سوى أطماعى .. وكانت أطماعى تصور لى ان احتفظ بالاثنين ، هاشم ومحمد .. فكل منهما يمثل لى املا غاليا .. هاشم برجولته وثروته وشهرته .. ومحمد بشبابه وعائلته الكبيرة .. كنت أطمع فى أن احتفظ بهما حتى او تزوجت احدهما .. ولكنى كنت ادارى الطمع واحاول ان اقنع نفسى بأنى لو تزوجت احدهما فسأترك الآخر فورا .. كنت اقنع نفسى بأنى مضطرة الى الاحتفاظ بهما الاثنين لأنى لست زوجة احدهما .. كنت اقنع نفسى بأن سر كل تصرفاتى انى لم اتزوج هاشم منذ عرفته .. وان هذا عذر كاف كى اخونه مع محمد .. ولكنى لم اجد عذرا ابرر به خيانتى لمحمد مع هاشم رغم أن محمد وعدنى بالزواج .. وكنت اقول لنفسى انى اخون محمد لأنى لست واثقة من وعده ..

وعندما اعود لنفسى الآن استطيع ان ارى حقيقتى بوضوح اكثر .. استطيع أن أرى انى لم اكن اعلم ايهما اريد أن اتزوج .. محمد .. أو هاشم .. ؟ واستطيع ان ارى انى لم اكن قد يئست من زواجى بهاشم رغم كل هذه السنين ورغم كل ما مر بى .. بل انه مرت بى فترة طويلة لم اكن واثقة من الذى احب

منهما .. رغم كل ما اعطيته لكل منهما .. كنت أحيانا اقتنع بأنى خلاص ، اصبحت احب محمد .. ثم لا تمضى ساعات حتى أجد نفسى ملهوفة الى هاشم ، واحس انه الرجل الوحيد الذى احبه .. ثم أعود بعواطفى الى محمد .. وهكذا ..

هذا التردد .. أو هذا الطمع .. هو سر شقائى .. كنت كالطفلة الجشعة الغبية التى تأكل كل شىء ، الى ان تمرض وتصاب بتلبك معوى . وقد مرضت ، وأصبت بتلبك فى أعصابى . وتلبك فى عقلى ، وتلبك فى جلدى ..

وربما لم يكن هذا التحليل لنفسى صحيحا .. ربما كان سر تصرفاتى هو محاولتى الهرب من حب هاشم .. أن انساه .. أن اتحرر منه .. أن اتخلص من تعودى عليه .. أو .. ربما كنت مجرد ضحية لطبيعتى المنحلة التى ورثتها عن أبى ..

المهم ..

لقد اصبح لقائى بهاشم فى هذه المرحلة من عمرى ، صعبا .. فقد كان محمد متفرغا لى .. كان — كما قلت — ينتهى من عمله فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، ثم يتفرغ لى حتى الصباح اليوم التالى .. فهو اما معى ، أو يحادثنى فى التليفون .. وكان يشك فى كل تصرفاتى .. وغيرته تكاد تخنقنى .. ورغم ذلك فقد كنت أجد دائما وسيلة للقاء هاشم .. لقد ساعدت المرات التى نلتقى فيها .. كانت تمضى ثلاثة ايام او اربعة لا اراه فيها .. وهاشم لا يهتم .. غروره بنفسه كان يمنعه دائما من أن يطلب لقائى ، وكان ينتظر منى أن اطلب انا اللقاء .. ثم لا يقبل الا بعد ان الح ، والح كثيرا .. وقد استطعت أن أقنعه أكثر من مرة بأن يأتى للقائى فى بيتى فى الصباح وقبل أن يذهب الى العيادة ليشرب معى فنجان قهوة ، كما كنت أقول له .. وكان هذا الموعد

هو انسب الأوقات لى .. فأنا مطمئنة الى ان محمد فى عمله .. وكنت احرص عندما يأتى هاشم أن اضع التليفون فى غرفة اخرى غير غرفة النوم التى اجلس فيها معه حتى اذا اتصل بى محمد . رددت عليه دون أن يسمعنى هاشم ..

وقد لاحظ هاشم مرة انى ارد على التليفون فى الغرفة المجاورة بصوت منخفض .. فبيتى صغير وكنت اخشى أن ارفع صوتى ، فيسمعنى ..

وقال بعد أن عدت اليه ، وبين شفتيه ابتسامته الساخرة :

ـ بتتكلمى بصوت واطى ليه .. ؟

قلت وأنا احاول أن أبدو طبيعية :

ـ انت عارف انى دايما اتكلم فى التليفون بصوت واطى ..

وضحك هاشم ضحكة صغيرة ، وسكت ..

وكان دائما باردا ..

انه يبدو كأنه لا يريدنى .. لم يعد شيء فى يحركه نحوى .. او يفتح عينيه المنتفختين .. أو يطلق السخونة فى أنفاسه .. انه ينظر الى كأنه يشفق على .. ويقبلنى كأنه يؤدى واجبا مفروضا عليه .. ويعتذر فى مرات كثيرة بأنه على موعد لزيارة احد مرضاه .. فاذا لم يعتذر ، فهو ثقيل ، كسول ، يتدلل ..

وانا لم اتغير .. انى لا ازال اريده كما كنت اريده دائما .. لا يزال يثير كل قطعة منى كما تعود أن يثيرها .. انه يعيش فى منامى .. وكان بروده يجننى ويصور لى انه على علاقة بفتاة اخرى .. وكنت أحتار فيمن تكون هذه الفتاة .. هل هى مرفت التى ضبطتها في شقته أكثر من مرة .. ام هى نجوى مريضته التى تلمع عيناه كلما ذكرت اسمها كأنى قد دنست اسمها الشريف بلسانى .. من يدرى .. لعلها ليست مريضة ولكنها

تمثل علية دور المريضة كما فعلت انا عندما ذهبت اليه لاول مرة .. ومن يدرى .. لعلها ليست مرفت ، ولا نجـوى .. ولكنها فتاة اخرى ..

وكانت هذه التصورات تلهب الغيرة فى صدرى .. فأندفع وراءه .. أذهب اليه فى شقته .. واطارده .. ولكنى لم افقد ذكائى ابدا ، ذكائى الذى أحمى به علاقتى بمحمد .. ان محمد — رغم شكوكه — لم يستطع أبدا أن يكتشف لقائى بهاشـم ..

وفى هذه الاثناء بدأت اتعمد أن آخذ من هاشم نقودا اكثر .. كنت غير مطمئنة الى بقائه لى .. وكنت أريد أن أضمن اذا تركنى ، أن أكون قد ادخرت مبلغا كبيرا يكفى حياتى .. وقد قلت له ذلك صراحة .. قلت له انى اريد أن أضمن مستقبلى .. واريد أن أضمن الا أتشرد يوم يتركنى .. واشـحذ .. ورغم انه أكد لى انه سيظل يحمل مسئوليتى المادية دائما حتى لو افترقنا ، فقد وافق على أن افتح حسابا بأسمى فى صندوق التوفير .. واعطانى مائة جنيه لأضعها فيه .. ثم مائة اخرى .. وفى خلال شـهور وصل ما ادخرته الى سبعمائة جنيه .. لم استطع ان اصل الى الالف ..

وكان محمد منذ ان اقتنع بانى تركت هاشم ، يعرض على أن يكون مسئولا عنى .. كان يقول لى :

— أنا عايز أحس انى الراجل بتاعك .. انى مسـئول عنك .. مش عايز اشوفك لابسة فستان من فلوس هاشـم .. ولا ماسكه شنطه مش انا اللى جايبها ..

وكنت أقول له مبتسمة :

— بعدين .. لما نتجوز .. لغاية دلوقت ماحدش مسـئول عنى الا بابا .. أوعى تكون فاكر أن بابا ما بيصرفش على ..

صحيح ان حالته مرتبكة .. انما مش لدرجة انه ما يصرفش عليّ ..

رفضت أن ادعه يتحمل مسئوليتى المالية ، لأنى كنت اعلم انى يوم اقبل منه أن يصرف عليّ ، فكأنى اعفيته من الزواج ..

وعوضنى محمد بكثير من الهدايا ..

اشترى لى مرة خاتما من الذهب له فص فيروز .. ووضعته فى اصبعى وذهبت للقاء هاشم ..

ونظر هاشم الى الخاتم وقال ساخرا :

ـ مبروك الخاتم .. ورينى كده ..

وخلعت الخاتم من اصبعى ، والقيته اليه ، وهو جالس على المقعد المريض .. ونظر فيه طويلا .. ثم وضعه فى أصبعه .. وضحك ضحكة صغيرة ، وقال :

ـ جبتيه منين ؟ ..

قلت ورموشى ترتعش :

ـ بابا اهداه لى ..

ورفع هاشم يده وفى اصبعه الخاتم . واخذ يقلبه امام عينيه .. ثم خلع الخاتم ،، والقاه اليّ كأنه يلقيه فى وجهى ، وقال :

ـ من امتى أبوكى بيهديكى خواتم ..

وقلت ورموشى لا تزال ترتعش :

ـ وإيه يعنى .. ده خاتم رخيص .. ما يساويش أكتر من خمسه جنيه .. يعنى بابا ما يقدرش يعمل لى هدية بأكثر من خمسه جنيه ..

وسكت هاشم .. أدار وجهه عنى فى قرف ..

وفى مرة ثانية اهدانى محمد حقيبة لها مقبض من ذهب .. اشتراها لى من الاسكندرية ، عندما سافرت معه لأرى ابنتى ..

وحملت الحقيبة أيضا وذهبت الى لقاء هاشم .. لا ادرى لماذا .. ربما لانى كنت أتلذذ وانا اذهب اليه ومعى قطعة من محمد .. او ربما لانى لم اكن استطيع ان اخفى عنه شيئا .. كان ما اخفيه عنه بلسانى ، اتمنى أن يعرفه باحساسه .

وامسك هاشم الحقيبة بيديه ، وقال وهو يلوى شفته السفلى :

— جبتيها منين ؟ ..

قلت :

— اشتريتها من اسكندرية ..

وظل هاشم يقلب الحقيبة بين يديه برهة ، ثم كسر مقبضها الذهبى . والقى به من الشباك ، وأعادها الى قائلا فى برود :

— كده أحسن .. شكلها كده اشيك ..

وجننت ..

قفزت من جلستى ، ونظرت من الشباك وراء المقبض الذهبى . ثم جريت بعد أن صرخت فى وجه هاشم :

— انت مجنون .. سافل ..

ووجدت المقبض فى الشارع ..

وحملته وعدت الى الشقة ، فوجدت هاشم قد غادرها ..

ومن يومها فكرت فى طريقة أخرى .. اصبحت كلما اهدانى محمد هدية ادعيت انى اشتريتها ، واخذت ثمنها من هاشم .. وبهذه الطريقة لم يعد هاشم يلقى بهدايا محمد من الشباك ..

وكان محمد قد اهدانى فى عيد ميلادى ، خاتما محلى بفصوص صغيرة من الماس ، وفوقه لؤلؤة كبيرة .. خاتم جميل غال .. ولم اضع الخاتم فى اصبعى واذهب الى هاشم .. ذهبت اليه بلا خاتم ، وقلت له وهو مسترخ فى الفراش بجانبى :

ـــ هاشم .. بنت عمى عندها خاتم جنان .. وعايزه تبيعه بخمسين جنيه .. ايه رايك ..

وقال فى بساطة :

ـــ اشتريه ..

قلت :

ـــ ده حايعجبك قوى .. لقطه .. ولولا انها معذوره ما كانتش باعته ..

ثم ملت عليه اقبله من شفتيه المنفرجتين نصف انفراجة ، وانا اقول له :

ـــ مرسى يا هاشم .. ربنا يخليك لى وتجيب لى ..

ووضع هاشم يده فى جيبه قبل أن نخرج من الشقة .. واعطانى خمسه وعشرين جنيها ، وقال لى :

ـــ دول من تمن الخاتم .. وبكره اديكى الباقى ..

ولا ادرى لماذا حددت ثمن الخاتم بخمسين جنيها .. كنت استطيع أن احدد ثمنه بمائة وخمسين جنيها .. ربما لأن ضميرى قد وبخنى وانا ارتكب جريمة نصب ، فأردت أن أخفف من أثر الجريمة على هاشم .. أشفقت عليه .. صعب على .. انه حبيبى .. حبيبى الذى انصب عليه ..

ولم أر هاشم فى الغد ..

ولكنى رايته بعدها بأيام ..

ذهبت اليه وفى أصبعى الخاتم .. وقلت له فرحة :

ـــ أهو الخاتم .. حلو ؟ .. اديت لبنت عمى الخمسه وعشرين جنيه ، وخدته منها ، لغاية ما جيب لها الباقى ..

وأخذ هاشم الخاتم بين أصابعه ، وقلبه أمام عينيه ، ثم رده الى وشفتاه مقلوبتان فى قرف ، وقال :

ــ ده يسوى اكتر من خسمين .. اكتر بكتير .. مش ممكن تكون بنت عمك مغفله للدرجه دى ..

ثم نظر الىّ فى عينى .. نظرة غاضبة .. وتمتم :

ــ مش معقول تكونى وصلتى للدرجه دى ! ..

ثم سكت ..

ولم اردّ ..

شيء وقف فى حلقى يكاد يخنقنى .. لم أستطع ان اتكلم الا بعد فترة طويلة .. وبعد ان التقط هاشم أحد كتبه الطبية واخذ يقرأ فيه كعادته عندما يكون غاضبا .. وقلت فى صوت مرتعش :

ــ عجبك الخاتم ؟ ..

ورفع عينيه من فوق الكتاب ، ونظر الىّ نظرة ميتة ، ولم يردّ علىّ ..

وحمدت الله انه لم يرد ..

ولكنه لم يعطنى الخمسة والعشرين جنيها الأخرى ..

ولم اجرؤ على أن اطالبه بها ..

كنت واثقة أنه كشفّ سرى .. وانه عرف أن الخاتم هدية من محمد .. ووجهه غارق فى سحابة قاتمة من الألم ..

ثم ..

حملت ..

ولم أقرف فى حياتى من نفسى قدر ما قرفت هذه المرة .. احسست كأنى افقت من ذهولى .. احسست كأن كل مصيبتى قد تجمعت فى بطنى ، ولم تعد معدتى تستطيع أن تهضمها .. احسست كأنى ، فضحت .. لم أفضح أمام الناس ولكنى فضحت أمام نفسى ..

وساءلت نفسي ، ابن من هذا الذى احمله فى بطنى .. ابن هاشم .. ام ابن محمد .. وحاولت أن أتذكر اللحظات التى يمكن أن أكون قد حملت فيها ، لأحدد أبا للجنين .. ولكن تساؤلى لم يدم طويلا .. انى لست فى حاجة الى هذا التساؤل ، فسواء كان ابن هاشم ، أو ابن محمد ، فهو ابن حرام .. ومصيره محتوم .. الاجهاض ..

وحالتى النفسية تسوء أكثر ..

اكاد اختنق .. كأن يد الجنين تمتـــد فى داخلى الى زورى لتخنقنى ..

وحاولت أن اقنع نفسى بأن الأمر ليس جديدا على .. لأريح نفسى من العذاب .. فقد سبق أن احترت فيمن يكون أبا ابنتى عدى عندما حملت فيها .. وكنت أيامها لرجلين ، زوجى عبد السلام وهاشم ، كما أنا اليوم لرجلين هاشم ومحمد .. ولكن .. هناك فرق .. فرق كبير .. فعندما كان احد الرجلين زوجا لى ، كان هناك دائما امل فى أن يكون ابنى ابن حلال .. كنت أستطيع أن اتعلق بهذا الأمل .. واخفى وراءه خجلى من نفسى .. ولكنى اليوم لا أجد أملا اتعلق به ، وأضحك به على نفسى .. ان ابنى ابن حرام مائة فى المائة .. بل ان هناك فرقا بين حملى هـــذه المرة ، والمرات التى حملت فيها عندما كنت لهاشم وحده .. كنت استطيع عندما احمل من هاشم أن اقنع نفسى بأن الجنين هو ابن الحب .. حتى لو كان هذا الكلام مجرد تبرير وهمى .. أما اليوم ، فلا استطيع أن أقنع نفسى بأن الجنين الذى أحمله فى بطنى هو ابن الحب .. حب من ؟ حب هاشم .. أم حب محمد ؟ لا .. انه ليس ابن الحب .. انه ابن الجنون .. جنونى ..

واتصلت بهاشم فى التليفون وطلبت منه أن يأتى لزيارتى

فى الصباح ليشرب معى فنجان القهوة ، كما عودته اخيرا .. وعندما جاء لم استطع ان أواجهه وانا قوية كما تعودت كلما حملت منه .. لم استطع أن اتدلل عليه بحملى .. واطالبه بأن يدفع لى الثمن غاليا .. لم استطع .. كنت ضعيفة .. والعذاب مكوم فى بطنى .. وقلت له وراسى مدلى على صدرى :

— هاشم .. انا حامل ..

ونظر لى هاشم كأنه يحاول ان يكتشف سرى .. وتردد قليلا .. ثم رضع يده فى جيبه واخرج عشرين جنيها اجر الطبيب الذى يجهضنى ، والقى بها فى حجرى ، وهو يقول فى جفاف :

— أنا مش قلت لك تاخدى بالك .. بالشكل ده حاتقطعى نفسك .. وكتر العمليات دى حايأثر عليكى بعدين ، لما تكبرى ..

وقلت فى صوت خافت :

— انت مش شاطر الا فى الكلام ..

وودعنى وخرج ..

وخرجت وراءه الى لقاء محمد فى شقته ..

وكنت اقوى مع محمد منى مع هاشم .. ربما تزودت بهذه القوة من هاشم ..

وتركت محمد يضمنى الى صدره ، ويضغطنى بذراعيه الشابتين ، ويقبلنى فى شفتى بشفتيه الملتهبتين بحرارة حبه .. ثم فجأة ازحته عنى فى حركة عصبية متعمدة ، وابتعدت عنه . وجلست على مقعد بعيد ..

وخطا ورائى ملهوفا .. كأنه ترك شفتيه بين شفتى ، ويجرى وراءهما ..

ورفعت راسى اليه وقلت فى توسل حزين :

— سيبنى دلوقت يا محمد .. اعمل معروف ..

وقال وانفاسه الساخنة لا تزال تتردد فى صدره :

ــ مالك يا ميتو ..

ووضعت راسى بين كفى كانى على وشك البكاء .. واحاطنى محمد بذراعه ، وقال فى لهفة :

ــ حصل ايه ؟ ..

ورفعت اليه راسى ، وقلت وفى عينى نظرة الشهيدة ..

ــ مش عايزه اقول لك يا محمد ..

قال فى حماس :

ــ ازاى ده .. لازم تقوليلى ..

وترددت قليلا ، ثم قلت :

ــ لا .. بلاش ..

وعاد يقول فى حدة :

ــ بلاش ازاى .. لازم اعرف كل حاجه ..

وجسمت نظرة الشهيدة فى عينى ، وقلت فى صوت مخنوق :

ــ انا حامل يا محمد ..

وقفز حاجباه من فوق عينيه وقال كأنه ذعر :

ــ مش معقول .. وحانعمل ايه ؟

قلت :

ــ ما عرفش يا محمد .. انا خايفه من العملية .. خايفه ..

ورفع محمد ذراعه من فوق ظهرى واحنى راسه وقال كأنه وقع فى مشكلة :

ــ انا مستعد اعمل اللى تقولى عليه ..

قلت :

ــ ما فيش حاجه تتعمل دلوقت الا العمليه .. وانا خايفه .. خايفه اموت فيها ..

ولم أحاول ساعتها أن اذكر سيرة الزواج .. فقـد تعلمت من هاشم الرد الطبيعى الذى يقوله الرجل فى مثل هذه الحالة اذا طالبته بالزواج .. والرد هو أن الزواج كان يجب أن يتم قبل الحمل . حتى لا يخرج الطفل الى الناس قبل موعده ..

وتركت محمد يشجعنى ويخفف عنى الخوف الموهوم ..

وكان محمد هو الذى صحبنى الى الطبيب ، ولكنى لم اسمح له بأن يصعد معى الى العيادة ، تركته ينتظرنى فى الشارع .. واصر قبـل ان اتركه ان يدفع لى أجر العملية .. وحاولت ان أرفض ، ولكنى لم احاول كثيرا ، فأنا ــ كما قلت ــ ضـعيفة امام النقود .. وصاح محمد فى حماس صادق :

ــ أزاى ده .. ده أنا أبوه ..

ثم أعطانى عشرين جنيها أخرى ..

ودخلت الى عيادة الطبيب .. نفس الطبيب الذى ذهبت اليه أول مرة .. وكانت هذه هى رابع مرة اذهب فيها اليه .. ولم تكن الممرضة والطبيب هما وحدهما اللذان يبدو عليهما القرف منى .. فأنا أيضا كنت قرفانة من نفسى .. قرفا يكاد يقلب معدتى ويجهضنى دون عملية ..

ورقدت على سرير العمليات بلا خوف . وبنفس البسـاطة التى اجلس بها على مقعد الحلاق .. وفى رأسى تصـميم هائل على ان انهى هذه الحياة التى تمزقنى .. وغبت عن الوعى وفى رأسى هذا التصميم ..

ونزلت الى الشارع بعد اربع ساعات .

ووجدت محمد فى انتظارى ووجهه غارق فى القلق ..

ولم افرح به كما فرحت بهاشم عندما وجدته فى انتظـارى

عقب ان اجريت اول عملية اجهاض .. ان كل هـــذه المظاهر لم تعد جديدة على حتى افرح بها ..

وفى راسى التصميم الهائل ..

يجب ان اتزوج محمد ..

يجب اولا ان ايأس من هاشم ..

ان محمد هو املى الوحيد ، اذا اردت ان اخرج من هـــذه الحياة الممزقة ، ويكون لى بيت واولاد .. وان احيا حيـــاة استطيع ان ابدو بهـــا امام النـــاس .. انى لست اقل من ابنـــة خالتى ، ولا اقل من ابنة عمى ..

وبدأت اضغط على محمد ..

ولم يعد بيننا الا موضوع الزواج ..

واصبحت اهدده .. اذا لم تتزوجنى فسأتركك ..

وقلت له مرة :

ـــ تعرف مين كلمنى النهارده فى التليفون ..

قال فى سذاجة :

ـــ مين ؟ ..

قلت :

ـــ هاشم ..

واحتقن وجهه وقال فى حدة :

ـــ وعايز ايه منك ؟ ..

قلت فى لهجة جدية :

ـــ عايز يتجوزنى ..

قال :

ـــ زى ما كان متجوزك اظن ؟ ..

قلت :

ـــ لا .. عايز يتجوزنى شرعى .. وفضل يتحايل على علشان احدد له ميعاد مع بابا .. كان عايز يقابله بكره .

قال وهو يتلوى فى عصبية :

ـــ وقلتى له ايه ؟ ..

قلت :

ـــ ما اديتوش كلمه ..

قال فى صخب :

ـــ مش ممكن تتجوزيه يا ميتو .. ده راجل سافل .. ومش حايقدر ينسى انك سبتيه .. وحايجننك ..

وقلت فى حزم :

ـــ انا لازم اتجوز يا محمد .. ما اقدرش اعيش بالشكل ده .. واذا ما اتجوزتكش انت ، حاضطر اتجوز هاشم ..

وقال فى توسل :

ـــ انتى عارفه اننا حانتجوز .. بس استحملى لغاية ما اقول لماما ..

وقلت فى حزم اشد :

ـــ ما اقدرش استحمل اكتر من كده .. انت ناسى اننا بقالنا مع بعض سنتين ..

وقال وعيناه معلقتان فى وجهى :

ـــ ثقى بى .. صدقينى .. انتى عارفه ظروفى ولازم تستحمليها معايا ..

ولم اكف عن الضغط عليه .. الضغط على عواطفه .. بالتهديد .. وباثارة غيرته .. وبدموعى .. وبحاجته الى ..

واخيرا قال لأمه ..

قال لها انه يريد أن يتزوجنى ..

وشقت أمه ثوبها كأنها ترى ابنها ينتحر أمام عينيها .. ولطمت اخوته البنات على خدودهن .. والتفت عائلته كلها تعارضه .. وكل أصدقائه ايضا .

وكان على أن أواجه كل هؤلاء وحــدى .. بدأت اعيش فى حرب ..

وكنت قوية ..وكان سر قوتى أن هاشــم لا يزال معى .. مهما حدث لى ، فأستطيع دائما أن اتزود منه بالقوة .. واستطيع دائما ان استند عليه ..

وكانت الطريقة التى خضت بها الحرب هى ان اخذت محمد من كل هؤلاء .. اخذته من بيته .. من امه واخوته .. واخذته من اصدقائه .. أصبحت حياته كلها لى .. اصبح لا يســتطيع أن يعيش الا معى .. واذا أرادته أمه ، فيجب ان توافق اولا على زواجنا ..

بل انى بلغت أيامها من القوة الى حد انى رفضت أن اتزوج محمــد فى السر .. رفضت مجــرد الفكرة .. وصممت على الا اتزوجه الا بموافقة أهله .. وأن يقام لى فرح كبير .. وارى بعينى كل الناس الذين اطلقوا السنتهم علىّ خلال كل هذه السنين ، وهم ملتفون حولى يهنئوننى بزواجى من احد العــرسان الثلاثة الذين تحلم بهم بنات مصر .. وكنت فى كل هــذه الأحــلام واثقة من وعده . .انه يحبنى .. يموت فى حبى .. وهو شاب نظيف لا يمكن أن يحنث بوعده ..

وباعد تفرغى لمحمد من فترات لقائى مع هاشم .. ولكنى كنت اجد دائما طريقة لأحادثه كل يوم فى التليفون مرتين على الأقل سواء جاء ليشرب قهوة الصباح عندى ، او ذهبت اليــه فى شقته ..

ولم أكن أقول لهاشم شيئا عما يجرى بينى وبين محمد .. كنت لا زلت ادعى امامه بأنى ليس لى علاقة بأحد غيره .. وهو لم يكن يسألنى عما افعله .. وكنت الاحظ فى صوته رنة اليأس منى .. ربما كان يعرف أكثر مما أظن .. ولكنه لم يكن يفصح لى عن شىء .. لم يكن يبدو منه الا هذه الرنة فى صوته .. رنة اليأس ..

وفى مرة قلت له فى التليفون :

ـ أنا حاسه انك مخبى عنى حاجه يا هاشم .. فيه حاجه عايز تقولها وما بتقولهاش ..

قال وهو يضحك ضحكة مرة :

ـ أصلى لو قلت لك ، حاتحلفى بحياة بنتك .. وانا مش عايزك تحلفى بحياة بنتك كدب .. بتصعب على البنت .

وضحكت فى مرارة انا الأخرى ؛ ولم الح عليه فى ان يقول لى ما يخبئه فى صدره ..

الى أن كان يوم ..

وسافرت مع محمد الى السويس لأرى ابنتى .. وكان من عادتى بعد ان ارى ابنتى ان اقضى ليلتى مع محمد ، ثم اعود الى بيتى فى الصباح .. ولكننا فى هذه المرة قررنا فجأة أن نسافر من السويس الى الاسكندرية مباشرة .. وقضينا هناك ثلاثة أيام فى فندق العجمى .. ثلاثة أيام هائلة .. ثم عدنا فى مساء اليوم الثالث .. وطول طريق العودة وانا أفكر فى هاشم .. واحشنى .. واحشنى موت ..

وما كاد محمد يتركنى فى بيتى بعد أن سمحت له أن ينام فى بيته .. حتى اتصلت بهاشم فى التليفون ، وما كاد يسمع صوتى حتى فاجأنى قائلا :

ــ مبروك . . سمعت انكم اتجوزتم . .
وغاب عنى ذكائى لحظة خاطفة . قلت فيها :
ــ ابدا . . لسه . .
ثم تنبهت الى انى انزلقت بلسانى وعدت اقول بسرعة :
ــ قصدك ايه . . اتجوزت مين . . علشان يعنى ما اتاخرت اربعة أيام فى السويس . . وفيها ايه . . بنتى كانت عيانه وواخده اجازه من المدرسه ، قعدت جنبها . .
وقال هاشم ، وصوته ينضح باليأس :
ــ كفايه كذب يا امينه . . تأكدى انى حا افرح يوم ما تتجوزى اكتر من فرحتك . . ليه ما تخليش كل حاجه بينا تبقى حلوه وصريحه . . ليه . . انتى ناسيه ان حبنا ما كانش شويه . . ناسيه السنين دى كلها اللى عشناها مع بعض . . ليه نخسر السنين دى كلها . . ونسودها بالكذب . .
وكانت مرة من المرات القلائل التى يتكلم فيها هاشم بكل هذا الصدق . . وبكل هذا الاحساس . . وضعفت امام صدق احساسه وقلت فى صوت هفتان :
ــ محمد فعلا عايز يتجوزنى . . بس لسه ما تجوزناش . .
قال :
ــ وكنتى مخبيه على ليه . .
قلت :
ــ كنت خايفه منك . . خايفه انك تعمل حاجه تطفش منى محمد ، وانا ما صدقت لقيت عريس كويس . .
قال يقاطعنى :
ــ ما تقولبش كده . . كل اللى تقدموا لك كانوا كويسين . . حسن كان كويس . . وفريد كان كويس . .

قلت اغاطعه :

ــ بس محمد احسن منهم .. واصغر منهم .. واصله هو دلوقتى متأكد انى سبتك خلاص .. ولو عرف انى لسه باكلمك مش ممكن يتجوزنى ، خصوصا انه لسه بيشك فى ..

قال :

ــ اخدمى عليكى يا أمينه .. بعد ده كله تفتكرى انى ممكن اقف فى طريقك .. تأكدى ان كل اللى عايزاه منى حاعمله .. مهما طلبتى ..

قلت :

ــ عايزاك تفضل زى ما انت .. وتأكد لكل الناس اننا سبنا بعض ..

قال فى استسلام لم اتعوده منه :

ــ حاضر ..

قلت :

ــ وكلها شهرين ولا تلاته واتجوز .. انا متأكده .. وفى الفتره دى حابقى أشوفك فى السر .. بس مش كتير ..

وقال هاشم :

ــ حاضر .. بس لو ما اتجوزكيش حاتعملى ايه ..

قلت :

ــ انا متاكده انه حايتجوزنى .. ولو ما اتجوزنيش بعد ده كله حانتحر .. واذا ما انتحرتش حارجع لك .. ومن غضلك سيبنى متاكده من اللى باعمله .

قال :

ــ حاضر ..

قلت :

ـــ فوت على بكره الصبح ، اشرب معايا القهوة . .

وقال هاشم وهو يضحك ضحكة صغيرة :

ـــ حاضر ...

وهكذا . . انقلب الوضع مرة خرى . . اصبحت ابدو مع محمد فى العلن ، والقى هاشم فى الخفاء . . واخفى عن محمد علاقتى بهاشم ، واقول لهاشم ما يجرى بينى وبين محمد . . أنقل اليه الأحاديث التى نتبادلها ، بل ابلغه بكل لقاء لنا . . الليله سنذهب الى السينما . . الليله كان لقاؤنا فى الشقه .

وكنت أشعر بالجهد الكبير الذى يبذله هاشم ليخفى آلام الغيرة التى تفتك به وهو يسمع اخبارى مع محمد . . وكنت اتلذذ بألمه . . كنت احس كأنى احقنه بكل آلامى التى اذاقها لى عندما كنت له وحده . .

ولم يكن هاشم يبدى تفاؤله من زواجى بمحمد . . كان يبدو عليه كأنه واثق ان هذا الزواج لن يتم . . ولكنه لم يكن يفصح عن تشاؤمه صراحة . . ربما لأنه كان يخشى أن أتهمه بالغيرة من محمد . .

وفى هذه الأيام بدأت اسمع اشاعات خافتة عن هاشم ونجوى ، قالت لى احدى صديقات أمى وكنت قد قابلتها صدفة ، ان هاشم يجرى هذه الأيام وراء فتاة اسمها نجوى . . وانطلقت الغيرة فى صدرى . . كدت أجن كعادتى ، ولكنى كتمت غيرتى . . انى على الأقل استطيع أن أسمح له بأن يتسلى مع فتاة أخرى ، الى أن يتم زواجى بمحمد . . واتصلت به بالتليفون وقلت له وانا احاول كل جهدى أن ابدو هادئة :

ـــ ايه حكايتك مع ست نجوى دى كمان . .

وقال كأنه يدافع عن نجوى لا عن نفسه :

ـــ ما ميش حاجه .. ما فبش حكايه .. دى عيانه عنــدى باعالجها .. وارجوكى .. انتى عارفه اد ايه انا بتضايق لما حد يتكلم عن عيان من بتوعى ..

قلت وأنا احاول أن ابدو ساخرة :

ـــ على كل حال انا أسمح لك تعرفها .. و ..

وقاطعنى هاشم ضاحكا :

ـــ متشكر قوى ..

واستطردت فى لهجة جادة :

ـــ بس على شرط ما تحبهاش .. انا ما باحبش محمد .. أنا بس حاتجوزه ..

وقال هاشم وآثار ضحكته لا تزال بين شفتيه :

ـــ انتى جباره ..

ثم كان يوم آخر ..

يوم راس السنة الميلادية ..

لقد قضيت ليلة راس السنة مع محمــد .. وحدنا .. فى الشقة .. وكانت أول ليلة لراس السنة اقضيها مع رجل املكه .. فان هاشم كان من عادته أن يقيم حفلة فى بيته كل راس سنة .. وخلال السبع سنوات التى عشتها معه لم يدعنى الى هــذه الحفلة أبدا .. كان يتركنى وحدى .. لأسهر مع بعض أقاربى ، او لأبقى فى البيت .. وكنت عادة أقضى الليلة باكية ، ثم ارفع عينى الباكيتين ، عندما تدق الســاعة منتصف الليــل ، وارسل لهاشــم قبلة فى الهواء .. ثم تدهمنى خيالات بأنه ربما كان فى هذه الساعة يرقص مع فتاة أخرى ، وربما قبلها عندما اطفئت الانوار .. فيشتد بكائى .. وأنام فى بحر من دموعى ..

اما هذا العام .. فان لى رجلا املكه .. استطيع ان اعوض به كل السنين التى تركنى فيها هاشم وحدى .. وعندما دقت الساعة الثانية عشرة .. قبلت محمد .. وفى نفس الوقت ارسلت قبلتى المعتادة الى هاشم فى الهواء .. ثم انطلقنا انا ومحمد نقضى ليلة مجنونة حتى الفجر .

وبمجرد أن فتحت عينى فى الصباح .. لا .. فى الظهر .. اتصلت بهاشم فى التليفون .. وقلت له وانا اتثاءب واتمطى واحس انى اسعد امرأة فى العالم :

— كل سنة .. وانت طيب ..

قال فى صوت قلق كأنه يتحفز لنقاش طويل :

— وانت طيبه .. انبسطى امبارح ..

قلت فى صوت مسترخ احاول ان اكيده به :

— ما خرجتش .. قعدت أنا ومحمد فى الشقة لوحدنا لغايه خمسه الصبح .. ولسه صاحيه من النوم دلوقت .. هلكانه يا هاشم ..

وقال كأنه يكتم غيظه :

— بالهنا والشفا ..

قلت :

— وانت عملت ايه ؟ ..

قال :

— ولا حاجة .. نمت الساعه واحده .

وفوجئت .. فقد تصورته طوال ليلة امس وهو يرقص ويضحك ويغازل النساء .. بل تصورته وقد صحب امرأة الى شقته فى آخر الليل ، وكانت هذه التصورات هى التى دفعتنى الى الاندفاع فى جنونى مع محمد .. وقلت وانا اشعر بالخيبة ..

ـــ ازاى ده .. نمت بدرى ليه ؟
قال :
ـــ الجماعه اللى كنت عازمهم كانوا معزومين فى حفلات سنيه .. وانا كنت تعبان ما رضتش أروح معاهم .. نمت ..
ومرت بيننا فترة صمت . كأن كلا منا يتحفز لشىء ينطلق من صدر الآخر .. ثم قال هاشم وهو يحاول ان يبدو هادئا جادا :
ـــ اسمعى يا امينه .. ايه رايك نبتدى سنه نظيفه ؟
وقلت فى حدة :
ـــ يعنى ايه ؟
قال :
ـــ يعنى تبتدى تعودى نفسه على انك ما تعرفيش الا محمد .. تبقى لواحد بس .. وتبطلى تشوفينى .. وتبطلى تكلمينى فى التليفون .. ونقعد على كده سنه بحالها .. والسنه الجايه زى النهارده . تكلمينى فى التليفون . وباذن الله تقوليلى خبر كويس ..
وصرخت فى وجهه وقد قفزت جالسة فى سريرى :
ـــ أنا عارفه أنت عايز ايه .. انت عايز تضعفنى قدام محمد .. وعارف انك لو سبتنى دلوقت حاضعف قدامه .. الا .. مش حاسمح لك تسيبنى . مش ممكن تسيبنى الا بعد ما اتجوزه .. ما سمحش لك ولا له انكم تلعبوا بى .. لازم واحد فيكم يتجوزنى قبل التانى ما يسيبنى ..
وقال وهو يحاول أن يحتفظ بأعصابه هادئة :
ـــ يا أمينه اعقلى .. عمر الست اللى تعرف اتنين ما تبقى قويه .. الست القويه هى الست اللى عندها مبادىء قويه ..

وما فيش مبادىء قويه تقول ان الست تعرف اتنين فى وقت واحد ..

وقلت ، وانا اصرخ :

ــ ده كلام فاضى .. المبادىء ما بقتش تنفع اليومين دول .. انا خلاص كبرت .. وبقيت واحده عمليه .. لو كانت المبادىء بتنفع كنت اتجوزتنى لما كنت كويسه ..

وقال :

ــ يا امينه انتى عارفه اننا لازم نسيب بعض .. واننا جربنا ميت طريقه علشان نسيب بعض .. ما فضلش الا اننا نقطع علاقتنا . مهما تعبنا ومهما تعذبنا .. لازم نقطع علاقتنا ..

وقلت صارخة :

ــ مش دلوقتى .. ما تفتكرش انى عابزه افضل معاك .. انما مش دلوقت ..

وقال فى حزم :

ــ انا قررت خلاص يا امينه .. وانا حاسيبك وأنا ضميرى مستريح .. أنا سايب لك فلوس تكفيكى سنتين .. وسايب لك حاجات تقدرى تبيعى فيها وتعيشى بثمنها خمس سنين .. وسايبك مع شاب كويس وبيحبك وتقدرى تعتمدى عليه ..

وصرخت :

ــ انت ما عندكش ضمير .. ومش من حقك انك تسيبنى .. مش من حقك ..

وقاطعنى قائلا كأنه يطلق على صدرى رصاصة :

ــ آسف .. إنا قررت ..

وعدت اصرخ :

ــ قررت يعنى ايه .. انت فاكر انك تقدر تستغنى عنى ..

انت دلوقتى بأه عندك اربعين سنه ، ومش ممكن تلاقى واحده زيى ، ولا واحده تحبك زى ما حبيتك ..

وسكت برهة كأنه يبتلع المه ، ثم قال فى هدوء مفتعل :

ــ مع السلامة يا أمينه .. ربنا معاكى .

والقى سماعة التليفون فى وجهى ..

وجننت ..

وعدت بيد ترتعش بجنونى أدير رقم تليفونه .. وما كاد يسمع صوتى حتى قال ثائرا :

ــ أنا قلت لك ما تضربيش تليفون الا السنه الجايه ..

ثم القى السماعة فى وجهى ..

ورفعها ..

ابقاها مرفوعة ..

مرت ساعتان والسماعة مرفوعة .. وانا ادير رقمه كل دقيقة ، منتظرة أن يعيد السماعة الى مكانها .. ومطمئنة الى ان محمد لن يلحظ أن تليفونى مشغول ، لأنه نائم فى بيته ..

وأعاد سماعة التليفون الى مكانها .. بعد ساعتين .. وما كاد يعيدها حتى كنت معه عبر الأسلاك .. وقلت بمجرد ان رفع السماعة :

ــ ما تقفلش السكه من فضلك .. أنا ما بتدلعش معاك .. أنا عايزاك فى حاجه مهمه ..

وتردد قليلا ، ثم قال فى صوت جاف :

ــ عايزه ايه ؟ ؟

قلت :

ــ عايزه فلوس ...

وكنت خلال هاتين الساعتين قد فكرت فعلا فى أن آخذ من

هاشم نقودا قبل ان يتركني .. آخذ منه ثلثمائة جنيه على الأقل ، حتى اصل بالمبلغ الذى ادخره الى الف جنيه .. ولكن لم تكن النقود فى حد ذاتها هى كل شيء ، ولكنها كانت حجة استطيع بها ان اقنع هاشم بلقائى ، ولعلنى بعد ان القاه استطيع ان اقنعه بأن يبقى لى ...

ولكن هاشم اجابنى فى وقاحة لم اتعودها منه :

ــ انا مش حاديكى فلوس بعد كده . انتى دلوقتى معاكى راجل يقدر يصرف عليكى .. روحى اطلبى منه ..

وصرخت فى حدة :

ــ يعني انت زى بقية الرجالة .. ما تدفعش الا لما تاخد قصاد اللى بتدفعه .

وقال وهو يصرخ فى وجهى كأنه يشتمنى :

ــ لا .. انا احسن من بقية الرجالة .. وبكره تعرفى ..

ثم القى سماعة التليفون فى وجهى ..

ولم اياس ..

هل فقدت كرامتى الى هذا الحد ؟

لم اكن افكر فى كرامتى .. لا اعتقد ان كرامتى كانت مشكلة بالنسبة لى أبدا .. ولكنى كنت اشعر بأنى افقد قوتى .. قوتى على هاشم وبالتالى قوتى على محمد .. وكنت احاول أن استرد قوتى ..

وبقيت احاول أن اتصل بهاشم بالتليفون خمسة أيام .. كل يوم أدير رقمه أكثر من عشرين مرة .. وهو يلقى السماعة فى وجهى ، أو يرفع السماعة من مكانها ، أو لا اجده .. ولكنى لم احاول فى هذه الأيام أن أطارده بتاكسى كما كانت عادتى . فقد بدات أخاف .. أخاف من محمد .. أخاف أن يضبطنى وانا

اطارد هاشم فيتركنى هو الآخر .. وكانت هذه هى أول مرة اخاف فيها من محمد الى هذا الحد .. لقد بدات فعلا أفقد قوتى .. وبدات مظاهر الضعف تصبغ تصرفاتى .. وأول مظاهر الضعف . هى الخوف .. سواء خفت من هاشم أو من محمد ..

اكتفيت بأن الاحقه بالتليفون ..

وكنت أعتمد على أن هاشم مهما كان مصرا على هجرى ، ومهما كان قويا فى اصراره ، فلابد أن تمر به لحظة ضعف يستريح فيها من هذا الاصرار .. لحظة يكون فيها زهقانا ، أو يائسا ، أو سكرانا .. ولو صادفته فى هذه اللحظة فانى أستطيع أن أستغل ضعفه ..

وجاءت اللحظة ..

كنت سهرانة مع محمد ، وأعادنى فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. وما كدت ادخل بيتى حتى رفعت سماعة التليفون وأدرت رقم هاشم ..

ورد علىّ ..

وسمعت فى صوته رنة الضعف ، والاستسلام .. كأنه كان يبحث عن شخص يرفه عنه .. ولم يلق السماعة عندما سمع صوتى .. بل ظل ممسكا بها دون أن يتكلم ..

وقلت فى صوت رقيق كأنى أدلك به أعصابه :

ـ مش حرام عليك يا هاشم ، تجننى لغاية ما ترد عنى ..

وقال وهو يتنهد :

ـ كان لازم اعمل كده يا امينه ..

قلت برقة :

ـ بس مش بالشكل ده يا هاشم .. الناس لازم تتفاهم قبل ما تسيب بعض .

قال :

ــ أنا يئست من التفاهم معاكى ..

قلت :

ــ بس فيه حاجات كتير لازم أقولها لك .. ده عمر طويل يا هاشم .. مش سنه ولا سنتين ..

قال فى استسلام :

ــ عايزه تقولى ايه ؟

قلت :

ــ تقدر تفوت على ؟

وتردد قليلا ثم قال :

ــ امتى ؟

قلت :

ــ دلوقتى ..

وتردد ايضــــا ، ثم قال كأنه فى حاجة الى مغــــامرة تريح اعصابه :

ــ طيب .. بعد نص ساعه حاكون عندك ..

قلت فى فرح :

ــ مستــــنياك .. ما تضربش الجــــرس .. أنا حافتح لك على طول ..

واعدت سماعة التليفون .. وقمت وقلبى يخفق بالفرحة .. فرحة الانتصار .. ودخلت الحمام ، واستحممت بماء فاتر .. ثم ارتديت قميص نوم من الحرير .. وسرحت شـــعرى وتركته سائلا على كتفى .. وتعطرت بعطرى الذى يحبه هاشم وانتظرته وراء الباب .. وما كدت أسمع صوت أقدامه حتى فتحت له ..

ولم اضيء النور .. وسحبته من يده الى غرفة النوم .. وانا اهمس :

ـ ما تعملش صوت .. احسن البت الخدامة تصحى ..

ولم يكن هذا صحيحا .. فخادمتى كانت مستيقظة ولكنى نبهت عليها ان تدخل حجرتها ولا تخرج منها ..

ورقدت على فراشى .. وقميص النوم يكشف عن لحمى .. وشعرى ملقى فوق الوسادة .. وعطرى ينطلق ويشد هاشم من انفه الكبير ..

وجلس هاشم على حافة الفراش ، ومد يده والتقط ولاعة سجائر ذهبية موضوعة فوق الكومدينو .. وكانت هدية من محمد ومنقوش عليها الحرفين الأولين من اسمى واسمه وقال وهو يعبث بها :

ـ دى هديه من محمد ؟

ـ آ .. حلوه ؟ ..

قال وهو يشعل الولاعة كأنه يحرقنى بها :

ـ انتى عبيطه .. بتجرى وراء الحاجات الصغيرة ..

قلت كأنى أغيظه :

ـ ده بيجيب لى هدايا كتير قوى ..

قال :

ـ وحناتتجوزوا امتى ..

قلت :

ـ لما توافق امه ..

قال :

ـ واذا ما وافقتش امه ..

قلت :

ـــ برضه حانتجوز ..

قال :

ـــ طيب اعملى حسابك انها مش حاتوافق ..

قلت :

ـــ ليه ؟

قال وهو يهز كتفيه :

ـــ لأنها مش ممكن توافق ..

قلت :

ـــ لا .. حاتوافق .. انت ما تعرفش اد ايه هى بتحب ابنها .. واد ايه ابنها بيحبنى ..

وابتسم هاشم ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـــ ابنها بيحبك صحيح ، بس ما اظنش انه حا يتجوزك ..

قلت وانا انظر اليه كأنى أتحفز للدفاع عن نفسى :

ـــ ما يتجوزنيش ليه ؟

قال :

ـــ لأن مافيش راجل عاقل يتجوز بالطريقه دى ..

قلت :

ـــ أمال الراجل العاقل يتجوز ازاى ؟ ..

قال :

ـــ يتجوز البنت اللى تقنعه بأنها عاقله .. وانتى أقنعتى محمد بانك مجنونه ..

قلت فى حدة :

ـــ محمد فاهمنى كويس .. فاهم انى واحده صريحه . مش مجنونه . أنا ما بعملش اكتر من اللى بتعمله البنات التانيه

.. بس ما خبيش .. صريحه .. ما بضحكش عليه وافهمه غير حقيقتى ..

قال وفى عينيه اشفاق :

ـــ ما تقفيش لوحدك يا أمينه فى الموضوع ده .. ما تكرريش غلطتك معايا ..

قلت فى زهق :

ـــ يعنى عايز أعمل ايه ؟

قال :

ـــ أنا من رايى تصالحى جوز مامتك وتروحى تقعدى فى بيته .. علشان محمد يحس انك مش سايبه .. وان لك عيله ..

قلت وزهقى يزداد :

ـــ يا حفيظ يا رب ، ده انا اتخنق لو قعدت مع جوز أمى يوم واحد .. وبلاش تكلمنى فى الموضوع د ، لأنى مش حاسمع كلامك ..

قال :

ـــ لك حق ..

ومرت بيننا فترة صمت طويلة ، وهاشـــم ينظر فى وجهى كأنه يبحث فيه عن فتاة كان يعرفها ، ثم قال :

ـــ وانتى مبسوطة دلوقتى ؟

قلت :

ـــ مبسوطة لأنى قدرت أخليك تيجى .. مش انا شاطره ..

وعاد هاشم يبتسم ابتسامته الساخرة وقال :

ـــ وعايزه تقوليلى ايه ؟

قلت وأنا انظر فى عينيه المنتفختين :

ـــ عايزاك تبوسنى .

ونظر الى هاشم طويلا ، ثم قام وهو يتنهد كأنه يؤدى واجبا ثقيلا ، وخلع سترته ، ثم عاد الى ، وأخذنى بين ذراعيه وقبلنى ..

ولأول مرة أحس أن شفتيه تاهتا عن شفتى ..

كأنه لا يعرف موضع قبلتى ..

القبلة التى عودنى عليها كل هذه السنين الطويلة ..

وأحسست أنه يضغط على أعصابه ، ليفتعل الحماس ..

وبدات انا الأخرى افتعل ..

افتعل الحماس .. وافتعل التفانى .. وافتعل آهاتى .. لعلى ارضيه .. لعلى أعيده كما كان .. ولكنه ليس كمحمد الذى كنت فى أحضانه منذ اقل من ساعتين .. انه بارد .. لا يكلف نفسه أن يهتم بحاجتى اليه .. انه يأخذنى فى زهق ..

وقام وارتدى ثيابه بسرعة ..

وعاد يجلس على حافة السرير ، وقال وهو ينظر الى فى شفقة :

ــ احنا اتغيرنا ياأمينه .. ما بقيناش زى الأول ..

قلت :

ــ أنا ما تغيرتش .. وانت عارف الحاجات دى ما تهمنيش ..

قال :

ــ أنا عايز اكلمك بصراحه يا أمينه .. انتى عارفه أنا جيت لك الليلة دى ليه .. لانك قبل ما تكلمنى فى التليفون .. كنت قاعد اكلم نفسى ، وكان متهيالى انى ظلمتك .. كنت باقول لنفسى انى ما كانش لازم اسيبك وجيت مخصوص علشان أؤكد انى ما غلطتش .. انك انتى الى غلطتى .. انتى مش كويسه يا امينه .. ما تقدريش تبقى كويسه .. ما تقدريش تصونى كرامة اى راجل

.. انتى كنت متجوزه وبتخونى جوزك معايا .. وبعدين انخطبتى واحد وخنتيه برضه .. وبعدين اتجوزتى واحد تالت وخنتيه .. وكنتى بتحبينى وتخونينى .. ودلوقتى بتحبى واحد تانى وبتخونيه برضه .. يبقى مش معقول الـــ ..

وقاطعته :

ــ انا كنت باعمل كل د علشان خاطرك .. كل اللى عملته ده كان بسببك ..

قال فى هدوء :

ــ مش علشان خاطرى يا امينه .. انت عمرك ما عملتى علشان خاطر حد ..

قلت وانا اصرخ :

ــ انت سافل .. انا ضحيت بكل حياتى علشان خاطرك .. ولو كنت اتجوزتنى كان زمانى بقيت كويسه ..

قال فى صوت بارد :

ــ لو كان ممكن تبقى كويسة كنت اتجوزتك ..

قلت وانا انهار ضعفا :

ــ انا مش عايزه اتجوزك دلوقتى يا هاشم .. عارفه ان مش ممكن تتجوزنى .. بس خليك معايا لغاية ما اتجوز محمد ..

وابتسم ابتسامة لا معنى لها ، ثم قام واقفا :

ــ تأكدى لو كان فيه حاجه ممكن اعملها ، كنت عملتها ..

وخرج ..

وجريت وراءه الى باب الشقة ، وتعلقت فى رقبتـــه وقبلته .. وازاحنى عن صـــدره فى رفق .. ونظر فى وجهى ، ثم عاد واحتضننى ، وضمنى الى قلبه فى هدوء ، وترك خده فوق خدى فترة ، ثم قبلنى فوق جبينى .. وابعدنى عنه ..

وقلت له قبل أن اغلق الباب وراءه :

ــ هاشم .. بكره حا اضرب لك تليفون .. وترد على ..

قال :

ــ بإذن الله ..

وخرج ..

واحسست أنه خرج من حياتى الى الأبد .. وحاولت أن أبعد هذا الاحساس .. حاولت ان أثق بقوتى على الاحتفاظ به . واستعادته كلما هم أن يتركنى .. ولكن موجة من الضعف كانت تزحف علىّ ..

انى ضعيفة ..

والقيت نفسى فى فراشى وبكيت ..

ــ ٧ ــ

بدأ هاشم يتبع طريقة جديدة ليتخلص منى ..

لم يعد يلقى فى وجهى بسماعة التليفون . لم يعد يهرب .. كان يرد على فى التليفون بكلمات رقيقة ويضحك ويدللنى كأنه لم يحدث شىء بيننا أغضبه منى .. وكنت أروى له أخبارى مع محمد . فيسمعها باهتمام الصديق الوفى ، ويحل لى مشاكلى ، وينصحنى كأنه فعلا صديق وفى .. ثم .. عندما أطلب لقاءه يقبل بسرعة .. ويحدد لى موعد اللقاء .. ثم .. قبل الموعد بساعة أو ساعتين يعتذر .. ويعتذر فى رقة :

ــ آسف يا أمينه .. جاءت لى حاجه مستعجله .. معلهش .. مره تانيه .. اضربيلى تليفون بكره ..

وتكرر اعتذاره ثلاث او اربع مرات .. وبدات اكتشف خطته .. وقلت له فى التليفون :

ــ انا عارفه يا هاشم . انت مش عايز تشوفنى ..

رد فى حرارة كاذبة :

ــ ابدا يا أمينه .. وحياتك مشغول .

وقلت فى مسكنة :

ــ طيب فوت على دلوقت ، وانت رايح للعيـــان بتاعك .. دقيقه واحده بس ..

وقال بنفس الحرارة الكاذبة :

ــ مش ممكن يا أمينه .. انتى عارفه ..

وقلت وانا أكاد ابكى :

ــ اللى تشوفه يا هاشم ..

وازداد ضعفا يوما بعد يوم .. احس انى فقدت تاثيرى على هاشم .. واحس بالخوف من أن أفقد تأثيرى على محمد أيضا ..

وكنت فى هذه الأثناء استعمل كل ما بقى فى من قوة للضغط على محمد حتى يتزوجنى .. ومحمد يتعلل بمختلف الأعذار .. ويؤكد لى ان امه على وشك الاقتناع .. وانا احتار فى تصديقه .. ولكنى مضطرة ان اصدقه .. ليس لى طريق آخر الا ان اصدقه ..

وفى يوم . ادرت رقم تليفون هاشم فسمعت الجرس يرن ، ثم لم يرد احد .. وكررت الاتصال به .. والجرس يرن .. ولا احد يرد .. وفى اليوم التالى ، الجرس يرن ولا يرد أحد ..

لقد غير رقم تليفونه الخصوصى .. الرقم السرى .. السافل .

وحاولت الاتصال به فى تليفون العيادة العام ، ولكن التومرجى هو الذى يرد دائما ، او الممرضة اليونانية ، وكلاهما يعـــرفان

صوتى .. وكل منهما يعتذر لى بأن الدكتور مشغول .. كأنهما تلقيا أمرا بطردى كلما سمعا صوتى ..

وحاولت الاتصال به فى بيته .. فى كل ســاعة يخيل الى انه فى بيته .. حتى فى الساعة الثانية صباحا .. فى الخامسة صباحا .. ولكنه لا يرد أبدا .. لم يعد يضع التليفون بجانب فراشه كما تعود .. ان التليفون بجانب فراش أختــه .. هى التى ترد دائما .. وأعيد السماعة بمجرد أن أسمع صوتها .. انى لا زلت أكرهها .. أكرهها .. وبدأ عذاب كبير يزحف على ..

صحيح انه مضى على أكثر من شهر لم ألتق فيه بهاشم .. ولكن صوته الذى كنت أسمعه فى التليفون كان يحتفظ لى بالأمل فى انه لا يزال بجانبى .. لا يزال لى .. بل انى كنت قد بدأت أفكر جديا فى أن اقطع علاقتى بمحمد ، وأعود لهاشم بكلى .. فهاشم يريحنى أكثر من محمد .. وأشعر بجانبه باطمئنان أكبر .. وهو لا يكذب على ، وقد بدأت أشــك فى أن محمد يكذب علىّ .. يغرر بى .. يشدنى وراءه بوعد لن يحققه ..

ولكن هاشم حرمنى من صوته ..

حتى صوته حرمنى منه ..

حرمنى من مجرد الأمل ..

وعندما أحسست أنى فقدته ، عادت مسامى كلها تتفتح له .. عادت أعصابى كلها تناديه .. وأشعر بالاختناق .. وأتلوى فى فراشى كأنى راقدة فوق جمر النار ..

انى أتعذب ..

أختنق ..

هل يمكن أن يكون هذا هو الحب ؟

لا .. لا يمكن .. انه ليس الحب .. لا يمكن أن يكون هذا

حبا .. لا يمكن أن أكون حتى اليوم أحب هاشم الى حد ان اتعذب كل هذا العذاب .. بعد كل ما فعله بى .. وبعد كل ما فعلته به .. حتى لو كنت قد أحببته يوما ما فان ما حدث بيننا كان كفيلا بأن يذيب هذا الحب .. يمزقه .. يقتله ..

لا ليس الحب ، انه التعود ..

انى مرتبطة به بحكم العادة .. عقلى تعود عليه .. جسدى تعود عليه .. اسلوب حياتى كلها يعتمد على التعود عليه ..

والتعود اقوى من الارادة ..

ان الذى يتعود على الحشيش يعلم أنه يزهق أنفاسه .. والذى يتعود على الكونيك يعلم أن الكونياك يكوى أمعاءه .. ورغم ذلك لا يستطيع أن يستغنى عن الحشيش أو عن الكونياك .. لأن العادة أقوى من الارادة ..

واذا كان تعودى على هاشم يسمى حبا ، فانى احبه كما يحب الحشاش الحشيش .. وكما يحب السكير الكونياك ..

واكتشفت أن محمد لم يستطع ان يشفينى من هذه العادة .. لم يستطع أن يشفينى من هاشم .. لقد خيل الى يوما ما انى شفيت منه .. وأن محمد شفانى .. ولكن الآن .. وبعد أن تركنى هاشم فعلا .. عاد سلطان التعود يسيطر على بكل جبروته .. بكل حدته .. أصبحت أركب بجانب محمد فى سيارته وعيناى زائغتان فى الطريق تبحثان عن هاشم ، لعلى أتزود منه بنظرة .. واجلس مع محمد وعقلى سارح وراء هاشم .. وأنام فى أحضانه فأحتاج لكل ارادتى حتى أنسى هاشم وأتفرغ له ، ولم أكن دائما أستطيع .. ثم لا يكاد محمد يتركنى وحدى حتى يهجم على ريح هاشم بكل قوته .. واحس بصوته يملأ اذنى .. واحس برائحته

تملأ انفى ، واحس بلمساته فوق كل قطعة من جسدى .. اتلوى .. اجرى الى محمد لعلى انسى فيه هاشم ..

ولم اكف عن محاولتى لاستعادة هاشم ..

ارسلت له خطابا ، لا زلت حتى اليوم اذكر كلماته .. قلت له فيه :

« هاشم حبيبى ..

« انت تعلم انى احبك .. ولا زلت احبك .. اكثر من روحى .. اكثر من ابنتى .. اكثر من اى شىء فى الدنيا .. وقد ضحيت بكل شىء فى الدنيا لانى احببتك .. ضحيت بابنتى وبعائلتى ، وبمستقبلى ، وبالناس .. ثم اخطأت .. انى اعترف لك انى اخطأت .. ولكن كن رحيما وتذكر انك انت الذى دفعتنى الى الخطأ .. وقد صفحت عما فعلته بى .. فكن كبيرا واصفح عما فعلته بك .. واعدك بمجرد عودتى .. عودتى اليك .. انى سأكفر عن خطئى .. ستجدنى فتاة اخرى .. فتاة تحبك اكثر .. وتحرص عليك اكثر .. والمثل يقول : الطبق المشروخ يعيش اكثر .. وقد شرخ حبنا ، ولكنه سيعيش .. سيعيش اكثر .. ارجوك .. دعنى اعود اليك » ..

وارسلت له الخطاب بالبريد المسجل على عنوان العيادة ..

ولكن هاشم لم يرد على ..

السافل ..

المجرم ..

واشتد عذابى بعد ان ارسلت له هذا الخطاب .. احسست انه امتص كرامتى .. انه اذلنى اكثر مما ذللت له .. عذاب تنطلق فيه نار الغيظ .. الغيظ من السافل الاكبر .. دكتور السفالة .

ولكن ..



كان لا يزال فى بقية من كرامة يجب ان ابذلها .. قبل ان استسلم لليأس ..

اتصلت بصديقه رؤوف ، الذى التقيت مع هاشم فى شقته اكثر من مرة .. وبكيت له فى التليفون .. بكيت بحرقة .. كان يكفى ان اسمع صوتا قريبا من صوت هاشم ، لأستريح من كل دموعى .. وقلت له ان هاشم تركنى لأنى عرفت شابا يريد ان يتزوجنى .. وانى مستعدة ان اترك هذا الشاب ، بل قلت له انى تركته فعلا . وانى الآن اريد هاشم .. يجب ان يعود الىّ .. انه مسئول عنى .. ليس من حقه أن يتركنى فى الحياة وحدى ..

واشفق رؤوف علىّ ..

كاد يبكى معى .. انى استطيع دائما عندما اروى قصتى ان اثير شفقة الناس على ..

ووعدنى أن يتصل بهاشم ، ويرد علىّ ..

وغاب ثلاثة أيام ، ولم يرد علىّ .. فعدت واتصلت به مرة ثانية ، وقال لى بصوت حزين :

ـ آسف يا أمينة هانم .. هاشم مصمم على موقفه .. والحقيقة انه اقنعنى بأن ده أحسن لك ..

وصرخت :

ـ احسن لى انه يقعد معايا سبع سنين ، وبعدين يرمينى زى الكلبه ..

وقال رؤوف فى حنان :

ـ انتى عارفة يا أمينه هانم ان هاشم مش حايتجوز .. وانتى استحملتيه كتير من غير فايده .. يبقى احسن انكم تنتهوا من الحكايه دى ..

وقلت وانا اشهق بالبكاء :

ـــ طيب من فضلك ادينى نمرة تليفونه الخصوصية ..

وتردد رؤوف ثم قال :

ـــ آسف .. ما اعرفهاش ..

ثم تردد مرة اخرى واستطرد قائلا :

ـــ الحقيقة انى اعرفها بس ما اقدرش اقول لك عليها .. لازم استأذنه الاول .

قلت :

ـــ بلاش .. مش عايزاها ..

والقيت سماعة التليفون ..

وعدت الى العذاب ..

عذاب قلبى المشروخ .. وعقلى المشروخ .. وجسدى المشروخ .. والشروخ ينزف منها الألم .. وتنزف منها ارادتى .. قوتى .. وتنزف منها كرامتى ..

ومضت اربعة شهور لم استطع خلالها ان اتصل بهاشم فى التليفون .. ولم اره .. ولا حتى صدفة .. لم اكن اعتقد ان القاهرة واسعة الى هذا الحد .. واسعة الى حد ان يتوه فيها هاشم منى .. ثم رايته مرة واحدة فى سيارته .. فى طريق مصر الجديدة .. وبجانبه فتاة .. لابد انها نجوى .. ان الأوصاف التى سمعتها عنها تنطبق على الفتاة التى رايتها .. انها جميلة .. ولكنى اجمل منها .. هل انا اجمل منها حقيقة .. لا ادرى .. لا ادرى .. فانى فقدت الثقة فى نفسى .. فى جمالى .. وعندما رايتهما انشق قلبى .. احسست بالسنة النار تنطلق فجاة فى كيانى .. وقضيت يومين ابكى .. واشرد .. وسكين من الالم يمزقنى .. وتمنيت يومها الا ارى هاشم مرة ثانية .. لا اريد ان اراه .. لا اريد .. حتى لا يثير فى كل هذا العذاب ..

وكان يجب ان اياس ...

اياس من هاشم ...

ولكى اياس ، يجب ان اكرهه .. اكرهه بكل طاقتى .. وبدات اقنع نفسى بكراهيته ... كرهت كل يوم من ايامى معه .. ونسبت اليه كل مصيبة حلت بى .. هو الذى ضيع عمرى .. هو الذى تركت من اجله زوجى .. ثم خطيبى .. ثم زوجى الثانى .. هو الذى ضيع منى ابنتى .. هو الذى عرضنى لكل هؤلاء الرجال الذين مروا فى حياتى وعبروا على جسدى .. هو الذى افقدنى عائلتى .. سمعتى .. الناس .. افقدنى كل شىء .. ولم يفقد هو شيئا .. لم يفقد دقيقة واحدة من عمره .. عجزت عن ان افقده شيئا .. لقد تركته فى اخر يوم من ايامه ، كما كان فى اول يوم التقيت به .. هو هو .. بل كبر .. كبر فى عين الناس كطبيب ، واصبح مشهورا اكثر ، ويكسب اكثر .. انا وحدى التى تغيرت .. انا التى دفعت كل الثمن .. انى اكرهه .. اكرهه .. وتستبد بى الكراهية الى حد ان اتمنى موته .. وتتوالى امام عينى صور للانتقام منه ..

ولكنى عاجزة عن الانتقام .. فارفع راسى الى السماء واصرخ من كل قلبى : « يارب انتقم لى منه » .. ثم ادفع محمد ليتحدث عنه حتى يملأ اذنى بشتيمته ، ويصوره لى وحشـــا ادميا ياكل البنات .. لعلى بذلك اقتنع بكراهيتى له ..

ولكنى اكتشفت ان الكراهية كالحب .. كلاهما ذروة من ذرى العاطفة .. كلاهما يضعك دائما امام الشخص الآخر .. يذكرك به .. ويعذبك بذكراه .. واكتشفت انى اكره هاشم لانى لازلت احبه .. وكلما ازددت كراهية له ، ازددت حبا ..

لا .. لن اكرهه ...

سأنساه ..

وبدأت احس لسانى عن ذكر اسمه .. واتجاهل الأشياء التى تملأ بيتى وتذكرنى به .. انظر اليها بعينين ميتتين كانى أنظر الى اشياء ليس لها حقيقة فى عمرى .. وبدأت ابتعد عن كل صديقة من صديقاتى يمكن أن تحدثنى عن هاشم .. بل كنت اتعمد الا أمر فى ميدان سليمان باشا حتى لا تقع عيناى على اليافطة التى تحمل اسمه والمعلقة فوق باب العمارة .. وحتى لا تقع عيناى على سيارته .. وبدأت أيضا اتجاهل عواطفى التى تثور فى صدرى ، ولا احاول أن اناقشها .. كأن هذه العواطف عواطف فتاة أخرى ليس لى شأن بها .

انى فى معركة .. معركة مع نفسى .. معركة اشق ما فيها هى الأشياء الصغيرة .. ان هاشم ليس شيئا واحدا .. انه ملايين الأشياء الصغيرة .. اشياء كنت أعتقد أنى نسيتها من زمان ، ولكنها تقفز الآن الى خاطرى واحدة بعد الأخرى .. تقفز ساخنة حية .. كلمة سبق ان قالها لى .. بيجامته المخططة .. الطريقة التى يمشط بها شعره .. دخان سيجارته وهو ينطلق من انفه الكبير .. اصابعه الرفيعة الطويلة .. الخاتم الأخضر الذى يضعه فى اصبع من يده اليمين .. ضحكته .. اسنانه .. الطريقة التى يمضغ بها الطعام .. و .. و .. ذكريات لا تنتهى .. ملايين الأشياء الصغيرة ، كان على أن احاربها ، حتى اقتلها .. فلا تعود تنغص على عيشتى ..

وكان على حتى اتخلص من تعودى على هاشم ، ان اتعود على محمد وحده ..

انى لم أتعود بعد على محمد وحده .. لم اكن له وحده ابدا .. كان هاشم دائما معه .. بل ان هاشم كان مع كل رجل عرفته

.. ليس فى حياتى رجل تعودت عليه وحده الا هاشم عندما كنت مخلصة له فى السنوات الأولى من معرفتى به ..

وبدأت أرسم حياتى لأكون لمحمد وحده ، واتعود على هذه الحياة ..

ولكن محمد تغير ...

ربما لأنه أحس بأنى ازددت حاجة اليه .. أحس بضعفى بعد أن تركت هاشم .. وقد كنت أحاول جهدى أن أخفى ازدياد حاجتى اليه ... أخفى ضعفى .. كنت أحاول أن أظل محتفظة بقدرتى على السيطرة عليه .. ولكنى يوما بعد يوم ، بدأت أكتشف أن محمد ليس ساذجا كما كنت أعتقد .. وليس ضعيفا .. وليس مهذبا ولا مؤدبا .. انه سخيف .. أحيانا يصل فى سخافته الى حد لا يطاق ... سخافة الشباب المغرور .. وانا التى ملأته بالغرور ... لقد أعطيته أكثر مما كان ينتظر ، فاغتر .. وبدأ فى نوبات غروره يحدثنى عن زواجنا بلهجة جديدة ... وبدأ يحاسبنى من جديد على علاقتى بهاشم .. ثم انطلق مرة أخرى يعلن لى انه يعلم انى لم اكن متزوجة بهاشم .. أعلنها كأنه كان يختزنها فى صدره مدة طويلة .. ثم بدأ يبعدنى عن أصدقائه وزوجاتهم بعد أن عودنى على الاندماج فيهم ، حتى يظل محتفظا بأملى فى الزواج به .. حتى يجعلنى اشعر بأننا فى يوم ما سنكون مثل هؤلاء .. زوجا وزوجة .. انه يخيفنى الآن .. يبتعد بعلاقتنا عن المجتمع .. كأنها شىء لن يعترف به المجتمع أبدا ..

ولم أكن أسكت على هذه السخافات دائما ، كنت أقاومها بعنف ... وكنت أخاصمه أياما .. ومرتين أو ثلاث مرات جننت .. وفى جنونى عدت أحاول أن أتصل بهاشم كأنى أستغيث به .. أدرت رقم تليفونه .. الرقم القديم الذى أعرفه .. ثم

افقت برهة لأذكر نفسى بأن الرقم قد تغير .. فعدت اتصل به فى البيت .. وصحت فى وجه اخته :

ــ ادينى اخوكى .. خلينى اكلمه .

وردت اخته كأنها لا تعرفنى ، ولا تريد أن تعرفنى :

ــ آسفة يا افندم .. الدكتور مش موجود ..

ثم القت السماعة ..

وصرخت ..

صرخت يومها كثيرا ، وانا اشد شــعرى .. والطم على خدى .. كنت أصرخ على خيبتى .. على غبائى .. على ضعفى . كنت أصرخ لأنى فقدت هاشم ، ولم اتزوج محمد ..

واخيرا ..

استسلمت ..

اقنعت نفسى بأنى لن اتزوج محمد .. ما حاجتى الى الزواج من محمد أو من غيره .. كده احسن .. لا ينقصنى شىء .. عندى بيت ، ورجل .. كل ما ينقصنى ورقة .. ورقة ليس لها قيمة .. انها ورقة .. ورقة تطلق البرودة والجفاف والملل فى حيــاة كل رجل وامرأة يملكانها .. ورقة لا يمكن أن تزيدنى شيئا ، ولا يمكن ان تحمينى من شىء .. ورقة يستطيع الرجل أن يمزقها فى أى وقت ، ثم يدفع المؤخر والنفقة .. وانا آخذ المؤخر مقدما .. والنفقة ..

وبدأت آخذ نقودا من محمد .. ولكن محمد لا يدفع بنفس البساطة التى كان يدفع بها هاشم .. انه يحسب حســاب كل قرش .. ويحس بكل قرش .. ويطالبنى بالبضــاعة كاملة يطالبنى بكل دقيقة من عمرى ..

وكنت قد اتفقت مع محمد على أن يغير شقته التى تقــع

بجوار شقة هاشم .. حتى ابتعد عن كل ما يثير ذكرياتى .. ويثير احساسى بالأشياء الصغيرة ..

واستأجر محمد شقة فى مصر الجديدة .. وتليفون ..

وبعد مدة ، تركت الشقة التى يستأجرها لى ابى .. قطعت اخر خيط يربطنى بعائلتى .. وانتقلت الى شقة محمد .. عشت فيها .. عدت الى مصر الجديدة .. الحى التى تركته وانا ابنة عائلة كبيرة محترمة ، عدت اليه بلا عائلة .. لا كريمة ولا محترمة ..

وعشت فى وهم نسجته من خيالى .. اوهمت نفسى ان هذا البيت بيتى .. وان هذا الرجل زوجى .. وان سيارته سيارتى .. وعزبته عزبتى .. ونقوده نقودى .. واشتريت دبلة زواج من الماس نقشت فى داخلها اسم محمد وعلقتها فى اصبعى .. ولم اكن فى كل هذا احاول ان اقنع الناس بانى تزوجت محمد .. لا .. لم اعد اهتم بالناس .. ولكنى احاول ان اقنع نفسى .. كنت احاول ان اضحك على نفسى ..

وليس معنى ذلك انى طمأنت محمد الى انى لن اتزوجه .. لا ..

كنت لا زلت اطالبه بالزواج .. وكنت اخفى يأسى واستسلامى فى صدرى .. ولكنى بينى وبينه اتمسك بالأمل ، والح فيه .. ولكن هذا الأمل اصبح مفهوما على انه مجرد تبرير لعلاقتنا ..

وما كنت أحرص عليه أكثر من الزواج ، هو الا يتزوج محمد غيرى .. كان هذا الاحتمال يجننى .. وكنت احرص على ان يعرف كل المجتمع الراقى بعلاقتنا ، حتى أسىء الى سمعة محمد بين العائلات الكبيرة ، فترفض العائلات الكبيرة تزويجه من بناتها .. وكانت امه تسعى فعلا الى ان تخطب له .. كنت أسمع عن

تنقلاتها بين البيوت كأنها تستجدى فتاة تنقذ بها ابنهـــا منى .. وكنت اقول لمحمد ان امه تخطب له .. فيرد فى برود :

ــ خليها تعمل اللى هى عايزاه .. المهم انا .. وانا مش حاتجوز .. انتى عارفه ان مش ممكن اتجوز غيرك ..

ولكنى لم اكن اسكت ..

كنت اثور .. واطالبه بأن يضمن لى مستقبلى .. وأن يتزوجنى رغم ارادة امه وعائلته .. وكنت اغالى فى ثورتى حتى أزهق أنفاسه .. ولكنه لم يتزوجنى .. وجـــد حلا آخر .. كتب لى كمبيالة بخمسمائه جنيه تستحق الدفع عند المطالبة .. حتى أطمئن الى انه لن يتركنى .. واذا تركنى استطيع ان أطالبه بالكمبيالة ..

وكتب كمبيالة اخرى ..

وثالثة ..

اصبحت قيمة الكمبيالات التى كتبها لى الف وخمسمائة جنيه .. اكبر من مؤخر صداق اى فتاة من اى عائلة كبيرة ..

ورغم ذلك كنت خائفة ..

الخوف فى قلبى دائما ..

وكنت فى حالات كثيرة اتمرد على هذا الخوف .. ولكن الخوف يعود ويغلبنى .. كنت اخاف ان افقد محمد .. وكانت تجربتى السابقة مع هاشم تزيدنى خوفا .. لقد فقدت هاشم وكنت أعتقد انى لن افقده ابدا .. وقد افقد محمد ايضا .. وكان هذا الخوف يجبرنى على الاخلاص لمحمد .. خصوصا ان محمد ليس كهاشم .. هاشم كان مشغولا عنى .. ولم يكن يعيش معى .. ثم انه كان يقنعنى دائما بانى حرة استطيع ان افعل ما اريد ، ولا يربطنى بشىء اكثر من رغبتى فى الارتباط به .. ولكن محمد ليس مشغولا عنى .. انا عملة الأساسى .. وهو يعيش معى .. ويحاسبنى

على كل لفتة وكل نظرة .. ويطالبنى بكل نفس من أنفاسى نظير كل مليم ينفقه على ..

مرتين فقط استطعت أن اغلب الخوف .. وانطلق الى رجل آخر ..

مرة انطلقت مع حسن .. خطيبى السابق .. انه لا يزال الرجل النبيل الذى يذكر تاريخ ميلادى ، وتاريخ اعلان خطوبتنا ، وتاريخ فسخ خطوبتنا .. ويحدثنى فى كل مناسبة بالتليفون .. ويرسل اى هدية .. وهو الوحيد الذى أصبح موضع سرى .. وأشكو له من محمد .. وأثق فى اخلاصه .. ورغم ذلك لم أكن له خلال هذه المدة الا مرة واحدة .. انه صاحب حق على ..

والمرة الثانية كانت صدفة .. كانت مع شــاب لبنــانى .. التقيت به عندما ذهبت الى زيارة صــديقتى سميحة .. واسمها « سمح » .. كنت يومها قد استأذنت محمد لأنزل الى البلد لأطوف بالدكاكين .. ولكنى وجدت نفسى زهقانة ، فمررت على سمح فى بيتها بشارع معروف .. وكان هذا الشــاب هناك .. وأخذ يعلمنى رقصة التويست .. و ضحكت كثيرا .. وشجعتنى سمح ، كى أضحك أكثر .. ثم تركتنى له .. وخرجت لتذهب الى مدام ليلى الخياطة لتجرى بروفات على الثوب الذى ســتظهر به فى الديفليــه .. ان ســمح تشتغل مانيكان .. وكنت لازلت فى حاجة لأن اضحك اكثر .. وارقص اكثر .. واتحرر من الخوف .. وتركت الشاب اللبنانى يحررنى .. انى لا أذكر الآن اســمه .. ولم أره من يومها ..

وأكثر من هذا ، لا شىء .. كنت مخلصة لمحمد .. اخلاصنا دام عامين .. وحب هاشم تقلص وتحجر الى أن أصــبح كأنه « كاللو » فى قلبى .. لا يؤلمنى الا كلما ضغطت عليه بالذكريات

.. تماما كما يؤلمنى الكاللو الذى فى اصبع قدمى عندما يضغط عليه الحذاء ...

ثم ...

تزوج محمد ...

قرأت خبر زواجه فى الصحف ..

لقد كان معى فى اليوم السابق على زوجى .. ونام عندى .. وفى الصباح ابلغنى أنه مسافر الى العزبة .. وفى الصباح التالى قرأت خبر زواجه ..

وسقطت باردة كالثلج ..

جننت .. ولكنه جنون من نوع جديد .. جنون بارد .. اخطر وأشد الما من الجنون الصارخ .. ثم فكرت فى أن اقتل محمد ... ومرت على صور كثيرة للانتحار ..وصور كثيرة للقتل ...

ولكنى لم أنتحر ..

ولم اقتل محمد ...

ظللت ملقاة على ظهرى .. باردة كالثلج .. وعيناى معلقتان فى السقف .. وانا أشعر بكل شىء يتغير فى .. اشعر ان شيئا فى عقلى يتغير .. وشيئا فى صدرى يتغير .. وشيئا فى معدتى يتغير .. بل اشعر أن دمائى تجرى فى قنوات جديدة .. سرعتها تتغير .. ولونها داخل عروقى يتغير ...

ونوبة الجنون تخف .. يخففها انى فى كل يوم كنت أنتظر اليوم الذى يتزوج فيه محمد ..

ومضى يومان لم أحاول خلالهما أن أتصل بمحمد او ابحث عنه .. وفى اليوم التالى اتصل بى هو بالتليفون .. وسمعت صوته باعصاب باردة ، وقلت وشفتاى تتحركان كقطعتى خشب :

ـــ مبروك يا محمد ..

وانطلق قائلا كانه يبكى :

ـــ اعذرينى يا ميتو .. انتى عارفه اد ايه انا قاومت .. لغاية امي ما جات لها ذبحه وكانت حاتموت .. وكان لازم اسمع كلامها واتجوز ..

وقاطعته فى صوت كالخشب :

ـــ على كل حال .. ده حقك يا محمد ..

قال فى حرارة :

ـــ لأ .. مش من حقى .. انا عملت كده علشان انقذ حياة امى .. انا ما بحبش الا انتى .. ومش عايز اتجوز .. اللى جوزوهالى مش طايقها .. مش قادر ابص فى خلقتها .. لو عرفتى حالتى حاتعرفى انى متعذب اكتر منك ..

قلت :

ـــ مسكين ..

قال :

ـــ ما تعملنيش كده يا ميتو .. اشتمينى .. العنى ابويا .. بس ما تعملنيش كده ..

قلت :

ـــ انت عارف ان عمرى ما احب اشتم حد ..

قال :

ـــ ميتو .. انا لازم اشوفك ..

قلت وانا اهز كتفى بلا مبالاة :

ـــ وماله .. تعالى ..

قال فى حماس :

ـــ مسافة السكه حاكون عندك ..

ولم اهتم بأن اتزين له ..

بقيت في فراشي كما استيقظت من النوم .. وجاء بعد عشر دقائق .. وانطلق في البيت يبحث عني الى أن اصطـــدم بعيني الباردتين ..

وقلت في فتور :

ــ جبت الألف وخمسميت جنيه ..

وبوغت .. كأنه قد نسى الكمبيالات .. وقال وهو يتلعثم :

ــ هو ده كل اللي يهمك يا ميتو ..

قلت في بساطة :

ــ تعتقد ان فيه حاجه تانيه ممكن تهمني ..

قال وهو يجلس على حافة الفراش :

ــ دينا ...

قلت في وقاحة :

ــ نتكلم في الفلوس ..

قال :

ــ انا عايز أؤكد لك يا امينة ان ما فيش حاجه حا تتغير بينا .. حانفضل زي ما احنا .. وحافضل مسئول عنك .. مش معنى اني اتجوزت اني سبتك .. ابدا اللي اتجوزتها مش حايكون لها اهمية في حياتي .. حاجيلك كل يوم .. وحابات عندك .. ونقدر نتجوز .. حتى لو ما طلقتش اللي اتجوزتها .. انما انا ناوي اطلقها .. من قبل ما اتجوزها وانا ناوي اطلقها .. و ..

قلت في صوت جديد انا نفسي لم اتعوده من نفسي .

ــ ادفع الفلوس الأول وبعدين نتكلم .

ونظر الي في تعجب ، كأنه فوجيء بامرأة جديدة امامه ، وقال في تلعثم :

ـ بس انتى عارفه انى ما عنديش فلوس اليومين دول ..

قلت فى سخرية حادة :

ـ ما فضليش حاجه بعد المهر والشبكه ؟

قال :

ـ انا ما دفعتش مهر ولا شبكه .. امى اللى دفعت ..

قلت كأنى اهدده :

ـ انا ما يهمنيش مين اللى دفع .. المهم انى آخد الفلوس .. ولا ناقص تودينى محكمه ..

قال فى خبث :

ـ انتى عمرك ما حاتدخلى محكمه يا ميتو .. ثم ان المحكمه مش ممكن نحكم لك فى مسائل زى دى .. دى تبقى غضيحه من غير لازمه ..

قلت فى حدة :

ـ قصدك ايه ؟ ..

قال وهو يزفر انفاسه :

ـ انا حادفع لك دلوقتى خمسميت جنيه .. وبعدين نتكلم فى الباقى .. انما مش ده المهم .. المهم اننا نفضل مع بعض .. انا ما اقدرش اعيش من غيرك يا ميتو .. صدقينى .. انا باحبك .. واعذرينى على اللى عملته .. ما كنتش اقدر اسيب امى تموت ..

قلت فى هدوء :

ـ حاتجيب الخمسميت جنيه امتى ..

قال وهو يرخى عينيه :

ـ بكره الصبح ..

ثم رفع عينيه ، ونظر بهما الى وجهى طويلا .. ثم قال فى استجداء :

ـــ اقدر ابوسك ..

وابتسمت ابتسامة لا مبالية ، وقلت :

ـــ بوس ..

وتركته يقبلنى .. وتركته يأخذ ما يريد .. ولم أحس به .. حواسى كلها ميتة .. ربما ماتت الى الأبد .. وكان كل ما أراه فى خيالى ، هو عروسة محمد .. المسكينة .. وينطلق فى صدرى صاروخ من الشماتة .. الشماتة فيها .. انى شريرة .. انى اعلم انى شريرة .. واريد أن اكون شريرة ..

ولا لزوم لكل التفاصيل ..

ان محمد لم يدفع الا خمسمائة جنيه .. دفعها خوفا من الفضيحة .. واسترد الكمبيالات الثلاث .. كان هذا افضل من لا شىء .. وظل يتردد على .. كل يوم .. فى الأوقات التى يتردد فيها الأزواج عادة على عشيقاتهم .. ويدفع اجر البيت ، وينفق علىّ ..

ولاحظت ايامها انى بدأت اضع السوار الذهبى الذى أهدانيه هاشم فى معصمى .. وتتعلق به عيناى وأنا راقدة فى أحضان محمد .. لم أعد أحس بشىء .. الا بكراهيتى لهاشم .. وبالكاللو الذى تركه فى قلبى .. انى لا اكره محمد .. ان محمد ليس الا نتيجة لهاشم .. ولكنى اكره هاشم .. السافل .. دكتور السفالة اكرهه ..

ولم احتمل طويلا حياتى مع محمد .. تركت البيت ، وانتقلت لأعيش مع صديقتى سنمح .. وفكرت فى أن اعمل مثلها « مانيكان » ، ولكن كان يجب أن اتبع نظاما خاصا حتى اخسس

نفسى ، فقد سمنت فى هذه الفترة قليلا .. قوامى مثير .. ولكنه لا يصلح لبكون قوام مانيكان .. وانا لا طاقة لى على انباع نظام خاص لأخسر نفسى .. ولا طاقة لى على العمل .. انى استيقظ من النوم فى الساعة الثالثة بعد الظهر .. واسهر حتى الصباح فى « الستريو » أرقص ..

إن « مارلو » مترودوتيل الستريو صديقى العزيز الآن .. وهو يعرف رقم تليفونى .. ويقدمنى الى كثير من معارفه .. بينهم امريكان ، وانجليز ، وفرنسيين ، وسعوديين ، ولبنانيين ، وكويتيين .. انه يعرف كل العالم .. وهو يأخذ من كل منهم مبلغا يتراوح بين عشرين وعشرة جنيهات .. يحتفظ لنفسه بعشرين فى المائة ويعطينى الباقى .. وهذا خير من ان اتعود على وجل واحد .. لم اعد مغفلة حتى أتعود على رجل واحد .. ومحمد لا يزال يتردد علىّ ، انه لا يدفع الآن بالشهر ولكنه يدفع بالليلة .. حسن هو الوحيد الذى لا يدفع .. تكفى هداياه .. وهو انسان نبيل .. انى أخجل من أن أبدو امامه كامرأة تتقاضى نقودا .. أريد أن اقنعه دائما بانى لم اصل الى هذا الحد .. وسوار هاشم دائما فى معصمى .. و ..

ولكن ، مالنا وهذه السيرة ..

أنا وصديقتى سمح نضحك كثيرا .. كل ايامنا ضحكات .. وانا أحب الرقص .. استطيع أن اقول انى اصبحت ملكة الستريو .. انى أرقص احسن من البنات الصغار ، رغم انى فى الثلاثين من عمرى .. ولكنى اقول انى فى الخامسة والعشرين .. انا لا اكذب .. فانى ارقص كأنى بنت الخامسة عشرة .. والعمر يحتسب بالقدرة على الرقص ، لا بالسنين .

التويست الآن رقصة قديمة ، وكذلك الهالى جالى .. الرقصة الجديدة هى « تشكن » أى رقصة « الفراخ » .. ثم رقصة اللمبو ..

انى أحب رقصة الفراخ .. دمها خفيف .. يجمع الراقصون والراقصات فى حلقة .. كل ولد بجانبه بنت .. ويرفعون أيديهم فى حركة دائرية و ..

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقى
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ٢٨٦٤
الترقيم الدولى ٤ — ٤٤٥ — ٣١٦ — ٩٧٧

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقي
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ٢٨٦٤
الترقيم الدولى ٤ — ٤٤٥ — ٣١٦ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٣٥٠ قرشا